

المنهج التاريخي

المحاضرة الأولى

أ.خالدي سمير

تمهيد:

يدل لفظ التاريخ على معنيين، الأول عبارة عن جملة من الأحداث التي وقعت وتتضمن تاريخ الشعوب والمجتمعات كيف حدثت؟ وما هي العوامل والمسببات التي أدت إلى تطورها عبر الزمن؟ وأما المعنى الثاني يتمثل في جملة من المعارف والمعلومات التي يحوز عليها الإنسان ترتبط بماضيه¹ وبمفهوم آخر، معرفة يكتسبها الفرد أفرزتها أحداث ماضية². ويمثل في رأي حسن عثمان بأنه: " مطلق مجرى الحدث الفعلي الذي يصنعه الأبطال والشعوب التي وقعت منذ أقدم العصور واستمرت وتطورت في الزمان والمكان حتى الوقت الحاضر³."

ويعني في رأي الفيلسوف (هرنشو): " ليس علم تجربة واختبار ولكنه علم نقد وتحقيق وان اقرب العلوم الطبيعية شبيها به هو علم الجيولوجيا فكل من الجيولوجي والمؤرخ يدرس آثار الماضي ومخلفاته ليستخلص ما يمكنه استخلاصه من الماضي والحاضر على السواء⁴."

فالتاريخ إذن هو التأمل والتأكد يتبعه التعليل لمجريات الأحداث التي وقعت في زمان ومكان محددين، يستند المؤرخ أثناء دراسته على منهج علمي واضح المعالم يلتزم به حفاظا على مصداقية الحدث وموضوعيته متجنباً الزيادة والنقصان والتحريف والتحيز.

تعريف المنهج :

يدل لفظ المنهج: " ترجمة لكلمة méthode في الفرنسية والأوروبية أصلها من الكلمة اليونانية méthodes... استعملها أفلاطون بمعنى النظر والمعرفة كما نجدها أحيانا بمعنى (بحث)⁵"

لغة: هو الطريق الواضح والنهج بتسكين الهاء والطريق السليم⁶.

التاريخ لغة: جاء في لسان العرب أنه "أرخ والتأريخ تعريف الوقت والتورخ له⁷."

ويمكن القول يقصد به التأريخ لحادثة ما في مكان وزمان ما.

التاريخ اصطلاحاً: فهو في رأي العلامة بن خلدون: " أعلم أن فن التاريخ عزيز المذهب جم الفائدة شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في

عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي، (د.ط)، الجزء الأول، المغرب 1992، ص33.¹
المرجع السابق، ، ص38.²

حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف، ط 8، القاهرة (د.ت)، ص12.³
المرجع السابق، ص17.⁴

عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي وكالة المطبوعات، ط2، الكويت 1977م، ص 35

عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، ط1، بيروت 1994م، مادة نهج، 210.⁶

محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار النهضة، ط3، القاهرة، مصر 1977م، ص48.⁷

سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرون في أحوال الدين والدنيا⁸."

الأسس المعرفية التي يقوم عليها المنهج:

- يقوم المنهج التاريخي على جملة من الأفكار الفلسفية والفكرية التي عرفها بني البشر خلال مراحل تطورها ويتمثل ذلك فيما أبدعه أرسطو من فلسفة استقطبت عقول المثقفين التي دعت إلى الحكمة والعقل والمنطق في تحليل وتفسير الظواهر.
- ظهور التيار المثالي والمادي وتأثيرهما على الساحة الفكرية والنقدية بظهور المنهج الاستدلالي
- والاستقرائي الذين كانا لهما تأثيرا واضحا على المنهج التاريخي حيث تتجلى هذه الميزة في اعتماده للمعيار النقدي مادام المنهج يهتم بعامل الزمن وتطور الحادثة التاريخية في علاقتها الجدلية بالبيئة والمجتمع.
- ظهور النزعة التجريبية التي نادى بها كل من "لوك" و "هوبز" اللذان رفضا وانتقدا الفكر الميتافيزيقي وأكدوا على ضرورة أن يكون التحليل مستمدا من الحس والتجريب فجاءت محاولاتهم تعنى بقضايا الحياة والمجتمع، كما حاول البعض أن يسن قوانين تحكم الأدب لدرجة المبالغة في ذلك⁹. ومن بين النقاد الذين اتصفوا بالنزعة التجريبية في دراساتهم: "أرنست دنيان" (1823 – 1892)، "سانت بيغ" (1804 – 1869)، و"هيوليت تين" (1828 – 1893) و "برونتير" (1849 – 1906). تميز مناهجهم بالاعتماد على قوانين الطبيعية وتوظيفها في عملية البحث عن كيفية تطور الأدب رافضة بذلك عنصر وفكرة الذوق.
- يعتبر الأدب حادثة تاريخية تساعد في فهم الفرد وعلاقته بمجتمعه ومحيطه وعصره.
- ظهور نظرية النشوء والارتقاء لـ: "تشارلز داروين" مع بداية القرن التاسع عشر: "ألف كتابا عنوانه ب: (أصل الأنواع) حيث رأى أن الآداب تنقسم إلى فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية وإنها تنمو وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة حتى تصل إلى مرتبة من النضج قد تنتهي عندها وتتلشى وتعرض كما انقرضت بعض الفصائل الحيوانية¹⁰". كان لهذه النظرية تأثيرها الواضح على الدراسات التاريخية للأدب، محدثة انقلابا لم يشهد له مثيلا في تلك الفترة ونقلة نوعية بتبنيها للنظرة العلمية تحمل في جوهرها مفهوما لتطور الأجناس الطبيعية من بينها الإنسان بوصفه كائنا حيا، فاتحة باب النقد على الشرح والتعليل العلمي والموضوعي
- استحوذ النقد التأثري على الساحة النقدية وطال أمده فكان سببا مباشرا في رغبة النقاد التاريخيين إثراء الحقل النقدي بمنهجية جديدة تسعى للتخلص من كل ما هو قديم وكلاسيكي وتبني طريقة نقدية جديدة المتمثلة في النقد التاريخي.

الإرهاصات الأولى للمنهج التاريخي:

شوقي ضيف: البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، دار المعارف، ط6، القاهرة 1977م، ص26.
شكري فيصل: مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، عرض ونقد واقتراح، دار العلم للملايين، ط6، القاهرة، 1986م، ص20.
يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009م، ص17.¹⁰

يعتبر العلامة (ابن خلدون) من بين الأوائل الذين استخدموا التاريخ في دراساتهم إذ تجلت في بحثه حول علم العمران في تحليله لمراحل تأسيس الدولة وقوتها وضعفها لتظهر بعد ذلك مجموعة من الأفكار النقدية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فبدأت الأفكار الأولى للمنهج التاريخي في التبلور والتكون شيئاً فشيئاً فكانت على شكل مجموعة من الدروس والمعارف تلقن في المدارس والثانويات في العالم الأوروبي والعربي وكان يسميه (شكري فيصل) بـ "النظرية المدرسية" في كتابه: "مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي"¹¹. واعتمد شكري فيصل المنهج التاريخي في دراسته للأدب بتقسيمه إلى عصور سياسية (العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، عصر الانحطاط، المغولي، العثماني، الحديث، المعاصر). مبرزاً بذلك عملية دخول المنهج مع الظاهرة الأدبية في علاقة تفاعلية بين العصر وأدبه، فكلما شهدت المرحلة الزمنية تطوراً وتقدماً كلما انعكس ذلك على الأدب والعكس أيضاً.

تجلى منهج النظرية المدرسية عند الكثير من الأدباء أمثال طح حسين و جرجي زيدان في مؤلفه: تاريخ آداب اللغة العربية " والمرصفي وأحمد أمين في كتبه "فجر الإسلام" "ضحى الإسلام" و"ظهر الإسلام" وما يمكن قوله هو أن المنهج قد أهمل تأثير البقعة الجغرافية في تتطور الأدب إلا أنها لم تكن سلبية في دراستها وشكلت الإرهاصات الأولى لميلاد منهج جديد يحمل فكراً نقدياً بناءً يطمح إلى تجاوز النظرية المدرسية إلى ما هو أكثر شمولية واتساعاً في النظرة النقدية والدراسة واستجلاء الحقائق وتبيينها وفهماً.

خصائص المنهج التاريخي:

- يعتمد على ميزة الشرح والتعليل
- اعتماده على البحوث والدراسات النقدية الأكاديمية السابقة بوصفها مرجعاً في تحصيل النتائج وبناء الآراء النقدية.
- يتخذ من النصوص الأدبية حقلاً وموضوعاً للدراسة.
- الاهتمام بالأديب وبيئته
- يعد النص وثيقة ومرجعاً ووسيلة في دراسة الأحداث التاريخية وفهماً.
- يستنتج الآراء والأحكام النقدية من دراسته للأحداث التاريخية عبر العصور.

أعلام المنهج التاريخي:

خالد زيغمي: مناهج التاريخ الأدبي وخلفياتها النظرية خلال القرن العشرين، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه إشراف أ.د. عبد الملك بومنجل، جامعة محمد لمين¹¹ سطيّف 2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر 2015-2016، ص 185 بتصرف.

أ/ شارل أغستين سانت بيف: (1804- 1869)

ب/ هيبوليت تين(1828- 1893):

ج/ فرديناند بروننير(1849- 1906):

غستاف لانسون (1857-1934

أعلام المنهج التاريخي العرب:

لا يخلو التراث العربي القديم من الدراسات النقدية التي وظفت المنهج التاريخي ومن آثار ذلك مجموعة من الكتب والمؤلفات احتوت الشعر بشكل أكبر ربطت الشاعر ببيئته وزمانه ويمكن ذكر بعض الأمثلة على ذلك :

الأصمعي(121 هـ - 216 هـ):

ابن سلام الجمحي (140 هـ - 231 هـ):

ابن قتيبة (276 هـ - 213 هـ):

أبو الفرج الأصفهاني (284 هـ - 356 هـ):

جورجي زيدان(1861 م- 1914م):

طه حسين (1889م – 1973 م):

محمد مندور(1907- 1965):

أما في الجزائر فيمكن ذكر عبد الله الركيبي رحمه الله وأبو القاسم سعد الله وعبد المالك مرتاض وغيرهم الذين كان لهم دور كبير في المساهمة في تأسيس منهج نقدي تاريخي ينزح باتجاه منهجية تعتمد الشرح والتحليل الموضوعي، فكان لعبد الله الركيبي وهو أحد النقاد المثقفين والمفكرين الجزائريين له مؤلف عنوانه "تطور النثر الجزائري الحديث" و"دراسات في الشعر العربي الحديث" ويتضح لنا في كتابه "تطور النثر الجزائري الحديث" أنه أخذ على عاتقه مهمة التأريخ لفنون النثر وتطورها في الجزائر قبل الاستعمار حيث يقول: "أما النثر فقد تطور أسلوبا وموضوعا ومحتوى¹² " أما بخصوص المنهج التي اختاره لدراسته هذه قد أفصح عنه الناقد في مقدمة كتابه بقوله: "والواقع أن المنهج الذي اخترناه هو منهج النقد والتحليل والاستعانة بالتاريخ إلى حد ما¹³." لقد قسم الباحث كتابه إلى بابين: باب في التقليد والآخر في التجديد وكل باب إلى فصول فشمل الباب الأول عنوانه ب: "أشكال نثرية تقليدية" الذي قسمه بدوره إلى أربعة فصول تبحث في تطور لغتها وربطها بالحياة العامة وفعل وأثر وتأثير الزمن في ذلك. فكان الفصل الأول يبحث في

المرجع السابق، ص 261¹²

المرجع السابق، ص 261.¹³

الخطب والرسائل أقدم الفنون النثرية واهتم الفصل الثاني بأدب الرحلات وخص الفصل الثالث بالمقامات والمناظرات أما الفصل الرابع فأفرد للقصة الشعبية.

أما الباب الثاني عنونه بـ: " أشكال نثرية جديدة " ليقسمه بدوره إلى خمسة فصول فكان الأول يعنى بالمقال الأدبي وجاء الفصل الثاني مخصصا للقصة القصيرة واهتم الفصل الثالث ب الرواية العربية لتنفرد المسرحية بالفصل الرابع أما الخامس خصصه للنقد الأدبي.

يتضح لنا من خلال تقسيمات الكتاب ومنهج الدراسة المتبع أن النقاد لم يدع فنا نثريا إلا ذكره وتعرض له بالتفصيل والإسهاب متحريرا الدقة والموضوعية في التحليل والتفسير واستخلاص النتائج وقف من خلاله على: "تراث متعدد الأشكال والأساليب والمضامين"¹⁴.

وتتجلى قيمة الدراسة في أهمية ما خلص إليه البحث والتي تتمثل في ثلاثة نتائج أو ملاحظات نوردتها كالاتي

أولا:

أن النثر الجزائري قد تخلص من الركود والجمود في فترة مبكرة ومرد ذلك إلى أدباء القرن الماضي بدء من عهد الأمير عبد القادر¹⁵ وبالرغم من ضعف اللغة العربية والظروف المزرية التي عاشتها أثناء فترة الاستعمار تمكنت من التعبير عن هموم واهتمامات الأدباء عاكسة تجارب خصبة¹⁶ فحافظت اللغة على جمالها ورونقها: "إنها ميزة لم نعثر عليها في الشعر الجزائري إلا في السنوات الأخيرة لأن الشعراء ارتبطوا بالتراث ارتباطا كليا وإذا كانوا قد جددوا في الموضوعات والمضامين فإن معظمهم بقي يجول في دائرة القدماء"¹⁷. ووقف الناقد على أسباب ضعف وأسلوب الفنون النثرية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وحصرها في "أدب الرحلات" و "المقامات" حيث أرجع سبب ذلك إلى سيطرة الثقافة الفرنسية أثناء فترة الاستعمار أما في عصر النهضة فقد شهدت اللغة العربية في الجزائر انتعاشا وانبعاثا مسترجعة هيبتها ومكانتها وقدرتها على البيان والتبيين مستمرة في تطورها معبرة عن شخصية الذات الجزائرية¹⁸.

ثانيا:

قام النثر الجزائري بتصوير قضايا الفرد وعكس الصراعات التي عاشها المجتمع فشكلت النصوص الإبداعية شاهدا عليها تحاكي القومية العربية والعقيدة الإسلامية: "وكان أدبنا من أجل الإنسان والجمال والخير ومن أجل الحياة"¹⁹.

ثالثا: على الرغم من التطور الذي تميز به النثر الجزائري: "إلا أنه يبقى بحاجة إلى جهود أكثر على مستوى اللغة والأسلوب لكي يستمر في تطوره واتساع مضامينه"²⁰.

المرجع السابق ص 263.14

المرجع السابق، ص 263.15

المرجع السابق، ص 263.16

طه حسين: في الشعر الجاهلي، الكتاب والقضية، منتدى مكتبة الاسكندرية (د.ط)، مصر، (د.ت)، ص 21.17

طه حسين: حديث الأربعاء، ص 3.18

المرجع السابق، ص 4.19

استنتاج:

ويمكن مما تقدم استخلاص مجموعة من النتائج التي المتمثلة في:

- لا يقتصر المنهج على التاريخ فقط بل يستعين بالعلوم الاجتماعية و يتجاوزها ليصل إلى حدود العلوم الطبيعية والاقتصادية والسياسية وغيرها في دراسته وتحليله لينتهي إلى نتيجة مرضية نسبيا.
- يساعد الباحث والقارئ في فهم التاريخ بأحداثه ومقارنتها بوقائع الحاضر.
- يضع الباحث في حوار مع النصوص السابقة والتعرف إلى مواضيعها والوقائع التاريخية التي تضمنتها.
- التعرف إلى أشكال الأنظمة التي كانت قائمة في السابق وعلاقتها ببعضها البعض والمحيط الذي نشأت فيه.
- يمثل المنهج التاريخي آلية للوقوف على مختلف الظروف التي ساهمت أبدع في ميلاد النص الأدبي وتطوره.
- يتيح لنا المجال لاستقراء التاريخ الأدبي ، بحيث يستطيع الناقد أن يحدد زمن لحظة تكوين العمل الأدبي.
- يرد المنهج التاريخي إلى العمل الأدبي الحياة واللون اللذين كان عليهما عند مولده فإذا جهلنا التاريخ فسوف نشوه معنى النصوص فالحياة مندمجة في التاريخ وهي إبداع التاريخ
- يمثل النقد التاريخي في الكشف عن العلاقة الكائنة بين العمل الأدبي والمجتمع وبيئته والمساهمة في فهمها..

مصادر ومراجع المحاضرة

- (1) عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي، (د.ط) الجزء الأول، المغرب 1992 ،
- (2) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، القاهرة (د.ت)، زاهية ركن: المنهج التاريخي والدراسات اللغوية العربية ، مجلة مخبر الممارسات اللغوية
في الجزائر، يوم دراسي حول المناهج، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، الجزائر، 2011

- 3 محمد علي محمد: علم الاجتماع المنهج العلمي، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 1986، خالد حامد: منهج البحث العلمي، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2003.
- (3) محمد علي عبد الكريم الرويني: فصول في علم اللغة العام، علم الكتب، ط 3، بيروت، 2002.
- (4) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، ط 2، الكويت 1977
- (5) عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر ط1، بيروت، 1994، مادة نهج.
- (6) محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار النهضة، ط3، القاهرة، مصر، 1977.
- (7) شوقي ضيف: البحث الأدبي - طبيعته - مناهجه - أصوله، مصادره ط 6. دار المعارف، القاهرة، 1977.
- (8) شكري فيصل: مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، عرض ونقد واقتراح، دار العلم للملايين، ط6، 1986.
- (9) يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009.
- (10) خالد زيغمي: مناهج التاريخ الأدبي وخلفياتها النظرية خلال القرن العشرين، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه اشراف أ.د. عبد الملك بومنجل، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر 2015-2016.
- (11) عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1 2004.
- (12) غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار النهضة، ط3، القاهرة، 1977.
- (13) يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي.
- (14) بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية 2006.
- (15) فتحي عامر: من قضايا التراث العربي، منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 1985.
- (16) محمد سلام الجمحي: طبقات الشعراء، منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- (17) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، (د.ط) الجزء الأول، القاهرة (د.ت).
- (18) عمر محمد طالب: المذاهب النقدية، دراسة وتطبيق، دار الكتب للطباعة والنشر، (د.ط)، الموصل، 1993.
- (19) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء: تحقيق أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة (د.ت).
- (20) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، ط 6، القاهرة، 1963.

- (21) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د.ت) مقدمة الكتاب .
- (22) طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، ط 5 ، القاهرة، 1958.
- (23) طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف، ط 14، القاهرة 1989 ،
- (24) يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي،
- (25) عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب(د.ط)، الجزائر 1983.
- (26) طه حسين: في الشعر الجاهلي الكتاب والقضية، منتدى مكتبة الإسكندرية،(د.ط)، (د.ت).
- (27) محمد مندور: الميزان الجديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر القاهرة، 1944، مقدمة الكتاب.

النقد الثقافي

المحاضرة الحادية عشر

أ.خالدي سمير

تعريف المصطلح

يقصد بالنقد الثقافي البحث عن المضمرة من الأنساق الثقافية في النص، إنها قراءة معاصرة للخطابات المتنوعة وفق آليات إجرائية تعتمد العقل والتأويل للوصول إلى كل ما له علاقة بثقافة الشعوب التي تمثل جزء من هويتها وانتمائها وارتباطها بمحيطها وبيئتها تاريخيا وحضاريا. ومنه جاز لنا أن نستهل محاضرتنا هذه بالبحث في معنى الثقافة

فالثقافة لغة ورد معناها في المعاجم العربية أن كلمة: "(ثقف الرجل، ثقافة بمعنى صار حاذقا، وثقف الشيء حذقه... والثقاف ما تسوى به الرماح، ورد في حديث عائشة تصف أباهما أبا بكر رضي الله تعالى عنهما:" وأقام أودها بثقافة، أي أنه سوى عوج

المسلمين²¹. "وجاء في تعريفات بعض النقاد العرب تمثل: "الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء كانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة أم تعديل فيها²². " مفهوم النقد الثقافي اصطلاحاً :

يمثل النقد الثقافي أحد المناهج التي ظهرت مع نهايات القرن العشرين يحمل في جوهره أفكاراً جديدة حول النقد عموماً والأدبي خصوصاً. وتكمن الجدة في اهتمامه بالثقافة وقضاياها المتشعبة والمتعددة ويتسم كونه نشاطاً فكرياً يستوعب كل أنواع الثقافات ومن أهم رواده (أدورنو) و (فينيس ليتش). ويعرف بمرحلة ما بعد البنيوية، وله مرادفات مثل "النقد الحضاري"²³ ، "النقد الفاحص"²⁴ و "النقد السياسي"²⁵ "يهتم بتوظيف الأفكار الثقافية التي تغاضى عنها النقد الأدبي في دراساته. فهو في تعريف (آرثر أيزنبرجر): " مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد والفلسفة وكل الثقافات التي تميز المجتمع المعاصر"²⁶. " إنه مشروع يحوي أفكاراً تمثل الفلسفة و كل النظريات الأدبية، العلمية والفنية كبديل عن النقد الأدبي. واعتبره (فانديك): " ظاهرة ثقافية تهتم بالدراسات السياقية التداولية والنفسية الاجتماعية والبحث في علاقة المجتمع بالنص الأدبي وفهمه وتأويله"²⁷. " ومنه يعتمد النقد الثقافي تتبع الأثر الاجتماعي والتاريخي للنص في المجتمع وما مدى تفاعل بنيته ثقافياً ومن ثمة: " فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق الثقافية المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته...إنما هم كشف المخبوء من تحت أفنعة البلاغي/الجمالي"²⁸. " وبحثاً عن هدف النقد الثقافي حاول عبد الله الغدامي القول بأن المنهج يقترب من مصطلح (علم العلل) لدى علماء الحديث الذي يعنى بدراسة الخطاب ومثنه وعيوبه معتمداً في منهجه على الدقة والصرامة ، وهو نفس الغرض ينزح نحوه النقد الثقافي في مهمة تشريح النص والبحث عن الأنساق المضمرة وتحديدها في الخطاب وفق منهج يعتمد الصرامة ويقف نداً للنداء أمام النص²⁹. وفي نفس السياق يضع (فينيش ليتش) مشروعاً نقدياً سماه بالنقد الثقافي يعنى بالخطاب الذي لم يكن محل اهتمام المجتمع متجاوزاً في تحليله المنهج البنيوي وكل منهج من شأنه عرقلة السير الحسن للدراسة معتمداً على آليات قوامها العقل والقدرة على التأويل وفق رؤيا منهجية جديدة.

إبن منظور: لسان العرب، مج9، مادة ثقّف، دار صادر، بيروت، لبنان (د.ت)، ص19.21

محمد عبد المطلب: النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط1، القاهرة 2003م، ص90.22

هشام شرابي: النقد الحضاري، للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، د.ط)، بيروت (د.ت)، ص15.23

حسن البنا عز الدين: ملامح النقد الثقافي في الأدب العربي (كتاب الغدامي الناقد): قراءات في مشروع الغدامي النقدي، مؤسسة اليمامة الصحفية²⁴

الرياض، العدد 97-98، 1422هـ، ص160.

عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير، ط1، عمان 2007م، ص25.25

آرثر أيزنبرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم رمضان بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة 2003م، ص30.

يوسف عليمات: التحليل الثقافي ، الشعر الجاهلي نموذجاً، المطابع المركزية، ط1، الأردن 2004، ص33.27

عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء وبيروت 2001م، ص84.28

أنظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (بحث في الأنساق الثقافية العربية)، مرجع سابق، ص84.29

الأسس الفكرية للنقد الثقافي:

فلسفة (نيتشه)

فلسفة (كارل ماركس)

-التحليل النفسي

لسانيات دوسويسير

موقف العرب من النقد الثقافي:

إذا نظرنا إلى تراثنا الأدبي والنقدي وعلاقته بالثقافة والابداع والحضارة يستوقفنا تعريف (ابن سلام الجمحي) للشعر بقوله: " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات :منها ما تتفقه العين، ومنها ما تتفقه الأذن، ومنها تتفقه اليد، ومنها ما يتفقه اللسان³⁰. " لقد كان ابن سلام الجمحي بتعريفه هذا جد متقدما عن عصره جاعلا للشعر بعدا ثقافيا وحضاريا وأنه علامة على التقدم وبلوغ درجة من الوعي والفكر وتفسير جملة من القضايا الحياتية واتخاذ موقف منها. واعتبرت القبائل العربية قبل الاسلام الشاعر الناطق الرسمي لها ، إذ يستطيع أ يعلي من شأن قبيلة ببيت شعري واحد في الفخر والمدح. كما يستطيع أيضا أن يطيح من قدرها ببيت شعري واحد في الهجاء. فكان للشاعر المحنك النابغة الفصيح شأن كبير بين قومه في القبيلة. وقد اشترط (ابن رشيق) أن يكون الشاعر واسع الثقافة وملما بالعلوم والمعارف بقوله: " والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة، واحتماله كل ما حمل من: نحو ولغة وفقه وخبر وحساب وفريضة... وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب. ليستعمل بعض ذلك في ما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال³¹. " وهو ما ذكره (ابن العباس) عم الرسول عليه الصلاة والسلام عندما سمى الشعر بديوان العرب كونه الحافل لأفكارهم ونمط عيشهم وفلسفتهم في الحياة وثقافتهم وأسلوبهم ... إنه الشاهد عنهم والdal على أخبارهم. خصائص النقد الثقافي:

خصائص النقد الثقافي

- 1-تعامله مع كل النصوص بمختلف اجناسها وانتماءاتها، سواء تميزت بالجمالية أم افتقدتها ،
- 2 التزامه بالبحث عن النسق المضمّر في النص وأثره في المجتمع. اعتماده على النقد الأدبي في دراساته وتحليله للنصوص وهو ما قام به الناقد (عبد الله الغدامي) بالدعوة إلى أن النقد الثقافي ليس دعوة لموت النقد الأدبي بل مكمل له.

ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة، ص91، 30

ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط1، بيروت (د.ت)، ص196. 31

3 يسمح للقارئ بالولوج إلى عمق النص وتجنب الدراسة السطحية. وذلك بالبحث في جوهره عن النسق الثقافي والاجتماعي المضمّر ومنه اكتشاف ثقافة النص الموازية لجماليته.

4 ومن خصائصه أيضا تعريف القارئ بجملة من النصوص الشعبية والثقافية التي أهملها النقد الأدبي واستطاع النقد الثقافي أن يعرضها على القارئ للتقرب منها وكشف جوهرها.

أهم المصطلحات في النقد الثقافي:

1- يمثل "النسق" أحد أهم المفاهيم التي يستند عليها المنهج الثقافي في دراسته ; هو ما كان على وتيرة واحدة ونظام واحد وهو من أهم³². " فهو كل شيء استقام على وتيرة واحدة دون خلل أو نقص.

2 مصطلح النظام *systeme* في لسانيات دوسوسير، والبنية *structure* لدى البنيويين . بحيث هناك علاقة تجمع بين النسق والبنية التي تتجلى لنا في معنى تصريحات (بياجي) بأن البنية تعتمد على العلاقات التي ينتجها النسق، وهو نفس الرأي لدى (ليفي شتراوس) أنها تحمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام³³

2 الجملة الثقافية:

يجد الناقد نفسه معد ما اعتاد على التعامل في النقد الأدبي مع مصطلح: الجملة الأدبية والجملة الشعرية والجملة النحوية ... سيكون في النقد الثقافي على موعد للتعامل مع "الجملة الثقافية" التي تضع حدودا بين ما هم جمالي وبين ما هو ثقافي و أن لكل جملة دلالة، إنها العنصر المهم في توليد الدلالة النسقية فهي الحاملة لها بمعنى آخر إنها الشكل التعبيري الذي ينتج نسقا ثقافيا. يحمل صفة الدلالة التي تختزن المعنى وبنيتها مكثفة، تحمل الناقد على: " أن يكون قادرا على التعرف عليها ونقده³⁴". فالنقد الثقافي وظيفته تفجير البنية واستنطاق المسكوت عنه وتكشفه.

بعض الأمثلة عن النقد الثقافي المغربي:

يمثل الناقد حفاوي بعلي من الباحثين الذين تأثروا بالنقد الثقافي التي وضع معالمه في كتابه

(مدخل في نظرية النقد المقارن) 2007م قسمه إلى ثمانية فصول بحث من خلالها عن الأنظمة الثقافية ويبدو أن الناقد متأثر بأعلام الغرب في هذا التخصص أمثال (رايموند ويليامز) كما طرح الناقد حفاوي بعلي إشكالية قراءة النصوص وتأويلها للوقوف على دلالة الأنساق الثقافية

إبن منظور: لسان العرب، مادة نسق، دار صادر بيروت، (د.ت)، 32.520

أنظر: قرين نوال، المرجعيات التاريخية والمعرفية للنقد الثقافي، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الأول، جامعة خنشلة، ص43.33

أنظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق، ص66.34

كان هذا جانباً من اهتمامات التي طرحها الناقد في كتابه إى جانب ناقد آخر (نورالدين بورحيلة) و(طارق بوحالة)

أما في المغرب: فيمكن لنا أن نسلط الضوء على جملة من الباحثين منهم: الناقد المغربي (سعيد علوش) له كتاب عنوانه: (نقد ثقافي أم حداثة سلفية؟) قسمه إلى أربعة فصول عرف النقد الثقافي وتطرق إلى تطور الدراسات الثقافية ، وخصوصية النقد الثقافي ، ومحاولة التنظير للمنهج الثقافي بالإضافة إلى باحث مغربي يدعى (جميل حمداوي) الذي أبدع في حقل الدراسات الثقافية

خاتمة:

- 1 يمثل النقد الثقافي منهجاً جديداً يبحث في البنية ذات المعنى الثقافي المضمّر.
- 2 يجب أن يكون الناقد متشبعاً بالثقافة حتى يتمكن من مساءلة النص
- 3 يعتبر النقد الثقافي تجاوزاً لبنية النص الجمالية نحو دراسة البنية ثقافياً.
- 4 يتيح النقد الثقافي للناقد فرصة التعرف إلى كل النصوص الخطابية التي تتميز بالجودة أي يدرس كل ما هو جمالي وغير جمالي.
- يمثل ممارسة نقدية جديدة تقوم على الفحص والمعاينة البنية واكتشاف النسق المخبء بعيداً عن الذاتية والتحيز.
- 5 يعتمد في منهجه على مشارب ومعارف وعلوم أخرى مثل الفلسفة والتأويل وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ و السيميولوجيا وغيرها.... في سبيل التوصل إلى عوالم النص المضمرة.
- 6 يعتبر النقد الثقافي ممارسة نقدية جديدة ينظر للنص على أنه يكتنز بنيات ثقافية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

محمد عبد المطلب: النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط1، القاهرة 2003م،
هشام شرابي: النقد الحضاري، للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، د.ط)، بيروت (د.ت)،
حسن البنا عز الدين: ملامح النقد الثقافي في الأدب العربي (كتاب الغدامي الناقد): قراءات في مشروع الغدامي النقدي، مؤسسة اليمامة الصحفية

الرياض، العدد 97-98، 1422هـ.

عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير، ط1، عمان 2007م.
آرثر أيزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء ابراهيم رمضان
بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة
يوسف عليّات: التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجاً، المطابع المركزية، ط1، الأردن
2004.

عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي
العربي، ط1، الدار البيضاء وبيروت 2001م.
عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (بحث في الأنساق الثقافية العربية)، مرجع سابق.
قرين نوال، المراجعيات التاريخية والمعرفية للنقد الثقافي، مجلة كلية الآداب واللغات،
العدد الأول، جامعة خنشلة،
سعيد علوش: نقد ثقافي أم حادثة سلفية؟

المنهج الاجتماعي المحاضرة الثانية

أ.خالدي سمير

مقدمة:

تمثل الصلة بين الأدب والمجتمع من أقدم العلاقات حيث تعكس موضوعاته قضايا المجتمع
وتتجلى لنا هذه العلاقة عند العرب قديماً في ديوان أشعراهم الذي اصطلحوا على تسميته
بـ "ديوان العرب" الذي احتوى حياتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم حروبهم
وانتصاراتهم، فكان الشاعر لسان حال القبيلة يزود عنها ويحميها ويعلي من شأنها فبدأت
منذ ذلك الحين فكرة مفادها أن الأدب انعكاس للواقع و مرآة تجسد لنا الحياة الاجتماعية
وبدأت تتشكل شيئاً فشيئاً في التأصيل والتطور إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر وبداية
القرن العشرين حيث لم تتجاوز الفكرة آنذاك مجرد ارهاصات تفتقد إلى المنهجية العلمية
والموضوعية.

والمنتبع لتاريخ المناهج النقدية يلاحظ أن المنهج الاجتماعي جاء امتداداً للمنهج التاريخي في
محاولة منه الانفلات من سيطرة البورجوازية والنظام الاقطاعي بهدف التأسيس والترويج
لفكرة الفن للمجتمع³⁵

ويهتم المنهج مقارنة النصوص الأدبية من منظور اجتماعي وربطها بمحيطها الاجتماعي
الذي ساهم في إنتاجها. ويقف على الظاهرة الأدبية وربطها بأسباب وشروط تكونها. كما
يأخذ على عاتقه بمختلف طرائقه واتجاهاته المتنوعة اكتشاف الأسباب التي تتحكم في عملية

إنتاج النص الأدبي، ويقف على ثقافة للمبدع و علاقته بالمجتمع و أثرها في تجربته الفنية في إبداعه وتأثيره على القراء⁽³⁶⁾

يعد المنهج الاجتماعي أحد المناهج النقدية التي اهتمت بالشعر والنثر منذ زمن ، فكان للمنهج التاريخي أحد الأسباب المباشرة في ظهوره، إذ يمثل التشكيل الطبيعي لنشأته³⁷. ترعرع في رحمته، يهتم بنقد النص الأدبي من زاوية اجتماعية ويتعامل معه بوصفة ظاهرة اجتماعية ، كما ان من أهدافه البحث في العلاقة الكائنة بين الأدب والمجتمع، وتبرز خصائص المنهج الاجتماعي في:

خصائص المنهج الاجتماعي :

- يفتح المجال للدارس والقارئ على تبين حياة الفرد وعلاقته بمجتمعه.
- يعتبر الأديب ابن بيئته فهو جزء لا يتجزأ منها.
- يعتبر الأدب مرآة عاكسة لظروف وأحوال المجتمع
- يتيح فرصة الكشف عن علامات وسميات التطور الاجتماعي التي تتضمنها الأعمال الأدبية.
- يعتبر المنهج الاجتماعي الأدب ظاهرة اجتماعية.

و قد عرف العرب النقد الاجتماعي من خلال ابداعات الجاحظ في كتابه "البخلاء" الذي انتقد فيه بعض التصرفات والسلوكيات الاجتماعية، و في نفس المسار أيضا مقامات بديع الزمان الهمذاني أحد المعالم التي رصدت جملة من الظواهر السلوكية التي ميزت المجتمع آنذاك فكل هؤلاء عبروا من خلال ابداعاتهم عن قضايا اجتماعية كانت قد ميزت عصورهم³⁸

كما يعتبر ابن خلدون 1332- 1406 أشهر المؤرخين المسلمين الذين أرسوا معالم علم العمران وما يقوم عليه من نظريات ومصطلحات ومفاهيم تختص بالمجتمع وتأسيس الدولة والقوانين والنظم التي تحكمها ومن أهم كتبه كتاب: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر." وكان له الفضل في أن يجعل من علم العمران علما قائما ومستقلا بذاته ، وكانت مقدمته خير دليل على ذلك لما احتوته من فصول ودراسات تخص المجتمع والفرد البدوي والمتحضر واهمية الحضارة والتحضر والتمدن للإنسان وكل ما يتصل به من ظروف العيش لميدان الصناعة والحرف كما اختص الفصل السادس من المقدمة لاكتساب العلم والمعرفة وأهم السبل المحققة لذلك ودوره الفعال في حياة المجتمع والفرد

النقد الاجتماعي في الغرب:

³⁶ ينظر مناهج النقد الأدبي والدراسة الأدبية: عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، 2012، ص89. صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، قضايا ومناهج، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426، ص 95³⁷ يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي، دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004، ص39.³⁸

و يعتبر الفكر الماركسي في الغرب النواة التي أثرت في نشوء وتبلور النقد الاجتماعي، وتمخض عن الفكرة الجوهرية القائمة على: " أن المجتمع يتكون من بنيتين تحتية يمثلها الانتاج المادي الذي يظهر في التطور الاقتصادي أما البنية الفوقية تعكسها المستويات الثقافية والفكرية والسياسية وأن التغير الحاصل في الانتاج المادي من شأنه أن يحدث تغيرا في العلاقات والنظم الفكرية³⁹. " حيث ارتكز على فكرة جوهرية مفادها أن الذي يحدد شعور الناس إنما هو وجودهم الاجتماعي⁴⁰. و قد ارتبط الفكر الماركسي بفكرتين أساسيتين هما:...

- 1 المادية التاريخية التي تهتم بالقوانين العامة للتطور الاجتماعي
- 2 المادية الجدلية التي تهتم بالتطور الاجتماعي ذو القوى والإرادة وتشمل هذه الفكرة إطارها الفلسفي⁴¹

و لم يقتصر اهتمام (الاتجاه الماركسي) بتصوير آلام وأحزان المجتمع بل تجاوزت الى العمل على تغيير الواقع بحثا عن الحلول في سبيل بناء مجتمع تؤطره أسس اشتراكية قوية،

كما كان للاتجاه الواقعي دوره في ظهور: "نظرية الانعكاس" التي نادى بفكرة أن الأدب مرآة للمجتمع بما يحمله من أفكار سياسية، ثقافية، اقتصادية وحضارية⁴² ويقصد بها: المضي نحو التغيير والابداع والخلق واكتساب مقوماتها من الحياة الواقعية وما يمكن أن تنتجه العلاقات الاقتصادية في المجتمع وهي نفس فكرة ليون تروتسكي: "ما من أحد يمكن له أن يطالب الأدب الجديد بأن تكون له برودة المرأة فكلما كان الأدب أعمق كلما اشتدت رغبته في صياغة الحياة وكان أقدر على رسم الحياة بصورة دالة ومكتملة⁴³". فكان للماركسية في منتصف القرن العشرين دورا في نشوء "علم الاجتماع الأدبي"⁴⁴ الذي يدعو إلى علاقة الأدب بالمجتمع، وأن الأدب المزدهر ما هو إلى انعكاسا لتطور المجتمع.

و قد ساهمت مجهودات أعلام الاتجاه الاجتماعي في التأسيس لهذا النقد، كما هو الحال مع (مادام ديستال)(1766-1817) في دراستها المعنونة: "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية"⁴⁵ سنة 1800 م الذي حاولت من خلاله أن تبحث عن ما الأدب مبينة ان الكلمة قد تتجاوز معنى فن الكتابة إلى صلته الوطيدة بالمجتمع⁴⁶. كما اهتم الناقد الفرنسي وأستاذ الناقد هبوليت تين(1804-1869) بالدراسة الاجتماعية للأدب مركزا على شخصية الأديب وكل ما يحيط به من علاقات اجتماعية من أسرية وقرابة وأصدقاء ناهيك عن الأخلاق والبنية الفكرية وهو ما أسماه بـ: "وعاء الكاتب" الذي يمثل الطريق للوصول إلى شخصية الكاتب⁴⁷، كما اهتم بظروف المجتمع من خلال دراسته الاجتماعية للأدب (3)

صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426م، ص95. 39

رايمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991م، ص49. 40

صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص57. 41

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009م، ص15. 42

لوسيان قولدمان: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة: بدر الدين عروكي، دار الحوار للنشر، ط1، سوريا 1993م، ص13. 43

المرجع السابق، ص13-14. 44

صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضايا ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426م، ص97. 45

جاك رانسبير: سياسة الأدب ترجمة أبو فخر، منشورات البيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة (د.ط) دمشق 2011م، ص9. 46

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009م، ص15. 47

كما شكلت دراسة (هيبوليت تين) الموسومة: " تاريخ الأدب وتحليله" (4)، أهم الآليات الإجرائية ذات الطابع الاجتماعي التي أصبغها على نقده للأدب من منظور اجتماعي.

و من ابرز أعلام النقد الاجتماعي الناقد والفيلسوف صاحب الاتجاه الماركسي **جورج لوكاتش** (1885 – 1971) الذي ينحدر من أصول مجرية، ويعتبر من بين أكبر النقاد الذين اهتموا بالعمل الأدبي من منظور اجتماعي صاحب نظرية "الانعكاس" التي تتحقق من بنية النص وكان من بين أول الداعين إلى الجمع في دراسة العمل الأدبي بين شكله وبنيته الداخلية متأثرا في ذلك من الواقعية الكلاسيكية على أن الأدب له دور اجتماعي يدرك الفرد من خلاله حقيقة العالم الذي يمثل خلاصه من عقدة الاغتراب التي تسببها له حياته اليومية واكتساب الماضي والحاضر وتطلعه إلى مستقبل أفضل. يتضح منهج جورج لوكاتش في إحدى مقولاته أنه: " منهج بسيط جدا يتكون أولا وقبل أي شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية بعناية⁴⁸". من مؤلفاته:

- بلزاك والواقعية الفرنسية
- التاريخ والوعي الطبقي
- دراسات في الواقعية
- نظرية الرواية

و بعد لوكاتش جاء لوسيان قولدمان الذي ارتكز على أفكار سابقة، وقام بتطويرها متبنيا اتجاها جديدا في نقد النصوص الأدبية أسماه بـ: " علم اجتماع الإبداع الأدبي" ركز فيه على الجانب الكيفي عكس ما نادى به "سكاربيه" الاتجاه الكمي. ويبدو تأثره بجورج لوكاتش واضحا إذ يصرح بذلك في قوله: " وهكذا فقد باشرنا... بحثنا تمهيدا يتناول مشكلات الرواية بوصفها نوعا أدبيا انطلقنا لتحقيقه من نص كلاسيكي إلى حد ما رغم أنه ما يزال شبه مجهول في فرنسا لجورج لوكاتش ونعني به "نظرية الرواية"⁴⁹. حيث مكنته تجربته النقدية من استخلاص عدة فرضيات سوسيولوجية في حقل الدراسة الاجتماعية للأدب لجملة من المفاهيم والأفكار تتجلى في شهادته: " لقد قادتنا دراسة "نظرية الرواية" وكتاب رينيه جيرار "الأكذوبة الرومانسية والحقيقة الروائية" إلى صياغة عدة فرضيات سوسيولوجية تبدو لنا هامة بوجه خاص... تتعلق بالتجانس بين البيئة الروائية الكلاسيكية وبنية التبادل في الاقتصاد الليبرالي من جهة ووجود نوع من التوازي بين التطور اللاحق لكل منها من جهة أخرى⁵⁰". ويقوم منهجه على المرتكزات الآتية:

- ليس الإبداع فرديا بل هو جماعي يعكس أسما درجات الوعي للمجتمع فالأديب بإبداعه إنما يستهدف المجتمع ككل حيث: "يجد القارئ ذاته وأحلامه ووعيه بالأشياء والعكس صحيح لمن يملكون وعيا مزيفا⁵¹".

ينظر أنريك أندرسون أمبرت: مناهج النقد الأدبي ترجمة الطاهر مكي، دار المعرفة الجامعية (د.ب) السويس 2004م، ص 103⁴⁸
ليون تروتسكي: الأدب والثروة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1 بيروت، 1975، ص. 10⁴⁹

المرجع السابق، ص 95⁵⁰

⁵¹ كارل ماركس: الأدب والفن في الاشتراكية، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 1977، ص10

- لكل عمل أدبي بنياته الدلالية تختلف من عمل إلى آخر فعندما نقرأ ابداعا بمجرد الانتهاء من قراءته تتشكل لدينا مفهوما يعكس الوعي الفكري والضمير الجمعي المتواجد بداخل الاديبي (8) وانطلاقا من هذه الفكرة الجوهرية يكون لوسيانقولدلمان قد أنشأ بما أسماه بالمنهج "التوليدي أو التكويني" (9) التي تتجلى معالمه في كتابه "من أجل تحليل سوسيولوجي للرواية" حيث تضمن نشأة الرواية الغربية ومراحل تطورها وكيفية تمثلها للبورجوازية في العالم الغربي.(10)

و في الوطن العربي يمثل أحمد الشايب أحد الأسماء العربية التي كان لها جهود في حقل الدراسات السوسيولوجية للأدب ، حيث قام بدراسة ظاهرة كانت قد استفحلت في المجتمع الأموي آنذاك وذاع انتشارها وهي ظاهرة الغزل العذري وتوصل إلى نتيجة أنها ظاهرة اجتماعية امتدادا لمجتمع البادية منذ عصر ما قبل الاسلام فهي: "ظاهرة اجتماعية انتشرت كما انتشر سائر الظواهر الاجتماعية على اساس العدوى والتقاليد." (12). كما نجد في نفس المسار الدكتور طه حسين الذي قام بدراسة الشعر العربي من خلال المتنبي وأبي العلاء المعري حيث بحث في ظاهرة الطبقة في المجتمعات العربية القديمة ليستمر اهتمام الناقد ببؤس المجتمعات والتباين بين طبقاتها كما دل عليه كتابه "المعذبون في الأرض"⁵² ، حيث أظهر من خلاله الفرق الشاسع بين طبقات المجتمع بتركيزه على المحرومين والفقراء والبؤساء .

ويعتبر محمد مندور أحد النقاد العرب الذين اهتموا بالاتجاه الاجتماعي تطبيقاته النقدية الأدبية إيمانا منه بمبادئ الفكر الاشتراكي ، حيث يعبر عن رأيه بقوله: "دفعت إلى اعتناق هذا المنهج نتيجة لاهتمامي بالقضايا العامة والنواحي السياسية والاجتماعية في حياتنا ثم لإيماني بالفلسفة الاشتراكية وازدياد بها ازدادت معرفة بواقع مجتمعنا أثناء عملي بالصحافة وبحكم نشأتي الريفية وصلتي الوثيقة بطبقات شعبنا الكادحة"⁵³. كما تتجلى جهود محمود أمين العالم في ميدان الدراسات الاجتماعية للأدب بداية بكتابه المشترك مع الناقد عبد العظيم أنيس المعنون بـ: " في الثقافة المصرية" سنة 1953،

و قد تبوأ محمد مندور مكانة الصدارة في النقد الواقعي في الوطن العربي إلى جانب الناقد اللبناني حميد مروة بكتابه " دراسات في المنهج الواقعي"⁵⁴. وغيرها من الأسماء التي ساهمت في إثراء حقل دراسات النقد الاجتماعي أمثال غالي شكري، لويس عوض .ولم يسلم الاتجاه الاجتماعي من الانتقادات نذكر أهمها:

- اهتمام الناقد الاجتماعي أثناء دراسته للأدب بالمجتمع دون النظر إلى أهمية وقيمة الفرد في العملية الابداعية.
- اهتمامه بشكل العمل الادبي وإهماله للقيمة الجمالية والفنية .

أنظر عثمان موافي: مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 46⁵²

أحمد أبو حاققة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط1 1979، ص366.⁵³

بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، الاسكندرية 2006، ص68⁵⁴

- يعتبر الإبداع الأدبي انعكاساً للواقع التاريخي والاجتماعي للمجتمع حيث كان ذلك على حساب الجانب الإبداعي والخيالي للمبدع فالأدب رسالة فنية لها أهداف إنسانية وأخلاقية⁵⁵.

- الخاتمة:

وما يمكن استنتاجه أن على الرغم من الانتقادات التي وجهت إلى المنهج النقدي الاجتماعي إلا أنه استطاع أن يدرس النص الأدبي من زاوية اجتماعية وأتاح الفرصة للقارئ والدارس التقرب من النص والبحث من خلاله والكشف عن علاقة الأدب بالمجتمع وما هي حدودها ومعالمتها حيث استطاع الباحث التعرف إلى أحوال وثقافة وفكر المجتمع من خلال النص الأدبي وأن العمل هو انعكاس للواقع دون إهمال أدبية النص وجماليته وما يمكن أن تتركه من أثر وانفعال أثناء عملية التواصل .

المصادر والمراجع:

- 1 كمال احمد زكي: النقد الأدبي الحديث، ط2، بيروت 1981،
- 2مناهج النقد الأدبي والدراسة الأدبية: عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، 2012،
- صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، قضاياها ومناهجها، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426،
- يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي، دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004م.
- رايمان سلدن : النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991،
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009،
- لوسيان قولدمان: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة: بدر الدين عرودي، دار الحوار للنشر، ط1، سوريا 1993م،
- صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضاياها ومناهجها، منشورات جامعة السابع أبريل، ط1، 1426، ط1،
- جاك رانسيير: سياسة الأدب ترجمة أبو فخر، منشورات البيئة العامة السورية للكتاب وزارة، الثقافة (د.ط) دمشق 2011م،
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009،
- ينظر أنريك أندرسون أمبرت: مناهج النقد الأدبي ترجمة الطاهر مكي، دار المعرفة الجامعية (د.ط) السويس 2004م
- ليون تروتسكي: الأدب والثروة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1 بيروت، 1975،

أنظر شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفأس للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2005، ص36.⁵⁵

كارل ماركس: الأدب والفن في الاشتراكية، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 1977،

- عثمان موافي: مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008،
- أحمد أبو حاق: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط1 1979،
- بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، الاسكندرية 2006م،¹
- أنظر شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفأس للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2005.¹

المنهج النفسي

المحاضرة الثالثة

أ.خالدي سمير

1 تعريف علم النفس لغة :

نتطرق إلى تعريف العلم: " (إدراك حقيقة الشيء"، " اكتشاف الحقيقة".)⁵⁶ أو: "اليقين بالمعرفة"⁵⁷. وهو نوعان: "ظاهري متصل بالحياة المادية والعلوم التقنية مثل الفيزياء والكيمياء... وباطني متصل بالروحانيات مثلاً لإيمان، السحر، الغيب..."⁵⁸ وعرف الفلاسفة المسلمون العلم بأنه: "آية من آيات الله في الكون"⁵⁹. وانه "هبة من العلي الخالق تعالى حيث يقول في محكم التنزيل: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) (الأنبياء الآية 80) . وقال جل وعلى: (وعلمناه من لدنا علماً) (الكهف، الآية 65). وقوله تعالى: " وعلم آدم الأسماء كلها). (البقرة، الآية 31). فبالعلم ترقى الأمم وتتطور، كما يمكن أن تدمر وتحطم إذا ما ساء استخدامه وحاذ عن الطريق الصحيح .

تعريف النفس: " هي كل ما يرتبط بحياة الإنسان الداخلية التي تكشف عن حقيقته وهي جوهر الخلق باعتبار الجسد مادة مندثرة"⁶⁰. وفي القرن 20م بدأ علم النفس يستلهم نظرياته

خميس رضا: محاضرات في علم النفس التربوي الاجتماعي، منشورات دار الأديب ط1 ، وهران 2005، ص13⁵⁶

جميل أحمد: شواهد ومشاهد، دار الإسرائ، د.ط، عمان، الأردن 1980، ص15- 16⁵⁷ .

خميس رضا: محاضرات في علم النفس التربوي الاجتماعي، منشورات دار الأديب، ط1، وهران 2005، ص13.⁵⁸

أنظر : سعدوي راتب، الفلسفة في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، لبنان 1982، ص28.⁵⁹

أنظر سعدوي راتب: الفلسفة في الإسلام، دار العلم للملايين، (د.ط)، لبنان 1982، ص98.⁶⁰

وإجراءاته التحليلية من مبادئ التحليل النفسي التي توصل إليها العالم النفساني (سيغموند فرويد 1856-1939) حيث رد السلوك الإنساني إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور)⁶¹.

- يعتبر علم النفس أحد العلوم العتيقة والعريقة لها ماض طويل في تاريخ العلوم ومجال البحث في أسرار النفس وخفاياها وتسليط الضوء عن ذلك السرداب المظلم الذي يحوي الوجه الخفي للنفس. ويتكون العلم من مصطلحين: علم/ النفس:

" علم ورد بعده معاني بسيطة:

- أ إدراك حقيقة الشيء

- ب اكتشاف الحقيقة

تعريف المنهج النفسي اصطلاحا:

يعتمد في تحليله على نظريات التحليل النفسي والتي فسر فرويد معظم أفكاره في حقل دراساته النفسية على عنصر اللاشعور التي أسماها بمنطقة "اللاوعي" التي تترسب فيها جل رغبات الكائن الإنساني على شكل مكبوتات تبحث دوماً على الظهور متجلية في اشباع الغرائز عبر الحلم أثناء النوم أو اليقظة ، والإبداع وغيرها... واعتبر الأعمال الفنية بمثابة تعويض ما لم يستطيع تحقيقه في عالم الواقع⁶².

مدرسة سيغموند فرويد (1856-1939):

يعتبر- من الأوائل الذين رسخوا بالنظرية والتطبيق علاقة علم النفس بالأدب والفن والنقد ، إذ تناول بالتحليل النفسي شخصيات الفنانين وأعمالهم الفنية وعملية الخلق الفني والمتلقي⁶³. و اعتبر مدونة الأعمال الأدبية ذات دلالة على أثر صاحبها ، هذا الأخير يشيد عالمه باستحضار رغباته ومكبواته الجنسية التي تطفو على السطح فتبدو ظاهرة للعيان في مشاهد وصور فنية جمالية تحمل شكلا لغويا تعبيريا⁶⁴.

"وارتكزت نظرية فرويد في التحليل النفسي على العناصر الثلاثة : (الأنا – الانا الأعلى والهو)

- يمثل الأنا: الحياة النفسية والشعورية للإنسان

- يمثل الأنا الأعلى: الضمير الجمعي من الأخلاق والعادات والتقاليد والأعراف والقوانين والأوامر والنواهي المنضمة لحياة المجتمع .

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009، ص 22.61

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009م، ص 22.62

أنظر أحمد بدوي: لأسس النقد النفسي عند العرب، (د.ط)، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 503.63

أنظر زين الدين مختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 64 سوريا، 1998، ص 8-9.

الهُو: يمثل العالم المظلم وسرداب النفس التي تترسب فيها المكبوتات والرغبات الجنسية.⁶⁵ وقد توصل فرويد إلى أن غريزة الحب والحياة هي: " الطاقة التي توجه سلوك الإنسان".⁶⁶ وقد قسم فرويد الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام: " الشعور ، ما قبل الشعور واللاشعور".⁶⁷ حيث تقم نظريته للتحليل النفسي على هذه العناصر الثلاثة. ومن بين الشخصيات المبدعة التي شكلت موضوع الدراسة لدى فرويد نذكر منها: الرسام والفنان الإيطالي (ليوناردو ديفينشي) والروائي الروسي (دوستويفسكي) من خلال دراسته لرواية (الإخوة كرامازوف) حيث قام بتحليل شخصيات الرواية، معتمداً على الأحلام التي تراءت لهم أثناء نومهم وحياة الطفولة فشكلا هذان العاملان من بين الوسائل والطرق التي قادته إلى الكشف عن عالمهما النفسي المظلم وتبسيط الضوء عليه وفك شفرته. وتوصل إلى أن الكبت والحلم كانا من بين العوامل المؤثرة في نفسيتهما وشكلا الدور البارز في إنتاجهما الفني. الذي يعتبره: " المجال الذي يضمن للرغبات المكبوتة التستر وعدم الكشف. أما الإبداع فإنه يسعى لإحداث التوازن عبر اتكائه على القيم والسلوكيات الاجتماعية".⁶⁸ وتوصل في نهاية المطاف إلى أن شخصيات رواية الإخوة كرامازوف تتسم بالتناقض بحيث يظهر البطل: " المبدع الفنان الخلق وفي الوقت نفسه العصبي الآثم المجرم المتعاطف مع الآثمين والمهووسين بالمقامرة وبتعذيب الآخرين".⁶⁹ "ومن بين النتائج التي توصل إليها أن الفنان عندما يكون في لحظة الإبداع عصابيا حقيقيا " يستطيع تخطي عتبة اللاشعور والإفلات من رقابة الأنا الأعلى محققا رغباته ومكبوتاته بوسائله الفنية الخاصة وهو بعد ذلك إنسان عادي سوي.⁷⁰ ، كما يمثل الحلم وسيلة لإشباع الرغبات التي لا يستطيع تحقيقها في واقعه يمنعه من سلطة الأنا الأعلى.

و بعد فرويد أثريت الدراسات النفسية من طرف زمرة من الباحثين أمثال: (ألفرد آدلر) و (يونغ) و(شارل بودوان) و(شارل مورون) الذين قدموا بحوثا في المنهج النفسي ساهمت في تكوينه وتأسيس مصطلحاته و اتجاهاته المعاصرة.

مدرسة آدلر في التحليل النفسي (1870-1937):

يعتبر آدلر تلميذا لفرويد، و يرجع له الفضل في تأسيس "مدرسة علم النفس الفردي"⁷¹ بحيث خالف معلمه في فكرة ان يكون للغريزة الجنسية السبب الوحيد في ظهور الأمراض العصابية وأنها الباعث الأول على الفن⁷² حيث يرى أن: " الشعور بالنقص هو السبب الرئيسي في نشأة

المرجع السابق ص 10.65

المرجع السابق ص 96

عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السرد، إتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق 2008، ص162.67

المرجع السابق، ص 162.68

المرجع السابق، ص 165.69

المرجع السابق ص 11.70

المرجع السابق ص 13.71

المرجع السابق، ص 14.72

العصاب وأن الباعث الأساسي على الفن هو غريزة الحب والظهور أو حب السيطرة والتملك⁷³". فالشعور بالنقص في نظره يعتبر مبعثاً على التعويض.

إن الجديد في نظرية أدلر النفسية ليس عالم اللاشعور وحده الكفيل بتحريك رغبات الإنسان وإيقاظها لتطفو على السطح نتيجة تفاعله مع المجتمع ذلك لأن: "الفرد ليس منعزلاً عن وسطه الاجتماعي يتصرف بما يمليه عليه نزوعه الفردي ودوافعه اللاشعورية"⁷⁴.

أما كارل غستاف يونغ (1875-1961) الطبيب النفسي السويسري فكان له الفضل في تأسيس علم النفس التحليلي، حيث اطلع على مؤلفات فرويد وخاصة كتاب (تفسير الأحلام)،

و تتلخص نظرية يونغ في أن الإنسان كائن متحضر يعيش في المجتمع، وسط بيئة يتأثر بها وأن له العديد من الرغبات والأحلام التي لا يستطيع تحقيقها كلها لأن فيها ما يتعارض مع القيم والأخلاق والقوانين والعادات والتقاليد في المجتمع ويتساءل قائلاً: "ف" الخافية (اللاشعور) هو جزء من النفس لكن هل بوسعنا الآن قياساً على مختلف محتويات للخافية؟ أن من شأن هذا أن نتكلم على التسليم بوجود واعية في الخافية⁷⁵".

ويضيف يونغ مصطلح "اللاشعور الجمعي" الذي يعتبره مصدراً أساسياً للإبداع الفني والأدبي تتجمع فيه كل الرواسب من الغرائز والتراكبات والأفكار الأولى⁷⁶. فهو عبارة عن جملة من التجارب والخبرات والثقافة والاعتقادات المكتسبة في المجتمع القابعة في منطقة اللاشعور الجمعي.

ويقول يونغ بأنه يخالف معلمه فرويد حول مسألة استقلالية "اللاشعور" بقوله: "إن فكرة استقلالية وتلقائية اللاوعي التي تميز مفاهيمي عن مفاهيم فرويد بشكل جذري نبتت في ذهني عام 1902 عندما كنت أدرس قصة شاب (مسرن)⁷⁷... وهذا العمل هو خلاصة هذه الجهود. لقد حاولت بشكل رئيسي وصف العلاقات الموجودة بين وعي الأنا والصورات اللاواعية... هكذا حاولت أن أقارب عالم الوعي والظواهر التي تدور فيه بشكل لا مباشر⁷⁸".

و ألف يونغ عدة كتب منها (البنية النفسية عند الإنسان) الذي قسمه إلى خمسة فصول أدرس فيها مراحل حياة الإنسان وتشكلاته النفسية الغريزية أي "اللاشعور"، والصراع القائم بين الأنا والمجتمع وكيف يؤثر ذلك في الشعور⁷⁹.

ص 14⁷³

ص 14⁷⁴

أنظر: يونغ البنية النفسية عند الإنسان ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، (د.ط.)، سوريا (د.ت.)، ص 39.⁷⁵

أنظر زين الدين مختاري المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، (د.ط.)، منشورات اتحاد الكتاب العرب،⁷⁶ سوريا، ص 14.

مسرن: تعني الشخص الذي يمشي وهو نائم كما نرحه يونغ في كتابه جدلية الأنا واللاوعي في الصفحة الخامسة من الكتاب.⁷⁷

يونغ: جدلية الأنا واللاوعي ترجمة نبيل محسن دار الحوار، (د.ط.)، سوريا، (د.ت.)، ص 6.⁷⁸

المرجع السابق، ص 16.⁷⁹

اما في كتابه (جدلية الأنا والوعي) فقد درس مدى تأثير حياة اللاوعي في الوعي وعلاقة التأثير والتأثر بين الفرد والمجتمع.

علم النفس عند العرب :

وكان للعرب دور المساهم في بناء صرح التحليل النفسي الأدبي كإرهاصات أولية لفتت الأنظار إلى مصطلح العاطفة والإحساس والمشاعر ودورها في العملية الإبداعية ، ففي كتابه (الشعر والشعراء)- أشار ابن قتيبة إلى الحالة النفسية للشاعر العربي ودورها في ظهور الشعر ، كما تحدث عن دواعي الشعر فقال: " للشعر دواع حيث البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب⁸⁰."

- و يرى أحمد بدوي -في كتابه (أسس النقد الأدبي عند العرب)- أن تجليات الدراسات النفسية عند العرب تمثلت في مصطلح العاطفة من خلال صدقها وكذبها.⁸¹ " كالتي قدمها مصطفى سوييف أطروحة ماجستير عنوانها: " الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة" سنة 1948⁸² . جهود الباحث سامية الملة المتمثلة في دراستها المعنونة ب" الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح⁸³" مساهمة بذلك في تكوين مرجعية عربية للدراسات النفسية .
- وبقيت هذه الجهود لا تعدو أن تكون مجرد إرهاصات أفكار أولية لفتت الأنظار إلى مصطلح العاطفة والإحساس والمشاعر ودورها في العملية الإبداعية وكيف تأثر في الشاعر أولا وفي المتلقي ثانيا الذي يكون له ردة فعل تجاه ما قرأه من إبداع.

وقد تأثر النقد العربي في العصر الحديث بمدرسة التحليل النفسي بأفكارها و منجزاتها، فبرز الناقد عباس محمود العقاد (1889-1964) بدراسته لشخصية الشاعر " ابن حمديس الصقلي واصفا شعره بأنه وجداني غير متكلف⁸⁴. كما حل شخصية ابن الرومي في كتابه (ابن الرومي حياته من شعره) حيث وقف على مولده ونشأته وتكوينه النفسي والفيزيولوجي وتحليل ظاهرة التشاؤم لديه التي أرجعها إلى عدم توازن جهازه العصبي والنفسي⁸⁵. أما شخصية أبي نواس ونرجسيته التي مردها في رأيه إلى شغفه بجماله وافتتانه بمحاسنه كما أنه كان منحرفا نحو الخمرة وحب النساء⁸⁶. وذكر في كتابه "نفسية إبي نواس" محلا لشخصيته مركزا على (عقدة أوديب) وميوله نحو الشذوذ الجنسي⁸⁷. لى جانب عبد القادر المازني (1890-1949) و محمد النويهي (1917-1980) من

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، المصرية، القاهرة، 1977 ، ج1، ص 84⁸⁰

أحمد بدوي: أسس النقد النفسي عند العرب، دار النهضة، (د.ط)، (د.ت)، ص 503.⁸¹

أنظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص23.⁸²

أنظر المرجع السابق ص24.⁸³

أنظر: سفيان عبد الحكيم: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، كفر الشيخ، 2008، ص84.⁸⁴

المرجع السابق، ص18.⁸⁵

المرجع السابق، ص19.⁸⁶

أنور الحميد الموسي: علم النفس الأدبي، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 2001، ص175.⁸⁷

خلال جماعة الديوان حيث تناول ما يربو على الثلاثين شخصية من القديم والحديث وفي مختلف الحقول المعرفية شعرية وأدبية وفكرية وسياسية واجتماعية فضلا عن سيرتها الذاتية⁸⁸. "ويعد العقاد من النقاد المناصرين للتحليل النفسي ملخصا دعمه في قوله: " نعرف كل ما نريد أن نعرفه وكل ما يهم أن يعرف متى عرفنا نفس الشاعر وعرفنا كيف يكون أثرها في كلامه وكيف يكون أثر هذا الكلام في نفوس الناس... ولهذا نفضل المدرسة النفسية لأنها تحيط بالمدارس كلها في جميع مزاياها⁸⁹. " وقد أسس منهجه في النقد النفسي على عناصر ثلاثة:

" 1 رسم صورة نفسية وجسدية للمبدع

2 استنباط مفتاح للشخصية

3 تتأسس الدراسة على محورين : الأول نفسي فني والثاني نفسي جسمي⁹⁰

و قد استند العقاد في رسم ملامح للصورة النفسية على عناصر الزمن والمكان والتربية والظروف البيئية والسياسية والاجتماعية وما تميزت به من علامات خاصة وكل ما يتصل بها من عوامل الوراثة والتاريخ والاستعدادات الفطرية حيث لم يختلف في هذا الجانب عن ملامح الدراسة النفسية عند سانت⁹¹

وفيما يتعلق بمفتاح الشخصية اعتمد في الكشف عنه على الحياة الخاصة للأديب : " يحمل دلالة سيكولوجية أعمق منها فالمقصود بهذا المفتاح من مجمل دراسات العقاد البيوغرافية تلك " السمة الغالبة" على سلوك الشخصية وخلائقها وصفاتها وعاداتها وهي التي تميز الشخصية عن غيرها من الشخصيات⁹².

أما العنصر الثالث الذي اعتمده يقوم على محورين يتعلق الأول بالجانب البيوغرافي للأديب والثاني يتمثل في الدراسة النفسية والطب النفسي وتوظيفهما في الكشف عن الحالات الطبيعية والغير طبيعية والمرضية والغير المرضية منها التي لها تأثير على الحالة النفسية للمبدع⁹³. وتوصل العقاد من خلال دراساته النفسية إلى أن النقد النفسي يقدم خدمة كبيرة للأدب والنقد بحيث يطلعنا على الظروف النفسية التي أثرت في شعر الشعراء مشكلة السبب المباشر في عملية الإنتاج الفني⁹⁴.

جورج أنطوان أبو الدينين: منهج العقاد النفسي في تحليل شخصية أبي نواس، مجلة بصريات الثقافية الأدبية، عدد8، فبراير 2015، مجلة⁸⁸ asarayath.com

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص 25.⁸⁹

زين الدين مختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي، ص22.⁹⁰

المرجع السابق، ص22 - 23.⁹¹

المرجع السابق 23 ص - 24.⁹²

المرجع السابق، ص25.⁹³

المرجع السابق ص26.⁹⁴

و سار على هذا النهج الناقد عبد الرحمن شكري (1866-1958) بدراسته لمجموعة من الشعراء وتبعه عبد القادر المازني (1890-1949) الذي قدم دراسة شاملة لشخصية الشاعر ابن الرومي

كما كان لطفه حسين دور بارز في إثراء المنهج النفسي بمحاولاته الكشف عن أسرار نفسية كثر أمثال بشار ابن برد، أبي تمام، المتنبي وأبي العلاء المعري حيث استوقفته كثيرا شخصية هذا الأخير: " نظرا لعاهة العمى التي يرى أنها كانت الموجه في حياته وشكلت سببا في عزلته عن الناس والعالم الخارجي"⁹⁵ ودائما في نفس السياق قدم جورج طرابيشي جملة من الدراسات النفسية في الرواية مثل: " عقدة أوديب في الرواية العربية" و رمزية المرأة في الرواية العربية "، " و مقارنة اللاشعور في الرواية العربية ويبدو جورج طرابيشي من أنصار المنهج النفسي بحيث صرح في أحد الحوارات بقوله: " لقد كتبت من قبل عدة دراسات في النقد ولم أشعر أن هناك منهجا قادرا على الدخول إلى قلب العمل الأدبي وإعطائه أبعادا، وأن يكشف فيه عن أبعاد خفية أو فلنقل تحتية، كمنهج التحليل النفسي"⁹⁶. وهو نفس الاتجاه الذي دافع عنه الناقد اللبناني خريستو نجم بقوله: " التحليل النفسي للأدب من أصلح المناهج الأدبية تقصيا للحقيقة وإثراء للفن"⁹⁷. وعُتبر عبد المالك ملرتاض من أشد خصوم المنهج النفسي واصفا الدراسة النفسية للأدب "بالمرضية المتسلطة" لا تبحث في النص إلا عن المرض وأن المبدع رجل مريض⁹⁸. وكانت للناقد (عز الدين اسماعيل) جهودا متميزة في حقل الدراسات النفسية الأدبية من خلال كتابه: " التفسير النفسي للأدب" الذي حاول من خلاله تفسير مرض العصاب والнерجسية⁹⁹ كما أنه خصص فصلا كاملا لدراسة نفسية لرواية (الإخوة كرامازوف) للروائي (دوستوي فيسكي)¹⁰⁰ و من الدراسات المعاصرة في مجال النقد النفسي ما قام به الناقد (عبد القادر فيدوح) الذي أضاف لبنة جديدة في حقل الدراسات النفسية للنص الشعري مستكشفا عوالم النص وأثرها على انفعالات القارئ وتحليل استجابته الإنفعالية من خلال كتابه " الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ودراسة تجلي ظاهرة الإبداع في النقد العربي القديم واهتمامه بعنصر الإسقاط واللاشعور والحدس عند الشعراء.¹⁰¹ وقدم " خليل خلف سويحل" في دراسة عنونها بـ: " البعد النفسي لقفا نيك"، حاول الناقد البحث في الأبعاد النفسية للطلل ومخلفاته على النفس بحيث ركز على مطلع القصيد - المقدمة الطللية - :

- " قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

إبراهيم علي السلطي: التحليل النفسي في النص الأدبي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2009، ص 30.95

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص 26.96

خريستو نجم: في النقد الأدبي والتحليل النفسي، دار الجيل، ط1، بيروت 1991، ص 39.97

أنظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 28.98

عمر عيلان: النقد العربي الجديد مقارنة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر بيروت، ط1، 2010، ص 136.99

عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، القاهرة، (د.ت)، ص 28.100

عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان 1988، ص 9-10.101

ويقول في تحليله أن عبارة قفا هي دعوة لسماعها ومتلقيها للتوقف عن المشي والبدء في البكاء³⁶ وخلص في نهاية بحثه إلى أن ظاهرة الوقوف على الطلل تثبت في الروح الذكريات والأحاسيس بحرقه الاغتراب ومرارة الغياب ... وهي لحظة نفسية مؤثرة أيما تأثير على الباحث والمتلقي¹⁰².

- كما قامت الباحثة (سماح بن فروخ) بدراسة نفسية بعنوان: "الأنا والآخر في شعر محمود درويش، قصيدة مديح الظل العالي أنموذجاً". حاولت من خلاله الوقوف على نفسية الفرد الفلسطيني أمام غطرسة وقمع الاحتلال الصهيوني فكانت الدراسة تنزع نحو: "رصد الأنا التائهة بين مشاهد قصيدة مديح الظل العالي و تداعيات النفسية للقتل الرمزي للآخر المحتل¹⁰³". وتوصلت في نهاية بحثها ما خلفه القهر والاستبداد والظلم من أبعاد نفسية الفرد المتمثلة في انتكاسة الذات العربية ووضعيتها المزرية التي حالت دون تحقيق مصيره وهدفه في التحرر من قبضة الصهاينة فغدت ذات تائهة غريبة في وطنها فاقدة للأمن وطعم الحياة وروح الاطمئنان والاستقرار¹⁰⁴.

- و من النماذج أيضا محمد عبد الهادي دراسة نفسية معنونة بـ: "تجليات المرأة في شعر محمود درويش حيث توصل إلى أن المرأة في شعره مرتبطة برمز الوطن وأنها دوما تظهر بصور متنوعة ومتعددة في قصائد كثيرة منها: قصيدة: "تلك صورتها" و"النزول من الكرمل" حيث تتجلى في صور الحب والغرام في "انتحار العاشق" وخلص في دراسته أن قصائد محمود درويش شكلت في مجملها: "قاموسا جماليا فلسطينيا¹⁰⁵" تعلق دوما بالوطن فلسطين في شكل ملفوظات: "كنت أحملها"، "اسمها بيبضاء" و"كانت تسمى خلایا رمي" وقد تميز الشاعر عن باقي شعراء عصره بتوصيفاته المميزة للمرأة حيث: "أعطى للمرأة مكانتها تسمو بها ودليل ذلك أنها احتلت المكانة العليا في نظمه فبدت معززة مكرمة ورمزا للقدس¹⁰⁶".

المصادر والمراجع:

_ خميس رضا: محاضرات في علم النفس التربوي الاجتماعي، منشورات دار الأديب ط1 ،
وهران 2005، ص 131
جميل أحمد: شواهد ومشاهد، دار الإسرائ، د.ط)، عمان، الأردن 1980

سماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش، قصيدة مديح الظل العالي أنموذجاً، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية، مجلة علمية دولية تصدر عن

مركز الجيل للبحث العلمي، العدد الثالث أيلول/سبتمبر 2014، ص 57. ¹⁰³

يماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش قصيدة مديح الظل العالي أنموذجاً، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية مجلة علمية دولية، العدد الثالث أيلول
ديسمبر 2014، ص 65. ¹⁰⁴

محمد عبد الهادي: تجليات المرأة في شعر محمد درويش من الموقع الإلكتروني ¹⁰⁵

محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته خصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب، د.ط) بيروت، 1985، ص 559. ¹⁰⁶

سعداوي راتب، الفلسفة في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، لبنان 1982.

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009.

أحمد بدوي: لأسس النقد النفسي عند العرب، (د.ط)، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت. زين الدين مختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1998

عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السرد، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق 2008، ص162.

سماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش، قصيدة مديح الظل العالي أنموذجا، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية، مجلة علمية دولية تصدر عن مركز الجيل للبحث العلمي، العدد الثالث أيلول/سبتمبر 2014.

سماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش قصيدة مديح الظل العالي أنموذجا، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية مجلة علمية دولية، العدد الثالث أيلول ديسمبر 2014، محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته خصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب، (د.ط) بيروت، 1985،¹

إبراهيم علي السلطي: التحليل النفسي في النص الأدبي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2009.

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009.

خريستو نجم: في النقد الأدبي والتحليل النفسي، دار الجيل، ط1، بيروت 1991.

عمر عيلان: النقد العربي الجديد مقارنة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر بيروت، ط1، 2010.

عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، القاهرة، (د.ت).

عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان 1988.

المنهج السيميائي

المحاضرة الخامسة

أ.خالدي سمير

1 السيميائية لغة:

يكاد يجمع جل المفكرين والباحثين أن كلمة "سيمياء": أصلها يوناني *séméion* ومعناها الأثر ، القرينة ، العلامة أو الدليل¹⁰⁷ وتأخذ مفهوم الخطاب والعلم¹⁰⁸.

¹⁰⁷ ينظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2007، ص 93.

تتركب الكلمة من (السيمو) و (طيقا) السيميولوجيا ويقصد بها: "علم يدرس العلامة اللغوية وغير اللغوية وقد وظف كل من دوسوسير (1857-1913) وبيرس (1839-1914) المصطلح حيث اعترف دوسوسير بأن اللغة هي نسق من العلامات يعبر عن أفكار ومنه فهي مشابهة للكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية¹⁰⁹".

السيمائية اصطلاحاً:

لا بد من الإشارة أولاً إلى أن مصطلح السيمائية قد ورد في التراث العربي القديم حيث اقترنت تسميته بالعالم الكيميائي (جابر بن حيان 200هـ - 815م) حينما كان يبحث في التفاعل بين المعادن وتحويلها إلى معادن ثمينة وسمى هذه العملية بـ: (علم السيمياء) كما اقترن أيضاً المصطلح بمجال السحر حيث ورد في قول القنوجي صديق في كتابه "أبجد العلوم": "أن السيمياء هي اسم لما هو غير حقيقي من السحر وسيمياء لفظ عبراني معرب أصله (سيم به)¹¹⁰".

وقد ورد معناها في المعاجم العربية: "أن لفظ (السومة والسيمياء) معناه العلامة ووسم الفرس أي جعل لها علامة وقولنا والخيال المسومة: التي عليها السومة أي العلامة وجاء في تعريف ابن الأعرابي: "السيم العلامات على صوف الغنم" وجاء في قوله جل وعلى: "من الملائكة مسومين"¹¹¹. وعرفها الجرجاني عبد القاهر: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به شيء آخر"¹¹². ومعناها في رأيه بالدلالة، بينما الجاحظ يرى أن العلامة لها علاقة باللغة لها دورها في إيضاح وتبيان الدلالة¹¹³. ويرى (ابن سينا) أن العلامة هي شيء محسوس تحيل إلى شيء غائب مجرد: "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترسم فيها صور الأمور الخارجية فترسم ارتساماً ثابتاً وإن غاب عن الحس"¹¹⁴. ونجد أن العلامة قد ارتبطت بكل مجالات الحياة والعلوم من الطب والكيمياء وحتى ميدان السحر والتنجيم والشعوذة قد أثار إعجاب العرب القدماء فكان للعلامة دور في تفسير المجالات المختلفة من حياة الإنسان¹¹⁵.

مفهوم المصطلح عند الغرب:

بفضل اللسانيات تحولت السيمائية من الاستعمالات الطبية والعلوم التقنية إلى حقل الدراسات اللغوية ويعود هذا التوظيف الجديد للمصطلح إلى العالم اللساني السويسري (فارديناند دي سوسير) الذي يعرفها بقوله: "نستطيع أن نتصور علماً يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في أوساط المجتمع وهذا العلم يدرس جزء من علم النفس المجتمعي ومن ثم يدرس علم النفس العام ويطلق عليه مصطلح علم الدلالة sémiologie... وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تضبط تلك الدلالات وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ

² ينظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، لبنان 2016، ص 11 و12.

¹⁰⁹ ينظر يوسف وغيلسي: مناهج النقد الأدبي، ص 93.

¹¹⁰ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2008، مادة سوم، ص 392.

¹¹¹ ينظر حمادو عائشة: السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكالية التلقي، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ص8.

عبد القاهر الجرجاني: التعريفات، تحقيق محمد باسل عيون السود، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013، ص116. ¹¹²

أنظر: قدور عبد الله ثان، سيميائية الصورة، (د.ط)، دار الغرب، للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005، ص 57. ¹¹³

ابن سينا: العبارة من كتاب الشفاء، تحقيق: محمود الخضيرى، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م، ص4. ¹¹⁴

رشيد بن مالك: السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية نوار اللوز نموذجاً، أطروحة دكتوراه دولة إشراف وسيني لعرج، وعبد الله بن حلي، جامعة تلمسان 1994م-1995م، ص38. ¹¹⁵

بمصيروه¹¹⁶. " وانتشرت أفكاره إلى أوروبا وأمريكا وبلدان العالم العربي ومنه تعد السيميائية علم جديد لازالت في تشكيلاته الأولى وبدأت معالمه في الظهور مع بدايات القرن العشرين وأصبحت علما مزدوج الجنسيات أوروبية وأمريكية على حد تعبير مارسيلو داسكال¹¹⁷.

وأشار (شارل ساندرس بيرس) إلى مصطلح السيميوطيقا sémiotique الذي يهتم بدراسة العلامة التي ينتجها الإنسان في وسطه الاجتماعي ومختلف أنساقها وأشكالها الدالة¹¹⁸ وعرفها (ديكرو): " هي دراسة للعلامات والسيرورات التأويلية¹¹⁹."

ويعتمد (بيير جيرو) في تعريفه على أفكار دي سوسير بقوله: " هي علم يعنى بدراسة أنظمة العلامات.¹²⁰ "

وهي في نظر ميشال فوكو: " تتخذ مظهر المعارف والتقنيات التي تتيح للدارس الكشف عن العلامات والقوانين التي تنظمها¹²¹." ويعتبرها شارل موريس بأنها علم الإشارات¹²².

ويعرفها كل من : (غريماس) و(كوكيه) و(تودوروف) و(بيير جيرو) بـ: " نظرية عامة لأنظمة الدلالة¹²³ ويتفقوا على أنها " تهتم بدراسة نظام العلامة¹²⁴." والهدف الذي تتوخاه السيميائية هو الإمساك بالمعنى أو الدلالة¹²⁵.

وانفرد (رولان بارت) برأي يناقض سابقه حول المفهوم بتوسيع نطاق ومجال السيميولوجيا متجاوزا لكل الأفكار بدراسته لأدب الأسطورة والخرافة والتطرق إلى عالم الأزياء والمودة والألوان وأنواع الأطعمة وكل أشكال الخطابات التي تنتج علامات وتحمل دلالات¹²⁶.

ويعتبرها (جورج موان) أيضا أنها تهتم بدراسة كل أشكال العلامة التي تتميز بخاصية التواصل تعكس الحياة الاجتماعية والثقافية¹²⁷

¹¹⁶ فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر القتيبي، إفريقيا الشرق، (د.ط)، المغرب 2008، ص31. أنظر: مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة: حميد الحميداني وآخرون، (د.ط)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987،¹¹⁷

ص 14.

¹¹⁸ ينظر عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي وآخرون: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، الدار البيضاء، المغرب ص 73.

¹¹⁹ O.Ducrot .J.M SCHENEFER : Nouveau dictionnaire encyclopédique des seances de langage seuil paris, 1972. P113.

بيير جيرو: السيمياء ، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1984 ص95.¹²⁰

¹²¹ منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ن المغرب، 2004، ص15.

جوزيف كورتيس: سيميائية اللغة، ترجمة جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، الجزائر 2010، ص 44.¹²²

جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار طوبقال، ط2، الدار البيضاء، المغرب، لبنان، 1997، ص 83.¹²³
¹²⁴ ينظر جميل حمداوي: مدخل إلى مناهج النقد، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3 الكويت مارس 1997، ص79.

امبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بركراد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان (د.ط)، 2000، ص 49.¹²⁵
¹²⁶ ينظر: أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص52.

¹²⁷ المرجع السابق، ص52.

عرف المصطلح تذبذباً في الترجمة والتعريب كالتّي وضعها (خليل أحمد) و(أوديت بيتيت) لكتاب « les enjeux de la sémiotique » ب: "مراهنات دراسات الدلالات اللغوية" الذي ظهرت ترجمته سنة 1980 و"معجم المصطلحات الأدبية" لسعيد علوش¹²⁸... ونكتفي بعرض بعض العينات من ترجمة المصطلح مثل: "السيمائية"، "السيميويتيكية"، "التحليل السيمي"¹²⁹.

ويتجلى لنا من خلال ما سبق أن هناك إشكالية في التوصل إلى توحيد تعريف كامل وشامل للمصطلح حيث بقيت التعاريف كلها تعبر عن اختلاف في الفهم والطرح. وعرفت السيميائية جملة من المصطلحات نذكر أهمها:

العلامة:

تعتبر العلامة أحد المصطلحات القديمة التي ترتبط بقدّم الإنسان وحياته اليومية وبالفلسفة والمنطق الضاربة جذورها في تاريخ الفكر اليوناني مع الفيلسوف أرسطو والفلاسفة الرواقيين ومنهم أفلاطون الذي اعتبر: "طابع العلامة اللغوية المحاكاة"¹³⁰. أما أرسطو فيرى: "أنها تتشكل من ثلاثة عناصر: (الكلام، الدال) (الأفكار، المدلول) (الأشياء، المرجع)"¹³¹. يبدو أن دي سوسير قد ورث فكرة أفلاطون التي تتمثل في أن العلامة تتكون من الدال والمدلول والمرجع وأن العلاقة بينهما اعتباطية فهي: "وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً يتطلب أحدهما الآخر"¹³².

ويرى (إمبرتو إيكو) أن: "أصل الكلمة إغريقي (sugnim) معناها الإشارة والدليل العلامة وتتعلق بشيء حاضر يعلن عن شيء غائب مثل ما يظهر على وجه المريض من آثار وعلامات تدل على مرضه"¹³³. وهي في مفهوم (شارل ساندرس بيرس) تتكون من ثلاثة عناصر (الصورة السمعية المفسرة) و(الصورة الذهنية) و(القصدية)¹³⁴ أي الدال والمدلول والقصدية.

التناص:

يشكل مصطلح التناص من المصطلحات السيميائية تداولاً واسعاً في الدراسات النقدية المعاصرة وعرف تميزاً على يد جملة من النقاد والدارسين أمثال: (جوليا كريستيفا) (رولان بارت)، (ميشال ريفاتير)، (ميشال فوكو)، (جيرار جنيت)، (ميخائيل باختين) وهو مشتق من: "مصطلح النص¹³⁵ TEXTE" وهو: "مفهوم يدل على وجود أصلي في مجال

رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن 2002، ص 28-29.¹²⁸
المرجع السابق ص نفسها.¹²⁹

¹³⁰ فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام ترجمة: يؤيل يوسف، عزيز مالك يوسف المطبلي، دار الأفاق للصحافة والنشر، ط3، بغداد، 1985، ص77.

محمد إقبال بحروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، مجلد 24، (د.ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3 مارس 1997، ص38.¹³¹
¹³² المرجع السابق ص 38.

¹³³ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي (د.ط)، المغرب، 2007، ص36.

¹³⁴ ينظر سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد: مدخل إلى السيميوطيقا، ص26 ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار الناس المصرية، (د.ط)، القاهرة، مصر، 1987، ص351.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص142.¹³⁵

الأدب أو النقد أو العلم، على علاقة بنصوص...مارست تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على النص الأصلي عبر الزمن¹³⁶ وكانت للشكلانية ميزة خاصة في تعاملها مع النص من زاوية أنه شكل أو بنية مغلقة على ذاتها ومستقلة عن كل المؤثرات الخارجية، تحكم عناصره جملة من العلائق الداخلية محققة شيء من الجمالية¹³⁷. واعتبر كل من (جاكسون) و(تينيانوف): "النص عبارة عن المواد المستعملة ووظيفتها في النص وليدة آداب أجنبية أو حقب زمانية سابقة¹³⁸". ويمثل هذا في مضمونه أرهاصا أوليا لمصطلح التناص¹³⁹. واتسم توظيف المصطلح باختلاف وتباين في المفهوم حيث استخدم باختين وعمل باختين في كتابه "الماركسية وفلسفة اللغة": "على تحديد مفاهيم البويثيقا السوسولوجيا منتقدا اتجاهين اثنين في الدراسة اللغوية وهما الذاتية المثالية والموضوعية التجريبية¹⁴⁰". وقد وظف (باختين) مصطلح "الإديولوجيم" الذي يعرفه (فكتور أرنيخ): "يتمظهر على شكل كلمات، طرق اللباس، العلاقات التنظيمية بين البشر، إن كل إديولوجيم هو جزء من الواقع المادي الاجتماعي¹⁴¹". فالإديولوجيم هو علامات وأفكار وأفاظ ورثها الفرد من مجتمعه وصاغها على شكل كلمات في نصه. ومن أجل ذلك وظف باختين الإديولوجيم في النص بغية اكتشاف معنى اللفظ في النص¹⁴². ووظف (باختين): "مصطلح الحوارية dialogisme الذي يبحث في كيفية تتداخل النصوص والتعابير وتتشابه في النص الواحد، معتبرا أن اللفظ هو الحامل لمختلف الإديولوجيات محققا بذلك عملية التواصل والحوارية بين النصوص التي تتم من خلال ما يعرف بالتفاعل اللفظي وما يجمع بي القارئ والكاتب¹⁴³". حيث يمثل التفاعل اللفظي جوهر الحوارية¹⁴⁴. أما (جيرار جنيت) فيمثل لديه مصطلح "التعالي النصي" الذي يدل على الوقوف على تكشف العلاقات الخفية والواضحة لنص معين مقابل نصوص أخرى.¹⁴⁵ بينما رولان بارت يعتبر كل نص هو تناص لنصوص أخرى، فالنص الحاضر يعلن عن الغائب¹⁴⁶. فسبب وجود أي نص يعود إلى نصوص قديمة. ويعتبر (ميشال ريفاتير) أنه يكمن في العلاقة بين النص المقروء والنصوص السابقة له التي تستحضرها وتعيها ذاكرة المؤلف والقارئ¹⁴⁷. وقامت (جوليا كريستيفا) مع أوائل السبعينات متأثرة بمفاهيم (باختين)، والماركسية وعلم النفس¹⁴⁸ في التناص معرفة: "الإديولوجيم بالوظيفة للتداخل النصي التي يمكننا قراءتها ماديا على مختلف مستويات بناء كل نص تمتد على طول مساره مانحة إياه معطياته التاريخية والاجتماعية... وإدراك النص كإديولوجيم يحدد منهجية السيميائيات التي هي تدرس النص كتداخل نصي ففكره في نص المجتمع والتاريخ.¹⁴⁹" وقدمت مفهوما للتناص بقولها: "إن كل نص يتشكل كفسيفساء من الاستشهادات وكل نص هو امتصاص

المرجع السابق، ص 142. 136.

المرجع نفسه ص 142. 137.

المرجع السابق، ص 143. 138.

نفسه ص 143. 139.

أنظر المرجع السابق، ص 144. 140.

المرجع السابق ص 144. 141.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 144. 142.

المرجع السابق، ص 145. 143.

أنظر أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، (د.ط)، الدار البيضاء المغرب (د.ت)، ص 52. 144.

محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة، عبد القاهر الجرجاني، الشركة العربية العالمية، ط1، عمان الأردن 1995، ص 152. 145.

146 ينظر عمر أوكان: لذة النص مغامرة الكتابة لدى بارت، دار إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء المغرب، 1991، ص 30.

147 ينظر مفيد نجم: التناص الأسطوري في شعر محمد إبراهيم بوسنة، دار النشر المصرية، ط1، القاهرة مصر 2003، ص 10.

أنظر أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، ص 146. 148.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 146. 149.

وتحويل لنصوص أخرى¹⁵⁰. "ومنه تكون (جوليا كريستيفا) قد استحدثت اتجاهها جديدا يتمثل في السيميائية التحليلية sémanalise تختص بقراءة النصوص من خلال آلية التناص. وهونفس الاتجاه الذي تبناه (جيرار جنيت) للوصول إلى شعرية النص عبر عنصر التداخل النصي وعلاقة النصوص ببعضها البعض¹⁵¹. بينما تركز اهتمام الناقد (بيير زيمبا) من خلال دراسته للنص الأدبي من وجهة اجتماعية¹⁵².

التشاكل والتباين:

إن من بين وظائف السيميائية البحث عن العلائق والقوانين التي تنظم وتحكم العلامات اللغوية وما تنتجه من دلالات تتسم بالتعدد والتنوع التي لا حدود لها وتوظف في سبيل ذلك جملة من الآليات والمصطلحات من بينها: "التشاكل لما يمتلكه من قدرة على تجميع الرموز المبنوثة على امتداد نسوج النص المتوارية وإعادة تفكيكها.¹⁵³" يتفرع التشاكل من الجذر اللغوي اليوناني Isos معناه تساوي أو مساوي و Topos المكان والمعنى المركب: المكان المساوي¹⁵⁴. "ورد في قاموس المحيط أن المشكلة هي: "التواتر والتكرار والموافقة والتشابه¹⁵⁵. ويؤول المصطلح إلى حقل العلوم التجريبية مثل الفيزياء والكيمياء، ويدل معناه على اشتراك العناصر الكيميائية في جملة من الخصائص ويتضمن معنى التساوي والتشابه في المكان. وأول من وظف المصطلح هو (جوليان غريماس) من مجال الفيزياء إلى حقل اللسانيات¹⁵⁶. فلامس غريماس في دراساته السردية للتشاكل جوهر المضمون ليقوم بعده (راستي) بتعميمه فأصبح يشمل التعبير والمضمون¹⁵⁷ فغدا: "التشاكل يبحث في تنوع مكونات الخطاب التي تشمل الصوت والنبر والإيقاع ومنطق السياق والتشاكل المعنوي¹⁵⁸".

استعان (جوليان غريماس) بالمصطلح ووظفه في دراساته السيميائية للنصوص الأدبية والوقوف على التشابه بينها¹⁵⁹ كما اهتم أيضا بالهدف نفسه في مضمون الحكاية الشعبية مهملًا جانبها الشكلي.¹⁶⁰ وإذا كان غريماس قد قصر التشاكل في المضمون فقط فإن (راستي) يراه في الشكل والمضمون معا يتنوع ويختلف ويتعدد بحسب الخطابات¹⁶¹ وعرف المصطلح عدة تسميات مثل: (التناظر، محور التوتر، التناظر الدلالي...)¹⁶². وللتشاكل أنواع تشاكل التعبير (يتمثل في التركيب والنحو الذي يشكل صورة لها وظيفية جمالية شعرية إبلاغية¹⁶³) وتشاكل المعنى (وهو المشترك الدلالي والذي يعرفه محمد مفتاح

المرجع السابق، ص 150¹⁴⁶

¹⁵¹ ينظر عصام حفظ الله واصل: التناص، التراث في الشعر العربي المعاصر، أحمد العواضي نموذجًا، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1

2011، ص21.

¹⁵² ينظر المرجع السابق ص21.

خيرة خمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص235.¹⁵³

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص235.¹⁵⁴

¹⁵⁵ الفيروز آبادي: القاموس المحيط: تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، ج3، بيروت، لبنان ص 550.

أنظر محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، 1992¹⁵⁶ ص19.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص237.¹⁵⁷

محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، مرجع سابق، ص19-20.¹⁵⁸

¹⁵⁹ ينظر محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1992، ص21.

¹⁶⁰ ينظر محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، بيروت، لبنان 1994، ص159.

¹⁶¹ ينظر المرجع السابق، ص 19.

¹⁶² ينظر المرجع السابق، ص 20.

أنظر خيرة خمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، ص174.¹⁶³

ب"تشاكل الرسالة" ودلالته مبنية على التواصل والتفاعل بملفوظات النص المتمثلة في البلاغة وعناصرها¹⁶⁴). وتشاكل الإيقاع وهو في رأي (خيرة حمر العين): "ينقسم بدوره إلى ثلاثة أنواع تشاكل الصوت وهو القيمة التعبيرية للصوت وتشاكل الكلمة ويقصد به التقارب والتباعد والتكرار، أما الثالث فهو اللعب بالكلمة مثل الاشتقاق الابدال والقلب¹⁶⁵..."

الخطاب:

يعرف الخطاب بأنه: "حادثة خاصة، تعبير شكلي منسق عن الأفكار بالكلام أو الكتابة، أو في شكل خطبة دينية أو رسالة بحث...قطعة أو وحدة من الكلام¹⁶⁶". وورد معناه في اللغة الانجليزية والفرنسية بمعنى: "المحادثة أو القطعة من الكلام¹⁶⁷". وكان ذلك في الستينات من القرن الماضي ليأخذ بعد ذلك المصطلح في التطور المعنى وبظهور لسانيات دي سوسير والحلقات اللغوية والمدارس اللسانية الحديثة والمعاصرة: "معالم لمقاربة الخطاب وتحليله مركزة على بنيات اللغة المحكية والموظفة في التعبير، ويتخذ مجال التحليل النصي¹⁶⁸ "texte analysis" تتخذ من الجملة المكتوبة موضوعا لها والتي اختلفت فيما بينها في إشكالية تعريف الخطاب تعريفا دقيقا فهو يمثل: (جملة قصيرة، فقرة ، نص...) واعتمادهم على أصغر وحدة صوتية وكيف تتجلى البنية الصوتية بشكلها وتوزيعها وتداولها ووظيفتها في توليد الجمل والأفكار والمعاني فاستثمرت السيميائية هذه الأفكار والمفاهيم ووظفته كآلية في تحليلها ودراستها للخطاب متعاملة معه باعتباره كما من المتتاليات من الجمل. متجاوزة مفهوم الفلسفة اليونانية للمصطلح والذي يعني "اللوغوس" LOGOS المراد به "التفكير المنهجي العقلي¹⁶⁹". فإذا كانت اللسانيات ركزت على الجملة وأصبح الخطاب مرادفا للكلام في نظر (دوسوسير). ويعتبر (زليغ هاريس) من بين اللسانيين السابقين لتوسيع حقل الدراسات اللسانية محاولا تخطي حدود الجملة في دراسته للخطاب عبر اهتمامه بالعلاقات التي يحكمها نظام وقانون صارم للجمل¹⁷⁰. أما (بنفيس) فقد تعامل مع الخطاب كونه ملفوظ مركزا على الوظيفة التواصلية للغة معتمدا على مصطلح "التلفظ" بوصفه منتجا ومكونا لأي نص كان، فاعتبر التلفظ موضوعا جوهريا في دراسته¹⁷¹. ويعرف (ميشال فوكو) الخطاب: "ممارسات تصيغ الأشياء التي نتحدث عنها بطريقة منظمة¹⁷²". وعمد على تحليل الخطاب باعتباره: "شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 240.164

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 240-241.165

فيصل الأحمر: معجم اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص 158.166

المرجع السابق، ص 158.167

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 159.168

أنظر: عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص (المفهوم، العلاقة، السلطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2008، ص 89

أنظر سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبيين)، ط1، ص 17 وعبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، (المفهوم، العلاقة،

170

السلطة)، ص 91.

أنظر ابراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية رواية جهاد المحبين لجرجي زيدان نموذجا، ط1، دار الأفاق، الجزائر 1999¹⁷¹

ص 10.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 161.172

على الهيمنة الكيفية والمخاطر في الوقت نفسه¹⁷³. "وعليه فإن (ميشال فوكو) ينظر إلى الخطاب بأنه رسالة ثقافية محملة بجملة من القيم التي تكون عالم الانسن الثقافي¹⁷⁴. واهتم (رولان بارت) بالخطاب بالبحث في البنيات السردية وتوصل إلى أن الخطاب: "يكمن في الجملة لأن هذه الأخيرة هي القسم الأصغر الذي تمثل بجدارة كمال الخطاب¹⁷⁵". وخلص في النهاية أن الخطاب: "جملة كبيرة، ومنها يصير السرد جملة كبيرة¹⁷⁶". و احتوت السيميائية الخطاب بوصفه علامة فمالت نحو الخطاب الشعري والنثري مركزة على بنياتها وسياقاتها ووظيفتها التواصلية¹⁷⁷ واهتمت السيميائية بكل ما هو لسانی وغير لسانی، ويعد الخطاب الاشهاري من بين المواضيع التي شكلت موضوعا للدراسة السيميائية بوصفه أداة فنية غايتها ووظيفتها التواصل والإبلاغ والإقناع ارتبطت بحياة الإنسان الاجتماعية والثقافية منذ زمن بعيد. ويعتمد الخطاب الإشهاري على الصورة أداة للتبليغ والإفهام والتأثير على المتلقي¹⁷⁸. ومن ثمة فإن اهتمام السيميائيات بالخطاب الاشهاري مرده أنه يتوفره على مواصفات والصفات والمميزات تتمثل في الصوت والصورة والموسيقى والحركة واللون والرمز...كلها علامات لها دلالاتها وتأثيراتها على المتلقي¹⁷⁹.

المربع السيميائي:

يمثل (غريماس) أحد السيميائيين الذين اهتموا بشكل النص وبنيته الداخلية والوقوف على دلالاتها معتبرا أن أي دراسة للنص تقوم على مستويين سطحي وعميق¹⁸⁰ ويرى أن: "يقوم على أساس اختلافي، وبالتالي تحديده لا يتم إلا لابلماقبلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة¹⁸¹". وعمد على شرح فكرته هذه من خلال المربع السيميائي. استنبطه من مربع أرسطو الذي يتأسس على أربع علاقات (التناقض، التضاد، التكامل والتماثل)¹⁸² الذي اختاره بوصفه حقلا معرفيا يبحث في دلالة النص وعلاقتها بالخطاب وكيف يتوالد المعنى بداخله وكلما تطورت الأحداث كلما تحولت دلالة المعاني ومنه يشكل المربع السيميائي آلية اجرائية تبحث في عمق البنية¹⁸³. أو هو كما يعرفه (غريماس): "التمفصل المنطقي لأية مقولة دلالية¹⁸⁴". ويعمل المربع السيميائي على تكشف العلاقات وتمثلها المتموقعة بداخل الوحدات اللغوية، قصد انتاج الدلالات التي يقدمها النص للمتلقي¹⁸⁵. بحيث تتجلى الدلالات والمعاني بناء على جملة من العلاقات التدرجية الشمولية والتناقض والتضاد.

خصائص المنهج السيميائي:

مولاي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي (الاشكالية والأصول والامتداد)، (د.ط)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص 25¹⁷³

أنظر: إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، مرجع سابق، ص 105. 174.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 161. 175.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 161. 176.

177 ينظر فيصل الأحمر: الدليل السيميولوجي، دار الألفية، ط1، الجزائر 2011، ص 77.

178 ينظر بشير إيرير: الخطاب الغير الأدبي: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 2010، ص 67.

179 ينظر المرجع السابق، ص 67.

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 229. 180.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 229. 181.

أنظر المرجع السابق، ص 210. 182.

أنظر: رايح بومعزة: مظاهر اسهام مدرستي باريس والشكلانيين الروسي تطوير السيميائيات السردية، مجلة النص والناص، العدد 7، ص 101. 183.

رشيد بن مالك: قاموس التحليل السيميائي للنصوص (عربي-انجليزي)، (د.ط)، دار الحكمة، 2000، ص 23. 184.

أنظر رشيد بن مالك: المرجع السابق، ص 23. 185.

ورثت السيميائية عنصر التأمل من الفلسفة اليونانية مع أفلاطون وأرسطو والفلاسفة العرب القدامى حيث كان الإنسان يتأمل في الظواهر الطبيعية انطلاقاً من وازع الشك وحب المعرفة والفضول في كشف أسرار الكون والعلامات المميزة لجملته من الظواهر التي ولدت بداخله الخوف والهواجس فراح يبحث عن فك شفرة ما هو أمامه ومعرفة أسبابها ومسبباتها.

تستمد أفكارها المتعلقة بالرمز من الفلاسفة الوضعيين الذين اعتبروا اللغة رمزا واسموا العلم الذي يدرس الرمز بـ: "السيميوطيقا" حيث كان أول من استخدم المصطلح الفيلسوف الانجليزي "جون لوك"¹⁸⁶ نجده قد نظر للفلسفة والأخلاق معتمداً على منهج لفهم دلائل العقل التي يستخدمها للكشف عن الأشياء وكيفية نقل المعرفة إلى المتلقي¹⁸⁷ كما أقر بعنصر التأمل الذي يعده ضروريا لعملية البحث وبلوغ قصد إفهام المتعلم¹⁸⁸.

يعتمد المنهج السيميائي على خاصية "المحايدة" Immanente في دراستها للنص وذلك بعزله عن كل المؤثرات الخارجية والشروع في الكشف عن العلاقات التي تربط بين عناصر البنيات المتمثلة في التماثل والتضاد والتشاكل الموجودة في العمل الأدبي¹⁸⁹. ويتفق كل من (دي سوسير، غريماس وهمسليف) أنها عزل النص عن صاحبه وسياقاته المحيطة به مع رصد لعناصره: "فكما يقدم الكاتب على إنتاج دلالة النص من خلال بنائه إياه فكذلك القارئ يفتح هذه الدلالة عن طريق إعادة بناء النص وفق تصوره وتلقيه الخاص للنص"¹⁹⁰. يبدو أن السيميائية متأثرة بالشكلانية والبنوية اللذان كان لهما الأثر في تدعيم المنهج بمفاهيم ومصطلحات مثل (المحايدة، البنية، النسق، العلاقات، السانكرونية¹⁹¹... استثمرتها في دراستها للعلامة المنطوقة وغير المنطوقة والبحث في دلالتها بالكشف عن النظام الذي يحكمها.

اهتمت بالسرد ودراسة العلامات الدالة ومواصفاتها وقدرة الخطيب في تنظيم خطابه وبناءه. كما يتميز المنهج السيميائي بخاصية الثراء والتنوع في المشارب الفكرية والمعرفية.

شكلت الرموز من بين اهتماماتها في الكشف عن أسرارها ودلالاتها في متن الأساطير والرسم والفن التشكيلي وغيرها من الفنون التي تعتمد على الرمز والإيحاء ففتح هذا النوع من الاهتمام المجال للتطرق إلى دراسة أنواع الأطعمة وأزياء المودة وغيرها من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية للفرد.

وعطفاً على ما سبق من تعدد لاستخدامات للمنهج السيميائي في دراسة العلامة بوجه عام والتعرف على مدلولها ومعناها وماهيتها تشكل فريقين عملاً على دراسة العلامة وموضوعها والكشف عن مدلولها فيتمثل الفريق الأول بدراسة العلامة من منظور سيميائي

¹⁸⁶ ينظر بشير كاوريريت: مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الأصول والملاحم والإشكالات النظرية والتطبيقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة 2008، ص130.

¹⁸⁷ المرجع السابق، ص 131.

¹⁸⁸ ينظر بيير جيرو: علم الإشارة، ترجمة منذر عياش، دار طلاس (د.ت)، ص 9.

¹⁸⁹ ينظر جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنوان، مجلة عالم الفكر عدد 3، يناير مارس الكويت، 1997، ص80.

¹⁹⁰ يمني العيد الراوي: الموقع والشكل، دراسة في السرد الروائي: مؤسسة الأبحاث العربية، ط8، بيروت لبنان، ص16.

¹⁹¹ ينظر جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، مكتبة المثقف، ط1، 2015 ص12.

التواصل يعتبر العلامة مظهرا وظيفي غايته التواصل أما الفريق الثاني اهتم بالعلامة من منظور تواصل لكنها ذات مظهر دلالي ويمكن تفصيل القول في كل من الاتجاهين.

سيمولوجيا التواصل:

تشكل لسانيات التواصل لدى دي سوسير القاعدة الفكرية والنظرية لسيمياء التواصل وعرفت بمصطلح: (السيمولوجيا)، تهتم بدراسة العلامة داخل الحياة الاجتماعية¹⁹². إضافة إلى افكار "بلومفيلد" في التحليل النفسي وجهود "بويسينس" التي اتخذت جهودهما منحى نفسيا في تحليلهما السيميائي حيث تضمنت دراسة بعنوان: "محاولة في الألسنية الوظيفية في إطار السيميائية"¹⁹³ حيث شكلت الآليات المستخدمة في التأثير على المتلقي موضعا لدراسته¹⁹⁴. فبدأت شيئا فشيئا تتشكل فكرة أن العلامة هي آلية وظيفتها التواصل وأصبحت في نظرهم ثلاثية المظهر (دال- مدلول وقصد) وهذا الأخير يتمثل في التواصل.

سيمولوجيا الدلالة:

يتخذ هذا الاتجاه أيضا من أفكار (دوسوسير) أساسا له حيث تعتبر العلامة ليست ذات قصدية تواصلية وإنما وظيفتها الدلالة يقذف بنا هذا المفهوم باتجاه اللسانيات الوظيفية والمبادئ التي دعا إليها (هيمسليف) وكشفته دراسات (غريماس) على النصوص الأدبية وتطبيقات (كلود ليفي شتراوس) و(رولان بارث) على أدب الأساطير فركزوا كلهم على العلامة ونظامها وأنساقها الدالة¹⁹⁵. إلا أن (رولان بارث) نجده قد تميزت دراساته بشيء من التنوع والتعدد والاختلاف لتشمل البعض من مظاهر حياة الفرد والمجتمع باستحداثه لمواضيع جديدة في لبقل السيميائي مثل دراساته لأنواع الأطعمة والألوان وعالم الأزياء والمودة والبحث عن العلامة فيها من منظور دلالي¹⁹⁶.

ويمكن لنا ذكرت بعض التفرعات التي شملها المنهج السيميائي حيث تولدت عنه جملة من الحقول الجديدة للدراسة التي فرضها تخصص النقد وتوجهاتهم منها:

- تحليل السيميائي للخطاب الشعري: ويمثله كل من "جورج مونان"، "جاكسون"، "جوليا كريستيفا"، "ريفاتير ميكائيل". والشعرية مصطلح قديم مرتبط باللسانيات حيث أقر (جكسون) في نظريته أن اللغة لها عدة وظائف و التواصل احداها واهتم بالموضوع أو الرسالة وما تنتجه من معاني ودلالات¹⁹⁷.

¹⁹² - Eric Buissens :Les langage et le discours ,éd.U.F, Paris, 1967, p2.

¹⁹³ ينظر: رولان بارث: درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعيد العالي، ط 2، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986 ص 2.

¹⁹⁴ ينظر حمادو عائشة، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ص 8.

¹⁹⁵ ينظر رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عن مقدمة القاموس لعبد الحميد بورايو، ص 8 - 9.

¹⁹⁶ ينظر سيزا قاسم وأبو زيد ناصر حامد: مدخل إلى السيميوطيقا، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات عيون ط1، الدار البيضاء،

المغرب، 1987، ص 68.

أنظر رايح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، ص 57-58 عن معجم السيميائيات، فيصل الأ¹⁹⁷ الأحمر، ص 290.

- حقل سيميائ السرد شمل دراسات للقصة والرواية يمثله: " غريماس"، كلود بريمون"، "رولان بارت"، جوليا كريستيفا"، تودوروف"، جيرار جنيت"، ' فليب هامون".
- حقل تحليل الأسطورة و الحكاية الخرافية على ضوء المنهج السيميائي يمثله: "فلاديمير بروب"، "كلود ليفي شتراوس"
- حقل الدراسات السيميائية للمسرح يمثله: "هيلبو"، "إيلام كير"
- حقل سيميائ الإشهار يمثله " رولان بارت " ، "جورج بنينو"
- حقل سيميائ أزياء المودة والأطعمة يمثله: " رولان بارت".
- حقل سيميائ الصورة: "رولان بارت"
- حقل سيميائ للفن التشكيلي والرسم يمثله: "بيير فرو كونتيل"، " لويس مارتان".

تطبيقات المنهج :

إن للسيميائية مجالات مختلفة ومتعددة عكستها حقول وفروع معرفية كثيرة كانت نتيجة تعدد التخصصات العلمية للنقاد والدارسين المهتمين بها حيث تجلت مجالاتها فيما يلي:

دراسة العلامة اللسانية وغير اللسانية وهذا التوجه الذي دعت إله جوليا كريستيفا بقولها: " إن مجالاتها تنحصر في دراسة الانظمة الشفوية وغير الشفوية¹⁹⁸.."

- الاهتمام بالبحث في الدلالة اللفظية وهو المجال الذي تبناه "جوزيف كورتيس" باعتماده على الآليات التحليلية للكشف عن الدلالة اللفظية وغير اللفظية.

- من بين اهتمامات المنهج السيميائي دراسة كل ما له صلة بحياة الفرد والمجتمع وهو ما دعا إليه "أمبيرطو إيكو" بدراسة الموضوعات التي من خلالها تكون سبيلا وتؤدي إلى كشف وفهم الذات البشرية¹⁹⁹.

- يهتم المنهج السيميائي في نظر "بيرس" بدراسة كل أشكال ومظاهر الوجود التي من شأنها تشكيل موضوعا ينتج جملة من المعاني الدلالية

أما بخصوص العالم العربي يذكر الناقد الجزائري (يوسف وغليسي): " أن السيميائية قد وصلت متأخرة نسبيا وعقدت لها ملتقيات وأسست لها جمعيات على غرار "رابطة السيميائيين الجزائريين" ومجلات مثل مجلة دراسات سيميائية لسانية" المغربية 1987 وخصصت لها معاجم وقواميس من قبل رشيد بن مالك وسعيد بنكراد واعتمدها النقاد العرب كمنهج معاصرا للدراسة على غرار محمد مفتاح عبد المالك مرتاض، أنولر المرتجى عبد القادر فيدوح عبد الحميد بورايوصلاح فضل عبد الله الغدامي²⁰⁰... تلقى المنهج السيميائي عن طريق التأثير والتأثر والمناقشة والترجمة للإنتاج الغربي في الحقول السيميائية إلى العربية حيث كانت لجهود الناقد الجزائري رشيد بن مالك الذي تأثر بأستاذه غريماس في الجامعة الفرنسية حيث أصبح يمثل الوسيط لسيميائ غريماس وجهود الدكتور والناقد عبد

198 ميشال فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي ، دار الفرابي، بيروت، لبنان 1989، ص156

199 ينظر فرديناند دي سوسير: دروس في الأسنوية العامة، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 2011، ص27.

200 يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص98.

المالك مرتاض التي اهتمت بالشعر والنثر، إلى جانب جهود كل من سعيد بن كراد والحميد الحميداني في مجال الدراسات السيميائية في المغرب²⁰¹. وتخصيص القواميس والمعاجم للمصطلحات السيميائية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "معجم المصطلحات السيميائية" لفيصل الأحمر، وقدم الناقد المغربي محسن عمار دراسة عنونها ب: "مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب" ويقول عنه (رشيد بن مالك) أن: "الباحث حاول أن يقدم فكرة عن البحوث السيميائية في المغرب وعن الانجازات العلمية الراهنة في الكتب المنشورة والدراسات الأكاديمية غير أنه لم يقتف أثر كل دراسة... وتكمن دراسة محسن عمار كونها في توجيه القارئ إلى الدراسات السيميائية الأساسية في المغرب وقواميسها".²⁰² فبدأ المنهج شيئا فشيئا يأخذ معالمه في العالم العربي منذ منتصف السبعينات إلى غاية اكتماله في الثمانينات وتجلي في شكل دراسات نقدية معتمدة المنهج الجديد وكانت لجهود الناقد العربي صلاح فضل دورا هاما وبارزا في حقل السيميائيات وهو الذي عرفها ب: "العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الغشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة"²⁰³. ويبدو ان صلاح فضل متأثرا بأفكار "رولان بارث" و "غريماس" اللذان بحثها في دلالة العلامة أما الناقدة "سيزا قاسم" تعتبر السيميائية: "نتيجة لتفاعل بين حقول معرفية متفرعة"²⁰⁴. وتشكل في مفهوم حميد الحميداني: "لعبة التفكير والتركيب والوقوف على البنيات العميقة الجاثمة وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا"²⁰⁵.

ويعتبرها (مازن الوعر) أنها علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها، فهي علم يدرس بنية الإشارات توزعها ووظائفها الداخلية وعلاقتها بالعالم الخارجي²⁰⁶. واستخلاصا من التعاريف السابقة يتضح لنا جليا أن العرب واجهتهم نف الاشكالية التي صادفها الغرب في تحديد تعريف واحد وشامل لمصطلح السيميائية فاختلقت بين ما هو علاماتي ودلالي وثقافي حيث تعددت مواضيع حقول الدراسة في السيميائية بين الشعر والنثر وكل مظاهر الثقافة والرسم والفن والصورة وحياة الفرد في المجتمع أما على مستوى الدراسات النقدية الأدبية قاموا بالتحليل المحايث للنصوص بعزلها عن كل المؤثرات الخارجية والتعامل معه بوصفه بنية مستقلة والبحث عن المعنى الذي يمثل نتاجا لجملة من العلامات التي تربط بين عناصر النظام²⁰⁷.

²⁰¹ ينظر جميل حمداوي: مدخل إلى المنهج السيميائي، مجلة آمال، شهر فيفري 2009، المغرب ص39، من الموقع الالكتروني:

h/p/www.arabicnadwah.com

رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، طالأولى، عمان الأردن 2002، ص25.²⁰²

²⁰³ حمادو عائشة، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات تلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة،

ص 10.

²⁰⁴ فيصل الاحمر: الدليل السيميولوجي، دار الألمعية، الجزائر، 2011، ص77

²⁰⁵ المرجع السابق، ص158

²⁰⁶ المرجع السابق ص 79.

²⁰⁷ رشيد بن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي، ص189.

واعتمد بعض النقاد العرب في دراساتهم للنص الأدبي على المنهج البنيوي بعزل النص واعتباره بنية مستقلة بالتركيز على بنياته الدالة من تشابه وتمائل وتضاد و"البحث عن العلائق التي تربط بين شبكة النظام اللغوي"²⁰⁸.

وشكل بذلك التحليل البنيوي إحدى الركائز الأساسية للمنهج السيميائي واهتمامه بتمظهرات وتشاكلات العلامة اللغوية وكيفية فك شفرتها

الاستنتاج:

ومن خلال ما سبق نقول أن السيميائية بوصفها أحد المناهج النقدية المعاصرة قد أحدثت طفرة متميزة في مجال دراسة النصوص تحمل الناقد على المثاقفة وتحصيل العلم والمعرفة واستخدام المنطق الفلسفي وكل ما يتصل بالعلوم والمعارف حتى يكون الناقد في مستوى القارئ المثقف للتحكم أكثر في المنهج وآلياته الاجرائية التي تبقى دوما آيلة إلى التجدد والتعدد والتنوع فهي في توالد مستمر توظف للطشف عن جوهر النص وفك رموزه ولازال إلى حد يومنا هذا المنهج السيميائي يشق طريقه نحو التجدد والتميز في العالم الغربي والعربي للوصول إلى ممارسة نقدية سيميائية في تحليل موضوعي وعلمي للخطاب .

المصادر والمراجع:

رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، طالأولى، عمان الأردن 2002، ص25

حمادو عائشة ، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ميشال فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي ، دار الفرابي، بيروت، لبنان 1989،

ر فرديناند دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 2011،

ينظر: رولان بارث: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، ط 2 ، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986

حمادو عائشة ، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، .

رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، عن مقدمة القاموس لعبد الحميد بورايو، سيزا قاسم وأبو زيد ناصر حامد: مدخل إلى السيميوطيقا، مطبعة النجاح الجديدة ، منشورات عيون ط1، الدار البيضاء ، المغرب، 1987،

رابح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عناية الجزائر، ص57-58 عن معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنوان، مجلة عالم الفكر عدد 3 ، يناير مارس الكويت، 1997

يمنى العيد الراوي: الموقع والشكل، دراسة في السرد الروائي : مؤسسة الأبحاث العربية، ط8، بيروت لبنان،

جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، مكتبة المثقف، ط1، 2015

البنوية

المحاضرة الرابعة

أ.خالدي سمير

البنية لغة :

ورد معنى بنية معجم لسان العرب أن : " البني نقيض الهدم، فنقول بنى البناء بنيا، وبناء وبنينا وبنية وبنياته وجاء في قول الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أمنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا(209)

وكلمة بنية مشتقة من الفعل الثلاثي (بنى) الذي يدل معناه على البناء والتشييد كما ورد معناها في كتاب: " مشكلة البنية" لذكريا إبراهيم على أنها كلمة أجنبية (structure) يدل على البناء والتشييد(210)

209 ابن منظور : لسان العرب تحقيق ياسر سليمان وفتحي السيد، (د.ط)، المكتبة التوقيفية (د.ت) ج1، القاهرة، ص 626.

210 ذكريا ابراهيم: مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، (د.ط)، القاهرة (د.ت)، ص29.

أما في رأي الناقد الجزائري (يوسف و غليسي) أنها لم ترد كثيرا في التراث النقدي العربي الذي تضمن بعض الاشتقاقات للكلمة نحو بناء و بنية⁽²¹¹⁾ ... وفي القرآن الكريم في مثل قوله جل جلاله: "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء."⁽²¹²⁾ وفي قوله أيضا: "فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم."⁽²¹³⁾

ب البنية اصطلاحا:

ذكر جان بياجي أن مفهوم المصطلح - بنية - قد اقتحم مختلف العلوم والمناهج الفكرية والفلسفية حيث تشكل لها معنى مصطلحاتي ومفاهيمي متنوع ومتعدد من خلال قوله بأن: "إعطاء تعريف موحد للبنية رهين بالتميز بين فكرة المثالية الإيجابية التي تقدم مفهوما للبنية في الصراعات وفي آفاق مختلفة أنواع البنيات والنوايا النقدية التي رافقت نشوء وتطور كل واحدة منها مقابل التيارات القائمة في مختلف التعاليم."⁽²¹⁴⁾

أهم المرتكزات التي تقوم عليها البنيوية

- "المدرسة الشكلانية" التي ظهرت في الاتحاد السوفياتي سابقا ما بين 1915 و 1930 روجت إلى دراسة داخلية للنص تقوم على كشف العلاقات التي تكتم وحداته واعتبرت النص نظاما ألسنيا يقوم على رموز ووسائط علامائية للواقع وليست انعكاسا له وأقصت الجانب التاريخي في دراستهم للبنية⁽²¹⁵⁾ ومن أهم روادها (رومان جاكسون) 1896-1983 و(يوري تينيانوف) 1894-1984 و(بوريس ايخنباوم) و(فيكتور شلوفسكي) 1893-1984 و(بوريس توماشوفسكي) 1890-1957. التي اهتمت بالشكل دون المضمون في دراستها للأدب عموما والشعر خصوصا حيث ذكر (جاكسون) أن: "ليس الأدب هو موضوع علم الأدب وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا"⁽²¹⁶⁾. وركزوا على الشكل اللغوي للنص دون مضمونه ونادوا بجملته من المبادئ المتمثلة في: استقلالية العمل الأدبي وعزله عن كل المؤثرات

²¹¹ يوسف و غليسي: البنية والبنيوية، بحث في البنية اللغوية والاصلاح النقدي، (د.ط)، جامعة قسنطينة الجزائر (د.ت)، ص19.

²¹² سورة البقرة الآية 22.

²¹³ سورة الكهف، الآية 21.

²¹⁴ جان بياجي: البنيوية: ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، 1989، ص7.

²¹⁵ محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 2003، ص13.

²¹⁶ شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقيدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ط1، بن عكنون، الجزائر 1998، ص136.

الخارجية⁽²¹⁷⁾ و رفضهم للنزعة التاريخية التي في نظرهم تحيد بالنص عن مهمته الرئيسية وهي الحفاظ على صورة وجمالية العمل الأدبي بعيدا عن التاريخ.⁽²¹⁸⁾ واعتبرت الأدب ابداع وتعبير عن الأفكار وليس انعكاسا للواقع.

وشكلت لسانيات دوسوسير أحد المرتكزات الأساسية وكان لها دورا مهما في ظهور المنهج البنيوي وكان ذلك من خلال نشر محاضراته التي كان يلقيها على طلبته في جامعة جونيف سنة 1916 بعد وفاته بثلاث سنوات حيث شكلت الثنائيات في لسانياه العصب الرئيسي للبنيوية إلا أنه لم يرد مصطلح بنية صريحا في محاضراته فكان ضمنا وكانت جهوده ارهاصا اعتبر النص نظاما لغويا له خصوصياته⁽²¹⁹⁾. وكان للحركة النقدية في أمريكا وازدهارها في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات واهتم الناقد (عزرا باوند) بالخطاب الشعري واعتبره شكلا من أشكال المنطق الرياضي الفني²²⁰ أما (هيوم) فقد اهتم بشكل القصيدة على حساب مضمونها²²¹ وقام (جون كرو رانسوم) بدراسة الشعر لذاته وفي ذاته²²² ومثلت حلقة براغ وهي من أهم الحلقات اللغوية: تأسست على يد (فيلام ماتيزيوس) سنة 1926 بمشاركة كل من (رومان جاكبسون)، (نيكولاي تروتسكوي) و(سيرج كارشفسكي) الذين هاجروا من الاتحاد السوفياتي إلى بلدان أوربية بسبب اضطهاد الشيوعية للعلماء والمفكرين متشبعين بأفكار ومبادئ الشكلائية فكان لهم الفضل في تدعيم الحلقة، حيث كان لهم دور كبير في إنعاش حقل الدراسات اللغوية وتقوم الحلقة على جملة من المبادئ مثل: الاهتمام بالجانب الوظيفي للغة وما يمكن أن تقوم به مختلف البنيات النحوية والصوتية والدلالية في أفراد المجتمع.²²³ والاهتمام بالشكل في دراستها للنص تشمل مستويات التحليل اللساني: (صرفي، نحوي، دلالي وتركيبية). بغية اكتشاف وظيفة التعبير

²¹⁷ ينظر فيكتور إرليخ: الشكلائية الروسية، ترجمة: الوالي محمد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان 2000 ص14.

²¹⁸ أنظر شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقيدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي، مرجع سابق، الجزء3، ص 5.

²¹⁹ محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 2003، ص13.

²²⁰ ينظر محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 2003، ص13

²²¹ المرجع السابق ص نفسها

²²² المرجع السابق ص نفسها.

²²³ ينظر أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، بن عكنون الجزائر 2002، ص136.

وعلاقة الكلام بالمتكلم، وعدم الاعتراف بالجانب التاريخي. وشكل الشعر موضوعا للدراسة بوصفه جنسا أدبيا له القدرة على النفاذ إلى أحاسيس المتلقي من خلال وزنه وموسيقاه.²²⁴ وكان للعالم اللساني (موكاروفسكي) أحد أعضاء (حلقة براغ) من أطلق عليها تسمية (المنهج البنيوي) خلال المؤتمر الدولي للسانيات بلاهاي سنة 1928. كما أقحم (رومان جاكبسون) الدراسة الصوتية في المنهج⁽²²⁵⁾. وكان من بين أهداف الحلقة اقناع المعارضين والنقاد للبنوية أنها منهج يهتم بالبنية ووظيفتها وفق دراسة شاملة تهتم بكل المستويات التحليلية.

وانتشرت البنوية إلى أوروبا وتحديدا (فرنسا) على إثر التقاء (رومان جاكبسون) باللغوي الفرنسي (كلود ليفي شتراوس) بالولايات المتحدة الأمريكية حيث استطاع هذا الأخير أن يتعرف على أفكار وآراء جاكبسون وهناك من يعتقد أيضا أن السبب يعود إلى انشاء حلقة لغوية فرنسية تسمى بـ: (Tel Quel) وهي نفس التسمية التي أطلقها العالم الغوي (فيليب صولر) على إحدى مجلاته النقدية وكان من رواد هذه الجماعة كل من (جوليا كريستيفا) (رولان بارت) (ميشال فوكو) (جاك دريدا)⁽²²⁶⁾ وتمكن الفرنسيون من الاطلاع على لسانيات دوسوسير من خلال كتابه محاضرات في اللسانيات العامة التي ترجم إلى مختلف لغات العالم إلى جانب وصول مؤلفات أخرى في مجال الدراسات اللسانية المترجمة إلى اللغة الفرنسية على سبيل المثال: "اللغة الأساسية للبنوية وما بعدها" لجاكبسون سنة 1963، وكتاب: "نظرية الأدب" لتودوروف" 1965 و" مورفولوجيا الحكاية" فلاديمير بروب 1970⁽²²⁷⁾.

وحاولت المدرسة الفرنسية جاهدة في تطوير وإنعاش حقل الدراسات البنوية في فرنسا من خلال جملة من الدراسات التي تزعمها كل من (جيرار جنييت)، (رولان بارت)، (جوليا كريستيفا)، (تزفيتان تودوروف). وكان لهذه المدرسة دور كبير في ظهور التيار البنيوي في كوبنهاغن بتأسيس حلقة كوبنهاغن اللغوية سنة 1931 تزعمها (بروندال) و(همسلف) وحلقة نيويورك سنة 1934 من زعمائها (سبير) و(بلوموفيلد).

أهم مصطلحات البنوية:

²²⁴ ينظر فيصل الأحمر ونبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، ط1، الجزائر 2009، الجزء الثاني، ص378.

²²⁵ ينظر صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت 1980، ص108.

²²⁶ يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، ص69.

²²⁷ المرجع السابق ص 69.

تعتمد البنيوية على لسانيات دوسوسير وبشكل خاص الثنائيات، (لغة، كلام)، فاللغة هي النظام العام بينما الكلام فهو الانجاز الفعلي للغة في الواقع، أي أن اللغة تتحقق في الكلام.⁽²²⁸⁾ (والدال والمدلول): يغرف الدال بـ: الصورة السمعية (signifiant) و المدلول بـ: الصورة الذهنية (signifie) تجمع بينها علاقة اعتباطية (arbitraire)⁽²²⁹⁾.

ويعد النسق: الشكل التعبيري الذي وردت عليه البنية التي تتكون من مجموعة من العلاقات التي تربط بين عناصرها ولا تتحقق دلالة أي عنصر إلا إذا ارتبط بالعناصر الأخرى. ومن بين المصطلحات أيضا الأنوية والزمانية: ويقصد بالأنوية (synchronique) دراسة وصفية للظاهرة اللغوية في لحظة زمنية محددة. بينما الزمانية (diachronique): الدراسة التاريخية للظاهرة اللغوية بالوقوف على ظهورها، نشأتها وتطورها عبر المراحل التاريخية.²³⁰ أما الاقتران والتركيب: يعني الاقتران (associative) بكيفية تشكيل وتنظيم المفردات في ذهن المتكلم فيتخير منها ما يناسبه في تعبيراته وفق النظام الذي يحكم اللغة.²³¹ أما التركيب فيتمثل في العلاقة التي تربط وتزواج بين المفردات في الجملة الواحدة.²³²

خطوات المنهج البنيوي:

يعتمد المنهج البنيوي في تحليله على جملة من الخطوات بغية كشفه عن البنية وتحليلها والتعرف إلى النظام الداخلي الذي يحكمها وتتمثل هذه الخطوات في أن موضوع الدراسة يقوم على البنية التي هي في نظر "لوفي شتراوس": "أفضل طريقة لدراستها التحلي بمبدأ المعقولية لأن البنية ذات طبيعة عقلية²³³". ومن بين مبادئها يعتبر النص الأدبي بنية معرفية مغلقة ومستقلة بذاتها. وأن أساس البنية يكمن في العلاقة التي تربطها بباقي البنيات الأخرى. ويعتمد المنهج البنيوي على مبدأ المحايثة وذلك بعزل النص عن مؤلفه، وكل المؤثرات الخارجية. ودراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

تطبيقات المنهج

²²⁸ ينظر زكريا ابراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر (د.ط)، ص48.

²²⁹ ينظر إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بار سوتر إلى هارماس، ترجمة: محمد حسن غلوم،

مراجعة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد 244، الكويت 1999، ص202.

²³⁰ الزاوي بغورة: البنيوية منهج أم محتوى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، العدد 4، المجلد 30، الكويت أبريل 2002، ص25.

²³¹ ينظر نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب (د.ط)، القاهرة مصر 2004، ص

81.

²³² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

²³³ الزاوي بغورة: البنيوية منهج أم محتوى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، عدد 4 المجلد 30، أبريل الكويت 2002 ص25.

كمحاولة لدراسة النص الأدبي وبحثاً عن تكشف لغة النص في طرائق تعبيرها والمستوى الجمالي والفني وعلاقتها بالتطور الاجتماعي ظهر ما يعرف بالمنهج البنوي التكويني. وانطلاقاً من هذا التصور نشأت عدة مفاهيم ورأى تخص المصطلح.

يحمل مصطلح (البنوية التكوينية) (Structuralisme Génétique) في جوهره فكرة أساسية تتمثل في التصور العلمي للحياة الإنسانية في إطارها الاجتماعي واعتمد في تأسيسه على جملة من أفكار العالم النفساني: (سيغموند فرويد) ومستوحية مصطلحاته العلمية والمعرفية من فلسفة (هيجل) و(كارل ماركس) و(جان بياجيه). وهي في نظر (لوسيان غولدمان): "تعتبر النص بنية وظيفية جمالية مفتوحة على الواقع الاجتماعي، تقدم تفسيراً للحياة من خلال التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية وكذلك الثقافية لمجتمع ما²³⁴.

يمكن القول أن البنوية التكوينية هي دراسة اجتماعية للأدب غايتها رصد الظواهر الأدبية والفنية والثقافية للنص بالشرح والتعليل وتشكل تفسير اجتماعي يكشف عن العلاقة التي تربط بين الأدب والمجتمع في توليد بنيته الداخلية.

اعتمد (لوسيان غولدمان) المنهج البنوي التكويني في دراساته للنصوص النثرية كالتي طبقها على الرواية تضمنها كتابه المعنون بـ: "سوسيولوجيا الرواية" ودراسته للمسرح التي وضع لها عنوان: "الإله الخفي". حيث اقتصرت جهوده على النثر دون الشعر. يقوم المنهج البنوي التكويني على آليتين إجرائيتين تتمثلان في: (آلية الفهم) (Compréhension): تجعل من بنية النص المغلقة حقلاً للدراسة ومحاولة تفكيكها والبحث عن علاقتها السمات والدلالات والتمثيلات الاجتماعية التي تضمنها متن النص أو العمل الفني. و (آلية التفسير) (Explication) تقوم على مقارنة النص بالمجتمع من خلال الكشف عن علاقة البنية التحتية والبنية الفوقية واعتمدت بالأساس على اللاوعي الجماعي في عملية الإبداع وتوليد بنية النص الداخلية.

ويرى (جورج لوكاتش) أن الرواية ملحمة بورجوازية بطلها مثالي يتطلع إلى عالم المثل يجسد من خلال أفكاره ومبادئه التي ظل يفقدها في واقعه وأنه يعكس، الأنا الاجتماعي. إنها رحلة بحث مستمرة. ويبدو أن (جورج لوكاتش) متأثراً في نظريته بأفكار (هيجل) محاولاً بذلك تأسيس نظرية في الرواية الحديثة في القرن التاسع عشر: "نتيجة للصراعات الإيديولوجية للبورجوازية الصاعدة ضد الإقطاعية المتدهورة... التي لم تمنع الرواية التي كانت في طور الولادة من تلقي كل موروث الثقافة الإقطاعية في ميدان السرد القصصي²³⁵". واعتمد تصنيفاً للرواية: (رواية ذات الطابع المثالي)، (رواية الرومانسية)، (رواية التربية) ورواية تقترب من الملحمة المجددة: ".

²³⁴ ينظر جمال شحيد: في البنوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، (د.ط)، بيروت لبنان

1982، ص71.

²³⁵ جورج لوكاتش: الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)،

ص13.

التي تتجلى في أعمال: (دوستوي فيسكي) و (تولوستوي) يظهر فيها البطل ذاته الإنسانية تطمح إلى تحقيق أغراضها وأهدافها في المجتمع.²³⁶ "

وشكل مفهومه لمصطلح "الشخصية" أهمية كبيرة في دراسته للإبداع الروائي من خلال البحث عن علاقة البطل بواقعه الذي يبدو ثائرا عليه ورافضا له مجسدا في جملة من مشاهد الصراعات ضده بغية بلوغ هدفه المنشود وتحقيق عالمه المثالي بحيث يقحمه ذلك في أزمة نفسية وصراع داخلي يفقده الإحساس بوجوده في الحياة فيدفعه هذا الشعور السلبي في الحياة بالبحث عن حقيق المثل العليا²³⁷. ليمتد بعد ذلك التيار البنيوي إلى باقي دول أوروبا مع بدايات الستينيات من القرن العشرين وتأثرت الماركسية كغيرها من المدارس النقدية بالأفكار البنيوية فإذا كانت البنيوية: "تعتبر السلوكات والكلام اليومي (الفردية) ليس له معنى بمعزل عن أنساق الدلالة التي تولدها فإن الماركسية ترى أنه هناك بنية فوقية تمثل الدين السياسة والثقافة والقانون) و البنية التحتية تمثل القوى الاقتصادية والاجتماعية والتباينات الطبقة واعتبرت النص تعبير عن الواقع"²³⁸.

فقد ركزت الماركسية على الجانب التاريخي والاجتماعي للدوال وتراهما يضيفان قيمة فنية على دلالاتها وكان لها رأيا في الفرد الذي اعتبرته هو الذي يكون اللغة وليس هي التي تحدد وعيه.²³⁹

تمثل الواقعية أحد أهم المفاهيم التي تضمنتها نظريته النقدية للرواية مخصصا لها دراسات وأبحاث مستندا فيها على جملة من الأفكار والآراء للفلاسفة والمفكرين أمثال: (أنجلز)، (لينين) و(كارل ماركس) حيث أسس مفهومها يخص "الواقعية الاشتراكية"²⁴⁰ متجاوزا في تعريفه النظرة "الهيكلية" مثلا أن لا تكون الشخصية مرآة عاكسة للواقع فاسحا بذلك المجال للعمل الأدبي لبلوغه: "القدرة الإبداعية على الإمساك بالكلية الاجتماعية بغية الخوض في ما هو كامن خلف الظواهر الحسية وما يمثله من حقيقة جوهرية.²⁴¹ " والأدب ف ينظره ليس انعكاسا للواقع بل هو عملية إبداع تحقق شرط التعبير عن إحساس الذات وتوترها في الواقع الاجتماعي²⁴². ودعا (لوكاتش) إلى الجمع بين الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية بقوله: " لا بد أن يتيح المنظور الاشتراكي للكاتب إذا فهم وجهه الصحيح وطبق تطبيقا

²³⁶ ينظر ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1987، ص11.

²³⁷ المرجع السابق، ص15.

²³⁸ محمد بن عبد الله بن صالح بلعزير: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد)، مجلة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، العدد15، المجلد16، سبتمبر 2017، ص238.

²³⁹ ينظر المرجع السابق، ص 238.

²⁴⁰ ينظر صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ط2، دار المعارف، القاهرة 1980، ص86.

²⁴¹ عبد الوهاب شعلان: إشكالية الكتابة الأدبية في الجزائر من منظور سوسيولوجي، قراءة في مقارنة في مقارنة نقدية عند عمار بلحسن، مجلة التبيين الجزائر، ع33، نوفمبر 2009، ص41.

²⁴² رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار المعارف، ط1، القاهرة (د.ت)، ص57.

صحيحاً، أن يتصور الحياة تصويراً أكثر شمولاً من أي منظور سابق دون أن يستبعد منظور الواقعية النقدية²⁴³."

يرى (لوكاتش أن الواقعية الاشتراكية والواقعية الاجتماعية تمثلان عنصران مهمان في التعبير عن المجتمع وتمثيل الأدب الحديث²⁴⁴. فالواقعية في نظره: "تقوم على مبدئين أساسيين: "مبدأ الصدق الفني" و"مبدأ التصوير" والكاتب المتميز هو القادر على إدراك الاتجاهات والظواهر وتصويرها بصدق في إطار تطورها التاريخي²⁴⁵". ويستدل على ذلك بواقعية الروائي (بلزاك) الذي لم يهتم فقط بوصف واقع المجتمع فحسب بل كان من الذين عارضوا وانتقدوا الرأسمالية وكان هدفهم بناء نموذجاً جديداً للمجتمع والذات²⁴⁶". ويمكن القول أن جهود (لوكاتش) في سوسيولوجيا النص تأرجحت بين فلسفة (هيجل) المثالية وأفكار (كارل ماركس) الاشتراكية، مثلت هذه الرؤيا إحدى المقاربات السوسيولوجية للنص الأدبي الحديث.

أما عن تطبيقات المنهج في العالم العربي فقد ظهرت إرهابات البنيوية مع أواخر الستينات من القرن العشرين: "عندما حاول الناقد محمود أمين العالم سنة 1966 عندما أطلق عليها تسمية "الهيكليّة": ولم تظهر بشكل واضح إلا في أواخر السبعينات عندما قدم مجموعة من النقاد العرب من المشرق والمغرب العربي دراسات متنوعة في الحقل البنيوي"²⁴⁷ فقام الناقد (جابر عصفور) بترجمة كتاب "عصر البنيوية" لـ (إدنت كريزويل) وأصدر (زكريا إبراهيم) كتابه: "مشكلة البنية" تضمن تعريفاً للبنية وأهمية المنهج البنيوي في الدراسات النصية وعلاقة البنية بالماركسية. وكان (لصلاح فضل) كتبه المميز المعنون بـ: نظرية البنائية في النقد المعاصر" ودراسة أخرى بعنوان: "مناهج النقد المعاصر". وقام الناقد (محمد عصفور) بإصدار كتاب: "البنيوية وما بعدها" و"البنية الاسطورية في صراخ في ليل طويل" أما (كمال أبو ديب) فأصدر كتاب: "جدلية الخفاء والتجلي" و"البنى في الشعر الجاهلي" و"البنية الإيقاعية للشعر العربي"²⁴⁸. كما قام الناقد السوري (ميخائيل مخول) بترجمة كتاب "البنيوية" لـ: (جان ماري أوزياس) سنة 1972 حيث كانت دراسة وافية عن المنهج البنيوي وعلاقاته بعلم اللغة والسيمائية وعلم الدلالة معرفاً برواد البنيوية كل بحسب اختصاصه ففي مجال الأنثروبولوجيا (كلود ليفي شتراوس)، وفي علم

²⁴³ جورج لوكاتش: معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة: جورج طرايبيشي، دار المعارف (د.ط) مصر 1975، ص129.

²⁴⁴ المرجع السابق، ص144.

²⁴⁵ المرجع نفسه، ص70.

²⁴⁶ ينظر جورج لوكاتش: بلزاك والواقعية الفرنسية، ترجمة: محمد علي اليوسفي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، ط1، 1985، ص16.

²⁴⁷ ينظر محمد بن عبد الله بن صالح بلعضير: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد15، المجلد16، سبتمبر2017، ص253.

²⁴⁸ ينظر محمد بن عبد الله بن صالح بلعضير: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد)، مرجع سابق، ص253.

النفس البنيوي (جاك لاكان) وفي النقد البنيوي (جيرار جنيت) وغيرهم من النقاد الذين أثروا وطوروا المنهج بجهودهم ودراساتهم المميزة.²⁴⁹ ويمكن لنا ذكر بعض الدراسات العربية التي تمثلت المنهج البنيوي التكويني مثل: دراسة (سعيد علوش) المعنونة بـ: "الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي"²⁵⁰ واقتصرت دراسة الناقد (حميد لحميداني) على الرواية المغربية في كتاب عنوانه بـ: "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي"²⁵¹. وعكف إدريس بلملح على النثر العربي القديم من خلال كتابه: "الرؤية البيانية عند الجاحظ"²⁵²

استنتاج:

للمنهج البنيوي التكويني كغيره من المناهج النقدية الأخرى إيجابياته وسلبياته فمن بين إيجابياته: الجمع بين القراءة الداخلية والخارجية لبنية النص تشمل الفهم والتفسير وتكشف بنياته بمعزل عن التحليل النفسي ، فهو منهج مركب من التأويل الداخلي للغة والتفسير الخارجي للمجتمع وتطوره.

أما سلبياته فتكمن في تغليب البعد الاجتماعي على النص وإهمال الجانب النفسي والتغاضي عن الجمالية والفنية التي يمكن أن يتيحها النص ويحس بها الناقد والقارئ. لا يعدو أن يكون المنهج البنيوي التكويني سوى دراسة سوسيولوجية للنص الأدبي عزلته عن صاحبه مقصية الجانب اللاشعوري للمبدع الذي نحسبه عاملا مهما في عملية الإبداع وإنتاج النص.

المصادر والمراجع

زكريا ابراهيم: مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، (د.ط)، القاهرة (د.ت)،
يوسف وغليسي: البنية والبنيوية، بحث في البنية اللغوية والاصلاح النقدي، (د.ط)، جامعة قسنطينة الجزائر (د.ت)،
أوزياس جان ماريو آخرون: البنيوية ترجمة: ميخائيل مخول، وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا، 1972.

سعيد علوش: الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة، ط1، بيروت لبنان 1981.

حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة ، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1985.

إدريس بلملح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة ، ط1، المغرب، 1984.
صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ط2 ، دار المعارف، القاهرة 1980.

²⁴⁹ ينظر أوزياس جان ماريو آخرون: البنيوية ترجمة: ميخائيل مخول، وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا، 1972.

²⁵⁰ سعيد علوش: الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة، ط1، بيروت لبنان 1981،

²⁵¹ حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة ، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1985.

²⁵² إدريس بلملح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة ، ط1، المغرب، 1984.

- عبد الوهاب شعلان: اشكالية الكتابة الأدبية في الجزائر من منظور سوسيولوجي، قراءة في مقاربة في مقاربة نقدية عند عمار بلحسن، مجلة التبيين الجزائر، ع33، نوفمبر 2009، 1 .
- رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار المعارف، ط1، القاهرة (د.ب)،
- جورج لوكاتش : معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار المعارف (د.ب) مصر 1975.
- جمال شحيد: في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، (د.ب)، بيروت لبنان 1982.
- جورج لوكاتش: الرواية ، ترجمة: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ب)، (د.ب).
- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1987.

المنهج الأسلوبي

المحاضرة السابعة

أ.خالدي سمير

مقدمة:

يحولنا الحديث عن الأسلوبية كمنهج إلى الجذور القديمة الضاربة في عمق التاريخ فهي موروث تعاقبت عليه الأجيال عبر الأزمنة والعصور المختلفة كان للفرد فيها دورا بارزا في الظهور والتميز بإنتاج الكلام واللغة فأصبح لكل مبدع أسلوبه الخاص به وطريقته في الكتابة . وبمجيئ فرديناند دي سوسير العالم اللساني السويسري بلسانياته الحديثة وتحديدًا الثنائيات (لغة كلام)، (دال مدلول)، (الأنية والزمانية)... التي أقرت بأن اللغة نظام اجتماعي والكلام يمثل الإنجاز الفعلي للغة في الواقع وهو المجال الذي اتخذته اللسانيات موضوعا لدارستها واعتبرت أن الفرد يستطيع تطوير والإبداع فيه بما يتناسب مع حاجياته للتعبير والكتابة، بغية التواصل مع الآخر. فمنذ هذه اللحظة باتت الأسلوبية منهجا قائما ومستقلا بذاته تعنى باللغة كموضوع إجرائي واصبحت للفظة والجملة والنص والفقرة والخطاب شأنًا فعدت بذلك اللسانيات من بين مرتكزات الفكرية والعلمية التي قام عليها المنهج الأسلوبي في بدايات نشأته. وعدت إحدى فروع اللسانيات العامة. والعلاقة بينهما جد وثيقة .

مفهوم الأسلوب لغة:

حضيت كلمة أسلوب منذ القدم عند العرب أهمية بالغة فورد معناها في لسان العرب : "الطريق الممتد ، أو السطر من النخيل" ويقال السطر من النخيل أسلوب، ويطلق على كل طريق ممتد أسلوب، وقال الأسلوب الطريق والوجه والمذهب جمع أساليب، والأسلوب بالظم الفن أخذ فلان في أساليب من القول أي تقن منه.²⁵³ وهو في رأي الجرجاني: "ضرب من النظم و الطريقة فيه²⁵³". ويمثل عند حازم القرطاجني: "صورة الحركة الإيقاعية للمعاني في كيفية تواليها واستمرارها.²⁵⁴ وكان لابن خلدون رأيا أيضا حيث اعتبره: "المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القلب الذي تفرغ فيه²⁵⁵". ويتفق معه أحمد شايب في الرأي إذ يمثل: "طريقة الكتابة والإنشاء والاختيار والتأليف للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير²⁵⁶".

مفهوم الأسلوب اصطلاحا:

يعتبر مصطلح الأسلوب أقدم من الاسلوبية حيث عايش الأسلوب البلاغة في كنف واحد منذ قيام الحضارة الاغريقية²⁵⁷ وارتبط المصطلح أيام الاغريق بالبلاغة والشعر ويعود التنظير للمصطلح إلى (أفلاطون)و (أرسطو) واعتبر أفلاطون الأسلوب ميزة تتضمن البعض من الإمكانيات التعبيرية وتفنقدها أخرى وتتمثل في قدرات الكاتب ومهارة لا تتوفر عند كل المبدعين²⁵⁸ أما (أرسطو) فاعتبر أن قيمة الأدب تكمن في أسلوبه²⁵⁹. واستقر أهل البلاغة

²⁵³ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، القاهرة، 1404، ص46.

²⁵⁴ حازم القرطاجني: منهج البلغاء وسيراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان، 1981، ص227.

²⁵⁵ ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي ، (د.ط)، بيروت لبنان 1402، ص570.

²⁵⁶ أحمد شايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط6، القاهرة مصر، 1966، ص44.

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص324.²⁵⁷

أنظر المرجع السابق ص325.²⁵⁸

المرجع نفسه ص نفسها.²⁵⁹

في القرون الوسطى على وجود ثلاثة أشكال للأسلوب (البسيط ، المتوسط والراقي)²⁶⁰ وكان (جورج بوفون) قد تميز بمفهوم جديد للمصطلح فعرفه بقوله: " الأسلوب هو الرجل²⁶¹."

يرى صلاح فضل أن علم الأسلوب هو مصطلح: ينحدر من أصول مختلفة ، ترجع إلى أبوين قديمين هما علم اللغة وعلم الجمال²⁶². " ويعتبره أحمد حسن الزيات : " طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام²⁶³."

وإذا كانت الأسلوبية أو علم الأسلوب : " تطبيق لعلم الألسنية في دراسته للأسلوب، فإن الأسلوب يختص بصناعة اللغة²⁶⁴" أصل الكلمة: "لاتنية STILUS وفي معناها المثقب المعدني الذي يستعمل في الكتابة على الألواح المشمعة²⁶⁵". ثم بدأت الكلمة تأخذ معاني مختلفة مع مرور الزمن: " وانتقلت دلالة الكلمة من كيفية التنفيذ إلى كيفية التعبير في القرن 16م ومنه إلى طريقة دراسة ومعالجة موضوع ما في إطار الفنون الجميلة وكان ذلك في القرن 17م.²⁶⁶ ليعرف بعد ذلك المصطلح شيئاً من الاستقرار في تحديد المعنى المتمثل في: " كيفية الكتابة الخاصة بكاتب ما²⁶⁷". واهتم الغرب بالمصطلح حيث عرفه الأديب الفرنسي (بوفون) بقوله: "الأسلوب هو الرجل²⁶⁸". ويعد فريديريك نوفاليس الكاتب الألماني الملقب بالبارون فون هردنبرغ (1772-1801) أول من وظف المصطلح²⁶⁹ إلا أن الاعتراف كان لشارل بالي (1865-1947) مع بدايات القرن العشرين بتأسيس علم الأسلوب من خلال كتابه: " مبحث في الأسلوبية الفرنسية²⁷⁰". ويرى (رولان بارت) أنه: " لغة متكيفة بذاتها ولا تعوض إلا في الأسطورة الشخصية والخفية للكاتب كما تصوغ في المادة التحتية للكلام حيث يتشكل أول زوج للكلمات والأشياء²⁷¹."

ويذكر الناقد عبد السلام المسدي في كتابه " الأسلوبية والأسلوب" أن (شارل بالي) يعود إليه الفضل في إرساء قواعد علم الأسلوب²⁷². ولقد تعامل النقد الحديث مع الأسلوب من خلال جملة من المصطلحات واعتبر المرسل أنه الباث أو المخاطب الذي يدل عليه تعبيره من زاوية أن الأسلوب خاص بصاحبه فيرى (بوفون): " الأسلوب هو الانسان نفسه ولذا لا يمكن أن ينتزع أو يحمل أو يهدم²⁷³". وفي نفس السياق يرى (أحمد شايب) أن الأسلوب يدل على

أنظر المرجع السابق، ص 324.260

المرجع السابق، ص 325.261

262 صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع (د.ط)، القاهرة (د.ت)، ص 5.

263 أحمد حسن الزيات: الدفاع عن البلاغة، علم الكتب، ط2، بيروت لبنان 1967، ص 86.

أنظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009، ص 75.264

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 75.265

أنظر المرجع السابق ص نفسها.266

أنظر: المرجع السابق ص نفسها.267

268 بيبير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإخاء القومي ، (د.ط)، بيروت لبنان، (د.ت)، ص 88.

269 ينظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 75.

270 المرجع السابق ص 76.

271 المرجع السابق، ص 70.

272 ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب الدار العربية للكتاب، ط2، 1982، ص 83.

273 المرجع السابق ص 63.

مؤلفه: "التعبير هو أسلوبه المنشق من نفسه هو²⁷⁴". فنستخلص أن معظم الدارسين اتفقوا على أن الأسلوب هو أثر دال على مؤلفه.

ويعد مصطلح المتلقي المخاطب (بفتح الطاء) فهو الذي يتأثر بالنص فيكشف عن خصائصه الأسلوبية ويرى بعض النقاد أنه على الرغم من أن الأسلوب يعكس صاحبه إلا أنه في جوهره وغايته موجه إلى القارئ فيلتزم المؤلف بأن: "يجعل لكل إنسان بما يلائمه، أي أن صورة المتلقي تظل ماثلة أمام المرسل سواء كان موجودا بالعقل أم موجودا في الذهن.²⁷⁵" ونجد أن (ميشال ريفاتير) قد احتفى بالمتلقى وأعلى من شأنه مانحا إياه دورا فعالا في تحديد ميزة أسلوب النص الأدبي يتحسس فيه مواقع الأثر والجمالي فهو بذلك يدعو إلى: "إبراز عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوه النص وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة.²⁷⁶" لقد حاول (ريفاتير) الجمع بين النص وكتابه وقارئه وأن لكل طرف دوره في تحقيق الأدبية.

لقد شكل النص جوهر البحث الأسلوبي حيث يرى جمع من الدارسين أن الأسلوب يكمن في النص وهو العنصر الكفيل بإظهار معانيه التي تعكسها بنياته اللغوية وكانت هذه الفكرة من بين مبادئ البنيوية حيث يرى (جاكسون) النص: "هو خطاب يركب في ذاته ولذاته²⁷⁷" وسعى المنهج البنيوي نحو تأكيد العلاقة التي تربط بين ثنائية الأسلوب والنص بحيث يرى (ريفاتير) أنه: "ليس ثمة أسلوب أدبي إلا في النص²⁷⁸". "وأن الأسلوب في الواقع هو النص.²⁷⁹"

أما الخطاب فقد اعتمدت الأسلوبية في دراستها على لسانيات دي سوسير وتحديدًا ثنائية (اللغة، كلام) يقول: "وتشتمل دراسة اللسان جزئين الأول جوهري وغرضه اللغة الثاني ثانوي وغرضه الجزء الفردي من اللسان ونعني به الكلام.²⁸⁰" وأوضح تلميذه (شارل بالي) مؤسس الأسلوبية أن اللغة للاستخدام العادي والنفعي، بينما الكلام استعماله أدبي وفني²⁸¹ ونستخلص مما سبق أن موضوع الأسلوبية هو الخطاب الأدبي تكونه جملة من التقنيات التعبيرية المختارة يحيد عن التعبير المألوف برموزه وتلميحاته.

مفهوم الأسلوبية:

كما ذكرنا سلفا أن المصطلح له جذوره الأولى في الفكر اليوناني القديم وهي: "STYLUS" تطورت معانيها فدلّت على "كيفية التنفيذ في القرن 14، و إلى طريقة التصرف في القرن 15 ثم إلى التعبير في القرن 16، ومنه إلى طرائق معالجة موضوع ما في نطاق الفنون الجميلة.²⁸²" ويرى (جون ديبو) أن الأسلوبية: "هي الدراسة العلمية

²⁷⁴ أحمد شايب: الأسلوبية دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص 127.

²⁷⁵ فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص 24.

²⁷⁶ عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: ص 79.

²⁷⁷ صلاح فضل: علم الأسلوب وعلاقته بعلم اللغة، مجلة فصول، مجلد 5، العدد 1، ص 49.

²⁷⁸ موسى سامح ربابية: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، ط 1، الأردن 2003، ص 15.

²⁷⁹ عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 88.

²⁸⁰ فرديناند دي سوسير: محاضرات في الأسلوب العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص 32.

²⁸¹ ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 63.

²⁸² يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2008، ص 75.

للأسلوب في الأعمال الأدبية²⁸³. "وتعد الأسلوبية الحلقة الجامعة بين اللسانيات و الدراسات النقدية الأدبية وتقريب بين البلاغة القديمة والدراسات الأسلوبية الجديدة. و يرى رولان بارت أن الأسلوبية قد غدت : "الوريث المباشر للبلاغة"²⁸⁴.

ويعتبرها نور الدين المسدي: " أنها علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة"²⁸⁵. ويتضح من القول المسدي أنه اهتم كثيرا في الدراسة الأسلوبية بعنصر البلاغة والعلاقة التي تجمع بينهما ، فعلى قدر ترابطهما إلا أنهما فالبلاغة : "علم معياري تعليمي يعتمد فصل الشكل عن المضمون في الخطاب، بينما الأسلوبية علم وصفي تحليلي يرفض الفصل بين دال الخطاب ومدلوله"²⁸⁶. أما (صلاح فضل) فقد خالفه الرأي عندما أقر أن الأسلوبية: " وريث شرعي للبلاغة العجوز"²⁸⁷. أما (نور الدين السد) فقد وضع حدودا فاصلة بين الأسلوبية والبلاغة ولكل خصائصه وصفاته بقوله: " الأسلوبية هي الوجه الجمالي للألسنية، إنها تبحث في الخصائص التعبيرية والشعرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي وترتدي طابعا علميا تقريريا في وصفها للوقائع وتصنيفها بشكل موضوعي ومنهجي"²⁸⁸. ورأى أن للأسلوبية أربعة اتجاهات : التعبيرية ، النفسية ، البنيوية والاحصائية²⁸⁹

واستندت الأسلوبية في تأسيسها على لسانيات العالم السويسري الحديث (فرديناند دي سوسير) (1873-1913) حيث يقول: " اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام."²⁹⁰ وأنه "نتاج إجتماعي لمملكة اللغة فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد"²⁹¹. " ليحذو حذوه بشيء من التميز والتفرد (شارل بالي) عالم لساني ولغوي درس اللغات القديمة كالسينسكريتية واليونانية والفارسية ومؤسس لعلم الأسلوب المعاصر مع مطلع 1902²⁹² واعتبرها (ميشال إريفي) فرع من فروع اللسانيات بقوله: " الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"²⁹³.

أهم مصطلحات المنهج الأسلوبي:

من بين المصطلحات التي وظفتها الأسلوبية في دراساتها للنص الأدبي نذكر منها مصطلح "الاختيار" الذي يهتم بسمات أسلوب المؤلف والوقوف على جمالياته و ثراء وتنوع المعجم اللغوي للكاتب. ويشكل "الانزياح" أحد المصطلحات المهمة في الدراسات الأسلوبية والذي يهتم بخروج الكاتب في تعبيراته عن الأسلوب الألوف والعدول عنه نحو شكل تعبيرى جديد فهو: " كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار الألوف"²⁹⁴. أما "التركيب" فهو الغاية

جورج مولنيه: الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت 2006، ص66.²⁸³

رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد براءة، ط3، الشركة المغربية للنشر المتحدين، الرباط (د.ت)، ص 35.²⁸⁴

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس ليبيا (د.ت)، ص56.²⁸⁵

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، عن يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 86.²⁸⁶

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ص87.²⁸⁷

نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، عن يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 88.²⁸⁸

أنظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي مرجع سابق، ص 88.²⁸⁹

²⁹⁰ أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر 1994 ، ص38.

²⁹¹ المرجع السابق، ص38.

²⁹² ينظر أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص51.

²⁹³ عيد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 48.

²⁹⁴ جون كوهن: البنية الشعرية، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري ، ص15.

المنشودة أثناء الدراسة بحيث ترى أن التركيب يكون على جميع المستويات (الصرفي التركيبي والدلالي) هذه التركيب التي تعكس المخزون الثقافي والعمرفي للمؤلف، يكون لها التأثير الكلي على نفسية وفكر المتلقي ويدل التركيب على: "إفراز الصورة المنشورة والانفعال المقصود والانطباع النابع من الذات عبر النص من خلال اللغة ليحتضنه القارئ بحرارة²⁹⁵".

أهم الاتجاهات الأسلوبية:

وفي ظل هذا الحراك التحولي للأسلوبية على المستوى التنظيري والتطبيقي، ظهرت عدة اتجاهات تميزت عن بعضها البعض ويمكن ذكرها على التوالي:

الأسلوبية التعبيرية: يطلق عليها البعض "بالأسلوبية" أو "اللسانية" ارتبطت بعدة أسماء مثل عالم اللغة الكبير (شارل بالي) الذي يعود إليه الفضل في التجديد في علم الأسلوب حيث شكل كتابه المعنون بـ: "مبحث في الأسلوبية الفرنسية" سنة 1909²⁹⁶ اهتم بدراسة الظاهرة الأسلوبية في علاقتها بالنص وقارئه (المتلقي)، واعتبر أن: "اللغة لا تعبر عن الفكر إلا من خلال الموقف الوجداني، أي أن الفكرة المعبر عنها بوسائل لغوية لا تصير كلاماً إلا عبر مرورها بمسالك وجدانية كالأمل الترجي أو الصبر أو النهي²⁹⁷". بحيث يتسم المتن بجملة من القيم اللغوية والإحياءات والدلالات التي تخول له التفرد والتميز عن نص آخر إلى جانب تأثيرات العملية التواصلية لقارئ النص النفسية ومدى إدراكه لمعانيه ومضامينه. وهو ما ينتج عن اللغة في النص من أشكال تعبيرية تتجلى من خلالها الآثار النفسية العاطفية والجمالية. واعتبر (شارل بالي) يعتبر علم الأسلوب شأنه شأن علم الأصوات الذي يهتم بدراسة الظواهر اللغوية وأثرها على نفسية المتلقي²⁹⁸. وتقوم النظرية الأسلوبية لدى شارل بالي على دراسة ما اصطلح على تسميته بـ: "الجانب العاطفي للغة"²⁹⁹ إذ يمثل الأسلوب عند (بالي): "تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية والتأثيرية والانفعالية التي تميز أداء عن أداء³⁰⁰". وركز اهتمامه على وصف اللغة حتى أطلق على منهجه بالأسلوبية الوصفية تعنى بوصف الآليات المستخدمة في اللغة المنطوقة وما تتوفر عليه من قيم تعبيرية التي تثار أثناء الكلام مركزاً على محتواها العاطفي وصيغتها التركيبية³⁰¹. فيغدو بذلك الأسلوب أثر يدل على صاحبه.

الأسلوبية التكوينية:

يمثلها (ليوسبيتزر 1887-1960) (Leo Spitzer) برؤية جديدة تتجلى في كتابه: "دراسة في الأسلوب الأدبي" تأثر ليو سبيتزر بأفكار (كارل فوستنير) في نقده للغة وتصبو إلى دراسة

²⁹⁵ نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، ط1، الجزائر، 1977، ص 169.

أنظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009، ص 76.²⁹⁶

رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، غنابة، الجزائر عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 328.²⁹⁷

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 328.²⁹⁸

²⁹⁹ ينظر أحمد رويس: مقال بعنوان: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد

الأول، أكتوبر، نوفمبر وديسمبر، 1984، ص 64.

³⁰⁰ رجاء عيد: البحث الأسلوبية معاصرة وتراث، دار المعارف، ط1، مصر 1993، ص 31.

³⁰¹ أحمد رويس، مقال بعنوان: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول،

أكتوبر، نوفمبر وديسمبر، 1984، ص 65.

أثر الكلام وتكشف خصائص الأسلوب وكاتبه واعتمد سبببزر على الحدس في عملية تأويل المعنى³⁰². على نظرية فرويد في التحليل النفسي فهو يرى أن الحالة النفسية للمؤلف تعكسها أساليبه وتعبيره التي شكلت جوهر دراسته النفسية: "اهتم بالكلام المحكي واللغة المنطوقة دون اللغة الأدبية³⁰³". يتخذ منهجه من الذات موضوعاً للدراسة معتمد في ذلك على ما يمكن أن تقدمه البنيات اللغوية من شروحات وتوصيفات تعكس في جوهرها نفسية صاحبها³⁰⁴ محاولاً النفاذ إلى شخصية المؤلف وأسلوبه وأشكاله التعبيرية فهي: "خصوصية شخصية في التعبير والتي من خلالها نتعرف على الكاتب وذلك من خلال عناصر متعددة تعمل على تكوين هذه الشخصية الذاتية³⁰⁵". وتقوم الأسلوبية النفسية عند ليو سبببزر في دراستها على تحليل الأسلوب والمتمثلة في تبين تحليل أسلوبه في النص للتعرف إلى شخصيته وكشف جوهر نفسيته دون اغفال لموروثه الثقافي والمعرفي ودوره في تشكيل بنية النص³⁰⁶.

تنزح الأسلوبية التكوينية بمقاربتها للنص الأدبي إلى دراسة الأسلوب دراسة علمية لبنيات النص بالوقوف على فعالية التعبيرات المنبعثة من أحاسيس وعاطفة المؤلف التي جعلت من أسلوبه يحظى بنوع من التميز والتفرد فدل عليه. واستطاعت خطوات التحليل الأسلوبي للنص الأدبي عند (ليوسبببزر) أن تشكل نقطة جوهرية أضافت مضيئة الجديد للنقد الأدبي.

الأسلوبية البنيوية :

اعتمدت على توظيف مصطلح بنية في دراستها للأسلوب للوقوف في مقاربتها للنصوص على الظاهرة الأسلوبية والعلاقات الداخلية التي تحكم نظامها ووظائفها³⁰⁷. فهي تنزح نحو: "تحديد المقاييس اللغوية النوعية الملائمة أسلوبياً³⁰⁸". وتعتبر النص نسقاً لغوياً متشعبة بأفكار دي سوسير ومن روادها: (ميشال ريفاتير) تعنى بدراسة وتحليل الخطاب الأدبي والبحث في العلاقات الداخلية التي تحكم نظام وحداته وبنياته من انسجام وتضاد فالنص هو: " بنية متكاملة تحكمه العلاقات بين عناصرها ... فإنه لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية أو التضادية مع العناصر الأخرى في إطار بنية الكل³⁰⁹". ولم يغفل (ميشال ريفاتير) عنصر المفاجأة التي يمكن أن يحدثها أسلوب المؤلف وتأثيره على المتلقي: " فكلما كانت السمة الأسلوبية متضمنة للمفاجأة فإنها تحدث خلخلة وهزة في إدراك القارئ ووعيه³¹⁰. وأطلق عليها اسم أسلوبية الوظيفية أو أسلوبية العدول والأنزياحات.

الأسلوبية الإحصائية:

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 328. 302

303 ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 67.

304 ينظر المرجع السابق، ص 71.

305 رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، ط1، مصر 1993، ص 31.

306 ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 72.

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 330. 307

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2006، ص 78. 308

309 محمد عزام: الأسلوبية منهجاً نقدياً، وزارة الثقافة السورية، ط1، دمشق، سورية 1989، ص 110.

310 موسى سامح رباعية: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص 12

ظهر الاتجاه الأسلوبي الإحصائي في نهايات القرن التاسع عشر هدفها التأسيس لمنهج علمي يقوم على العلمية في دراسته ومقارنته للأعمال الأدبية: " في نطاق أسلوبية الانزياحات يمثلها بيار غيرو إلا أن أعلامها تخلوا عنها نحو الاهتمام بالأسلوبية البنيوية والسيمائية³¹¹."

تعتمد في دراستها للنص الأدبي على مصطلحات علم الرياضيات والحساب وآلية الإحصائية وتكرار المفردات، وهي ميزة و ظاهرة لغوية وسمت أسلوب كاتب عن آخر وتهدف إلى: " التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص لبيان ما يميزه من خصائص أسلوبية³¹²."

ولم تخلو الساحة النقدية العربية من الدراسات الجهود في مجال الأسلوبية الإحصائية ومن بين الأسلوبيين العرب (سعد مصلوح) له كتاب: " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"، صلاح فضل: " علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته."

تطبيقات المنهج:

احتضن العرب الأسلوبية بداية من منتصف القرن العشرين حيث قدم الناقد أحمد شايب كتابا متميزا في التخصص عنوانه " الأسلوب" تضمن فيه خطوات المنهج الأسلوبي ليصدر بعده إنتاجا جديدا عنوانه ب "الأسلوب والأسلوبية نحو بديل السني للنقد الأدبي"

ليتعزز حقل الدراسات الأسلوبية الإحصائية بكتاب جديد للناقد سعد مصلوح عنوانه: " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية" وقدم الناقد (محمد العمري) في كتابه المعنون بـ: " تحليل الخطاب الشعري" معتبرا أن الإحصاء : " عاملا من عوامل البروز والظهور فالمواد التي تتكاثف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كقيلة بإثارة الانتباه يمكنها من نفسها³¹³ ". أما (محمد الهادي الطرابلسي) قدم دراسة حول كتاب البخلاء للجاحظ في دراسة عنوانها: " في منهجية الدراسة الأسلوبية³¹⁴ " احتوت دراسته محورين نظري وتطبيقي حيث تعرض في المحور النظري إلى العلاقة التي تجمع بين الأنطباع وعملية العد والإحصاء لأشكال الأساليب في النص الأدبي . وتضمن المحور التطبيقي اتخذ من كتاب البخلاء للجاحظ موضوعا للدراسة فأحصى فيه الأحداث والأفعال بأنواعها والصفات والقضايا إلى جانب الحالات النفسية والسلوكيات كما شكل الأيقاع الخارجي والداخلي جزء من الدراسة التطبيقية والوقوف على مميزات اللغة وتبين ظاهرة التكرار ووظيفتها وتشخيص الاستخدام اللغوي للمؤلف وتأثيرتها على المتلقي مثل (الأكل والسكر لم يسمع لم يبصر...) وما تحمله من وظائف اختيارية ودلالية وعلاقتها بتصوير مشاهد الأحداث تصويرا جماليا فنيا وأدبيا وأثرها على القارئ³¹⁵.

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009، ص78.311

312 محمد عبد العزيز الوافي: حول الأسلوبية الإحصائية، مجلة علامات مجلد 42، عدد11، 11 ديسمبر 2001، ص 122.

313 محمد العمري: تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر الكثافة الفضاء التفاعل، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1990، ص99.

314 ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 101.

315 ينظر المرجع السابق، ص 102.

لنتنقل بعد ذلك الدراسة الأسلوبية العربية من عهد التنظير إلى مرحلة التطبيق والإجراء مع الناقد صلاح فضل بكتابه : " علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته " وقدم موسى صالح ربابعة : " الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها " .

أما يوسف مسلم أبو العدوس توغل في التطبيق من خلال كتابه: " الأسلوبية الرؤية والتطبيق " وقدم الناقدان: محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود كتاب يهتم بعلاقة البلاغة العربية بالأسلوبية عنوانه : " الأسلوبية والبيان العربي " ودعم الناقد فتح الله أحمد سليمان مكتبة الأسلوبية العربية بمولود جديد عنوانه ب: " الأسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية " .

ويمكن القول من خلال ما تقدم أن الأسلوبية بمختلف اتجاهاتها وتفرعاتها وتخصصاتها استطاعت أن تضيف الجديد إلى النقد الأدبي وتدعيمة بآليات إجرائية وتطبيقية أهلته أن يقدم دراسات جادة تتحلى بالموضوعية وروح العلمية .

المنهج التفكيكي

المحاضرة الثامنة

أ.خالدي سمير

مقدمة:

تأثر النقد المعاصر خلال مسيرته التأسيسية بعدة مناهج نقدية سياقية ونسقية : مثل الشكلانية والبنوية والأسلوبية والسيمائية والتلقي والتأويلية فمثلت التفكيكية أحد هذه المناهج التي تركز على قراءة النص والبحث عن دلالاته، على يد الفيلسوف والمفكر الفرنسي (جاك ديريدا) تحمل في جوهرها بذور المعارضة والفرض للفكر البنيوي اللساني وثورة على التفكير الميتافيزيقي الذي قدم تفسيراً ماورائياً للظواهر الطبيعية. فضهرت التفكيكية تحمل في ضمنها استراتيجية جديدة للقراءة جوهرها التقويض والتفكيك للنص وإعادة بناءه كمحاولة لإنتاج معنى آخر برؤية جديدة تقوم على الفهم والوعي والمنطق ضاربة على عرض الحائط كل تفكير أو تفسير خرافي يفتقد إلى تحكيم العقل.

المرتكزات الأساسية لفلسفة التفكيك:

ظهر هذا التيار الفكري في منتصف القرن العشرين. متأثراً بفلسفة (نيتشه فريديريك) الألماني التي أثرت تأثيراً كبيراً على الفكر الغربي والعربي واشتملت فلسفته على أربع

أفكار أساسية : (موت الإله، الإنسان الخارق، إرادة القوة والعود الأبدي)⁽³¹⁶⁾ فكان هدف فلسفته البحث عن الحقيقة الخفية التي حجبها ستار التفكير الميتافيزيقي وضلت غائبة عن الأنظار والعقول حيناً من الدهر. ثار نيتشه على فلسفة سقراط وأفلاطون و أرسطو التي توارثتها العقول على مر العصور والأجيال. أمحوا لا تقدم البديل الذي يكمن في تصور لمنهجية جديدة غايتها اعتماد طريقة وأسلوب في البحث وتقصي الحقيقة وتحليلها للوصول إلى تأويل يقوم على المنطق والوعي وهو ما أكدّه (ميشال فوكو بقوله: "أهم ما جاء به نيتشه وشكل أساساً ومنطلقاً فكرياً قامت عليه التفكيكية المعاصرة والكثير من تيارات الفكر المعاصر".³¹⁷ فشكّلت فلسفة نيتشه المرتكز الأساسي والسند القوي للمنهج التقويضي عند جاك ديريدا. واعتبرت فلسفة هايدجر الظاهرانية *phénomonologie* أحد المشارب التي نهت منها التفكيكية التي تقوم على وعي وإدراك الإنسان لوجوده وسعيه الدائم لكشف فهم العالم وإيجاد فسير وتصور له وإدراكه.³¹⁸ وهو ما يعزز فكر هايدجر الذي يقوم على وعي الذات بوجودها وبحثها الدائم لمعرفة الحقيقة³¹⁹. ومثلت ذات القارئ أو المتلقي عنصراً جوهرياً وطرفاً فعالاً في معادلة تأويله وتفسيره للوجود وتقديم تصور خاص عنه. ويؤكد (بيار زيمّا) تأثر ديريدا في نقده للفلسفة والتفكير الميتافيزيقي بأفكار نيتشه³²⁰. ومنه كان لزاماً علينا أن نتطرق إلى معنى ومفهوم كلمة تفكيك حتى يتسنى لنا فهم ماهيتها ووظيفتها في فلسفة جاك ديريدا التفكيكية.

التفكيكية لغة:

التفكيكية باللغة الأجنبية (Déconstruction): "مصطلح معاصر يتركب من بنيتين: (dé) وتعني النفي و (construction) معناها البناء والتشييد، والمعنى العام في نظر جاك ديريدا هو هدم البناء وتفكيكه³²¹."

وعرف المصطلح في العربية (بالتفكيكية) وهو الأكثر رواجاً وتداولاً وتوظيفا بين النقاد العرب كما عرف تسميات متنوعة على غرار، التقويضية والتشريحية. وتدل لفظة (فكك) في المعاجم العربية على معنى: "يقال فككت الشيء فانفك وفككت الشيء خلصته".³²² ويحمل المصطلح في جوهره معنى الدلالة على تفكيك الخطاب اللغوي إلى جزيئات

³¹⁶ ينظر سعد الله محمد سالم: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار، ط1، اللاذقية 2008، ص84.

³¹⁷ ميشال فوكو: جينالوجيا المعرفة، ترجمة: أحمد السطاني، وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء 2008، ص66.

³¹⁸ ينظر ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل النقد الأدبي، مرجع سابق ص321.

³¹⁹ انظر المرجع السابق ص212.

³²⁰ ينظر مصطفى عادل: فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادمر، دار رؤية، ط1، القاهرة 2007، ص212.

³²¹ خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006، ص329.

³²² ابن منظور: لسان العرب، مادة فكك، دار صادر، بيروت لبنان، 2000، ص325.

ووحدات صغرى خارج معنى النص والبحث عن ماهيتها وجوهرها وحقيقتها وعلاقتها بالوعي³²³.

و التفكيرية في معناها، نوع من القراءة تنفذ إلى جوهر بنية النص وتعمل على فك تمفصلاته وزعزعة عرش بنياته وتهديم جزيئاته لتعاود تشييده في حلة فريدة وبمعنى جديد نتيجة للهدم وإعادة البناء حيث تستند فلسفة التقويض هذه على قدرات وكفاءات وتجارب القارئ الذي يكتشف التوصل إلى المعنى الخفي للنص.

التفكيرية اصطلاحاً:

يعتبر (جاك دريدا) Jacques Derrida 1930-2004 الفيلسوف الفرنسي المنتج لمصطلح التفكيرية "والمؤسس الأكبر لمشروع فلسفي نقدي معاصر ظهرت معالمه الأولى التي بشرت بها مداخله له ألقاها بجامعة (جون هوبكنز الأمريكية في سنة 1966 الموسومة بـ: "البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية." ثار فيها على الأفكار والتفسير الميتافيزيقي لقضايا الواقع الذي ورثته عقول الأجيال السابقة وجبلت عليه منذ عهد أفلاطون³²⁴ ودعا إلى أنه قد حان الوقت للوصول إلى معنى النص الخفي من خلال اللغة³²⁵. ولم تسلم فلسفة ديكرت الذاتية من معارضة وانتقاد جاك دريدا لها ولقيت البنيوية نقداً لاذعاً طال جملة من الأفكار والمفاهيم التي تبنتها التي تبنتها مثل: (الشكل والمضمون، الثابت والمتحول، الإنسان والطبيعة...) ³²⁶ وتتلخص فكرة جاك دريدا في التفكير وعلى جعل العلاقة كائنة بين ما هو مادي وما هو معنوي والتجلي والتخفي بين الدال والمدلول.³²⁷ وأصبح منذ ذلك الحين تيار التفكيرية يدعى بـ: "ما بعد البنيوية، أو بما بعد الحداثة³²⁸."; ويعرف (جلك دريدا) الفعل التفكيرية: "ليس منهجاً ولا يمكن تحويله إلى منهج خصوصاً إذا ما أكدنا على الدلالة الإجرائية أو التقنية³²⁹." أما الفيلسوف (ماريا إيفانكوس) تمثل طريقة لقراءة الفلسفة والخطابات العلوم الإنسانية³³⁰. "بينما هي ممارسة فلسفية في نظر (إمبرتو إيكو) أكثر منها نقدية تتحدى في ذلك أمر الوقوف على المدلول الخفي للنص وتأويله مستندة على ثنائية الدال والمدلول في لسانيات (دوسوسير) واعتباطية العلامة وشيئاً من فلسفة (نيتشة) وأفكار (هيدجر) والتعامل مع اللغة وما تنتج من دلالات تفرض على القارئ تبينها وتحليلها لفهم معناها وجوهرها.³³¹ وهي في رأي (جيرار جنجومبر) تقوم

³²³ ينظر عثمان موافي: ملامح النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 2004، ص168.

³²⁴ ينظر رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، الطبعة الأولى دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة (د.ت)، ص146.

³²⁵ ينظر عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص168.

³²⁶ ينظر خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، ص331.

³²⁷ المرجع السابق، ص331.

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص168.³²⁸

رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، ط3، المغرب 1993، ص82.³²⁹

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص86.³³⁰

أنظر: المرجع السابق ص175.³³¹

على غاية تفجير النص لأنه يقوم على مبدأ "اللاتماسك"³³² وهي الفكرة نفسها أثارها (جاك دريدا) عندما صرح بأنه: "ينبغي على القارئ قراءة النص من منطلق أنه إنتاج غير قابل للتجميع"³³³.

واشتهر جاك ديريديا بكتاباتة العديدة والمتنوعة اهتمت بفلسفة التفويض نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هرسل"³³⁴، "الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد"³³⁵ و "في عالم الكتابة"، ترجمة: أنور مغيث ومنى طلبة.³³⁶

واكتسب (جاك دريد) شهرة أكاديمية على إثر المحاضرة التي قدمها بأمريكا سنة 1966 وتأثر به جمع من النقاد الأمريكيين وفي مقدمتهم (بول دي مان) الذي أسس مدرسة في النقد الجديد سماها بـ: "مدرسة يال" ECOLE DE YALE بمعنية كل من: (جوزيف هيليس ميلر)، (جيفري هارتمان)، (هارولد بلوم) وغيرهم الذين حاولوا في أبحاثهم التأسيس لنقد جديد³³⁷

واتخذت التفكيكية عدة مفاهيم عند النقاد العرب فيعتبرها بسام قطوس بأنها: "طريقة معينة لقراءة النصوص أو بالأحرى إعادة لقراءة الخطابات."³³⁸ أما الناقدة (ميجان الرويلي) فتري أنها كيفية لإيجاد الشرح بين المصرح به في النص و المسكوت عنه إظهاره³³⁹ أما الناقد الجزائري بارة عبد الغني يعتبر القراءة التفكيكية المحررة للبنية التي ظلت حبيسة التفسير الخرافي والمتافيزيقي وسمحت بإبراز الجانب الآخر من العقل.³⁴⁰ ويعرفها الناقد (علي حرب): "التفكيكية ليست مجرد أسلوب في التفلسف وأوسع من أن تحصر في مجموعة من الإجراءات المنهجية."³⁴¹ فهي ممارسة تقوم على: "تفكيك المعنى وإعادة إنتاجه بالعمل على زحزحته أو تحويله"³⁴². "إنها إستراتيجية لقراءة جديدة تسعى : "للكشف عن اللامعنى القابع خلف المعنى"³⁴³ واستحدا آليات جديدة للقراءة تجسدها مقولته المشهورة: "الآلة القديمة صدئت ولا بد من تفكيكها."³⁴⁴ حيث ظهرت بوادر هذه الحركة النقدية منتصف الستينات من القرن الماضي ومن أشهر روادها: جاك دريدا، ميشال فوكو،

أنظر المرجع السابق، ص 175. 332

أنظر: المرجع السابق، ص 175. 333

334 جاك دريدا: الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هرسل، ترجمة فتحي انتزو، ط1، 2005 .

335 جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988.

336 جاك دريدا: في عالم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث ومنى طلبة، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005.

أنظر : يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 176-177. 337

338 بسام قطوس: استراتيجيات القراءة التأصيل والاجراء النقدي، مؤسسة حمادة ودار الكندي، ط1، عمان 1998، ص19.

339 ينظر الرويلي ميجان والبازغي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، الدار البيضاء 2005، ص108.

340 ينظر بارة عبد الغني: الهيرمينوطيقا والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1، بيروت 2007، ص 44.

341 علي حرب: الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت والدار البيضاء 2000، ص24.

342 علي حرب: المصالح والمصائر، صناعة الحياة المشتركة، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ط1 الجزائر بيروت 2010 ص33.

343 ينظر المرجع السابق ص 33.

344 المرجع السابق ص 134.

جيل دولوز، جاك كان... وتعد فلسفة جديدة دعا إليها الفلاسفة والنقاد في إنتاجاتهم وأفكارهم وكتاباتهم³⁴⁵

ومن أهم المصطلحات التي تمثل مرتكزات الفكر التفكيكي وهي:
مصطلح الاختلاف:

يمثل الاختلاف المصطلح الجوهري في معجم التفكيكية، يحمل مشروعا فلسفيا وفكريا تعود جذوره إلى فلسفة (فريدريك نيتشه) و(إيمانويل لفيناس) (مارتن هيدجر) ليكتمل ببناءه مع (جاك دريدا). ويرتبط مفهوم المصطلح بما يتركه الصوت من أثر إنه يمثل ظاهرة تدل على دال معين، ويعد الصوت شاهدا على حضور المتكلم من خلال ذاته التي هي بحاجة إلى تأكيد حضورها من خلال الكلام والتعبير بالصوت، فكلمة سعت جاهدة من أجل أن تؤكد هذا الحضور كلما تجد نفسها دوما تشعر بحالة من حالات الاختلاف³⁴⁶. ويحمل المصطلح بديلا فكريا وفلسفيا عن الاعتقادات والقناعات التي تحمل تفسيراً ميتافيزيقيا وأحاديا في أوروبا³⁴⁷ إنه وجه آخر من أوجه التعبير يقر بفلسفة التغيير والرأي المخالف.

ويتجلى حضور الغائب في اللغة وبالتحديد في الدال إذ لكل دال مدلولات متعددة فالدال الحاضر يدل على الغائب فمثلا لفظة : (مهلكة، مملكة). فبالرغم من تقارب الألفاظ من بعضها البعض وتوحي إلى بعضها البعض إلا أن عملية الإحالة على المدلولات غير محددة وكل مدلول مستقل بذاته وهذا هو الاختلاف الذي قصده (دريدا) وذكره في معنى قوله أن الكلمة ليست بريئة تحمل ضمنها أثرا يدل على بقايا الكلمات الأخرى السابقة الذكر وعليه فإن المعنى يتوالد من النص ومن جهد القارئ.³⁴⁸

مصطلح التشئت / الانتشار:

معناه التناثر والانتشار يمثل، آلية إجرائية في تفكيك بنية النص الكبرى إلى بنيات صغرى وإعادة نشر وحداته وجزيئاتها وتوزيعها، التي تتضمنها عناوين وتعليقات النص. وتتضمن فكرة التقويض التي تتمثل في: "فصل الرأس عن الجسد بحيث يعمل عنصر التشئت على وتيرة أكبر مخلفا كم من الخسائر والتصدعات في النص دون أن ينغلق أو إصباغ أي شكل تام عليه".³⁴⁹ وتتجلى وظيفة وهدف تشئت أفكار وبنيات النص أثناء القراءة الأولى تبين المعنى المباشر له. والمراد أيضا من عملية النشر هذه البحث أثناء القراءة الثانية في التناقض والانسجام بين وحدات النص والتوصل إلى المعنى الضمني.

الأثر:

فهو متمم لمفهوم الاختلاف ومفسرا له إذ من خلال التضاد الحاصل بين ثنائية الكلمات تترك كل كلمة أثرها مقابل الطرف الثاني بحيث: "كل عنصر يتأسس انطلاقا من الأثر الذي تخلفه

³⁴⁵ أنظر يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 168.

³⁴⁶ ينظر الحميد الحميداني: الفكر الأدبي مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة أنفوبرنت، فاس، 2009، ص208.

³⁴⁷ ينظر عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، ص 50.

³⁴⁸ خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006، ص333.

³⁴⁹ جاك دريدا: مواقع حوارات ترجمة وتقديم فريد الزاهي، دار توبقال للنشر 1988، ص46.

العناصر الأخرى في السلسلة أو النسق".³⁵⁰ أي أن البنية تحيل القارئ على معنى ضمني متخفي على شكل إحياءات ورموز وما عليه إلا تتبع أثرها الدلالي.

الحضور والغياب:

يتجلى في معنى في النص ويمكن أن تنتج وتولده معاني البنيات اللغوية بكل عناصرها المختلفة التي تمنحه صفة، الحضور والغياب، التجلي والتخفي.

خصائص المنهج التفكيكي

من خصائص المنهج التفكيكي، الاهتمام بالنص الأدبي وتفكيكه والوقوف على معانيه ودلالاته التي تتضمنها بنيات النص. ويتأسس التفكيك على القراءة للنص قراءة أولى تختص بتبيين المعاني الظاهرة التي تطفو على السطح. أما الثانية فتقوم على البحث في بنياته للوصول ومعرفة سبيل التناقضات الداخلية للنص واستجلاء دلالة المعاني و تفسير عدم الاستقرار التي احتوتها البنيات ومقابلتها بالمعاني المباشرة للنص بغية اكتشاف القارئ المعنى الخفي.³⁵¹ وفي سبيل هذه الغاية تضع التفكيكية القارئ (المفكك للنص) كطرف فاعل في عملية تفاعلية جديدة من أجل التوصل إلى المعنى المضمر الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمخزونه المعرفي والثقافي. وعلى القارئ أن يهتم في تعامله مع النصوص بكل ما هو ثانوي وعرضي وإلى كل ما هو رئيسي وجوهري بحيث لا فرق بينهما، إذ أن يتحول الهامشي إلى رئيسي والعكس أيضاً في النص من شأنه المساهمة في رسم وبناء معنى جديد له.

تطبيقات المنهج التفكيكي:

ظهرت التفكيكية في أوروبا معارضة البنيوية ومنتقدة لمفاهيمها وأفكارها وبزغ نجمها في منتصف القرن العشرين بفرنسا على يد الفيلسوف (جاك دريدا) وانتقلت إلى أمريكا ثم باقي الدول الغربية الأخرى. وكانت المدرسة التفكيكية الأمريكية من بين المدارس التي تميزت بقراءة النصوص وتفكيكها ممثلة في "مدرسة ييل" الأمريكية متبينة لأفكار وفلسفة الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) ومن بين روادها الذين ساروا على نهجه كل من: (بول ديمان) و(هيلز ميللر) و(جيفري هارتمان) وشكلت تفكيكية (بول ديمان **Paul de Man** 1919-1983) نقطة تحول كبرى في مجال الدراسات النقدية المعاصرة ميزتها جهوده في تقويض وتشريح النصوص، التي تضمنها كتابه بعنوان: "العمى والبصيرة" صدر في سنة 1971 شن ثورة فكرية عارض من خلالها النقاد الذين ينتهجون مناهج نقدية في تحليلهم ودراسة النصوص وهي لا تفي بالغرض واصفا إياها بالعجز والتقصير، فلم يوظفوا بصائرهم كأنهم أصيبوا بالعمى فضلوا سبيلهم وابتعدوا عن الموضوعية في تطبيقاتهم لاكتشاف معنى جديد. وركز كتابه الثاني الذي اختار له عنوان: "أمثولات القراءة" أصدره

³⁵⁰ جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988، ص31.

³⁵¹ عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص170.

سنة 1979 على فلسفته وأفكاره التي تضمنها منهجه التفكيكي وشكل كتابه هذا تنمة وتكملة للأفكار التي عرضها احتواها كتابه الأول³⁵².

وتميز زميله (جون هيلز ميللر J.Hills Miller) في "مدرسة يال" الأمريكية بالتطبيق على القصة دراسة وتشريحا لبنيتها اللغوية احتواها كتابه الموسوم بـ: "القص والتكرار" أما الناقد (جيفري هارتمان Geoffery Hartman:) الذي عارض بشدة المناهج النقدية الحديثة منتقدا الأفكار التي تبنتها البنيوية ولم يوافق ديريدا في جل أفكاره ولقب ساعتها بالناقد المعتدل والوسطى³⁵³

تطبيقات المنهج في العالم العربي:

أما العرب فاستقبلوا المنهج التفكيكي كغيرهم من المناهج النقدية الأخرى عن طريق الترجمة والاقتباس ووسم بالاختلاف والتأرجح بين الرفض والتأييد والقبول والوسطية³⁵⁴. وتتجلى جهودهم في مجال التفكير ممثلة في أجتهدات الناقد السعودي (عبد الله الغدامي) حيث تمكن من تعريب المصطلح ليصير موازيا للتفكير ألا وهو "التشريحية" حيث ورد على لسانه: "احترت في تعريب هذا المصطلح ولم أر "النقض" و"الفك" ولكن وجدتهما يحملان دلالات سلبية تسيئ إلى الفكرة. ثم فكرت باستخدام كلمة "التحليلية" من مصدر (حلّ) أي نقض، ولكنني خشيت أن تلتبس مع (حلل) أي درس بتفصيل. واستقر رأيي أخيرا على كلمة "التشريحية" أو تشريح النص والمقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النص من أجل إعادة بنائه. وهذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائي كي يتفاعل مع النص³⁵⁵. ويتضح من القول أن مفهوم التفكير في رأي (الغدامي) إعادة البناء. أما (سعيد علوش) فقد اختار مصطلح "التفكيك" متأثرا بمفهومه في الثقافة الفرنسية DECONSTRUIRE³⁵⁶. وابتدع (شكري عزيز ماضي) مصطلح "اللابناء"، أما (مجدي أحمد توفيق) فقد وظف مصطلح "نظرية التفكير" واستقر (يونيل يوسف عزيز) على مصطلح "التحليلية البنيوية"³⁵⁷.

واتخذ بعض الدارسين العرب منهجا تطبيقيا اهتم بالخطاب الأدبي شعرا ونثرا حيث تبنى في الجزائر الناقد عبد المالك مرتاض التفكيكية ووظفها كآلية في قراءة وتقويض نصوص أدبية عديدة ومن بين دراساته: "جمال بغداد تحليل سيميائي تفكيكي" و"تحليل الخطاب السردى" ويتميز منهجه التفكيكي بهدم وتقويض النص وتشريح وحداته وتحليلها باحثا عن

³⁵² رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، ص 155.

³⁵³ ينظر عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص 173.

³⁵⁴ ينظر عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص 173.

يوسف وغلسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ص 184.³⁵⁵

أنظر المرجع السابق، ص 183.³⁵⁶

المرجع السابق ص 184.³⁵⁷

جوهره الذي يتجلى له بعد إعادة بناءه من جديد. ومنه يكون جاك دريدا قد استطاع بأفكاره الفلسفية لمنهج التفكير أن يغزو بلدان العالم من أوروبا وأمريكا والعالم العربي معلنا عن ميلاد عهد جديد يجمع بين العقل واللغة والقارئ. ووظف عبد المالك مرتاض مصطلح "التشريحية" الذي يعني "القراءة المجهريّة"³⁵⁸ ويستند منهجه التشريحي على فك بنيات النص إلى أجزاء ثم التوصل إلى جوهر التفويض بإعادة تركيب أجزائه لتبدو في شكل جديد³⁵⁹. ويتجلى منهجه التفكيكي من خلال كتابه المعنون ب (أ/ي) دراسة تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة³⁶⁰ ويظهر تأثير مرتاض برولان بارت صاحب كتاب (S-Z) الذي يعد مرجعا أساسيا استمد منه عبد المالك مرتاض أفكاره كون أن الكتابان يقومان على أساس حرفين³⁶¹. وفي نفس السياق قام الناقد السعودي عبد الله الغدامي في كتابه : "تشريح النص" بتوظيف التشريح كآلية للقراءة وتقويضه غايته في ذلك إعادة تركيبه³⁶² كما شكل كتابه الثاني المعنون بـ: "الخطبة والتكفير من النبوية إلى التشريحية"³⁶³ اهتم فيها بتحليل الخطاب الشعري العربي واعتبرت جهوده ميزة في تشريح الخطاب الشعري.

مصادر ومراجع المحاضرة:

الحمد الحميداني: الفكر الأدبي مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة أنفوبرنت، فاس، 2009.

خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006،

جاك دريدا: مواقع حوارات ترجمة وتقديم فريد الزاهي، دار توبقال للنشر 1988،

جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988،

الحمد الحميداني: الفكر الأدبي مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة أنفوبرنت، فاس، 2009.

خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006،

جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988،

بسام قطوس: استراتيجيات القراءة التأصيل والاجراء النقدي، مؤسسة حمادة ودار الكندي، ط1، عمان 1998.

ينظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2003، ص 316، 358.

³⁵⁹ ينظر يوسف و غليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، ط1، 2008، ص 347.

³⁶⁰ ينظر عبد المالك مرتاض: أ/ي، دراسة تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د.ط) الجزائر 1992.

³⁶¹ ينظر يوسف و غليسي : الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، ص 69.

³⁶² ينظر ينظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي ، مرجع سابق، ص 312.

³⁶³ عبد الله الغدامي: الخطبة والتكفير من النبوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي للعلوم ، ط6 بيروت والدار البيضاء 2010،

الرويلي ميجان والبازغي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكبر من تسعين تياراً ومصطلحاً
نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، الدار البيضاء 2005،
بارة عبد الغني: الهيرمينوطيقا والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم
ناشرون ط1، بيروت 2007،
علي حرب: الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت
والدار البيضاء 2000،
علي حرب: المصالح والمصائر، صناعة الحياة المشتركة، منشورات الاختلاف والدار
العربية للعلوم، ط1 الجزائر بيروت 2010.

التأويلية

المحاضرة التاسعة

أ.خالد سمير

مقدمة:

يعتبر مصطلح التأويل أو "الهيرمونوطيقا" *heméneutique* من المصطلحات القديمة ارتبط بشرح وتفسير النصوص الدينية وإظهار ما صعب وغمض منها على المتلقي. يرتبط نشأته بتفسير النصوص الدينية وفق آليات ومراحل يتقيد بها المؤول ليبسط الفهم لمن صعب عليه ذلك. ويرى الدارسون أن المصطلح "الهيرمونوطيقا" تعود جذوره إلى العهد اليوناني حيث اعتبره الفلاسفة آنذاك آلية إجرائية لقراءة النصوص الأدبية عموماً وفهم محتواها مثل تفسيرهم للإلياذة هو مروس التي شكلت نوعاً من الغموض لدى القارئ آنذاك: "فكان الإله والرسول هرمس اليوناني يزود البشر ويعينهم على فهم، ويبلغهم التعليمات فكان همزة وصل بين الألهة والرعية التي كانت تتلقى الشروح والتفسير من هرمس³⁶⁴". ويعرفها البعض بأنها (علم التأويل) و (فن التأويل) ويعد من أقدم الاتجاهات التي اهتمت بتفسير النص وفهمها³⁶⁵. وعموماً فإن المصطلح قد نشأ في حضان بيوت الكنائس والقديسين والدراسات اللاهوتية، حيث أصبح يعني الالتزام والتقيد من طرف المفسر بضوابط وقوانين محاولة منه فهم معانيه. ليتمدد توظيف المصطلح في العصر الحديث في أوروبا إلى النصوص الأدبية والفنية من شعر ونثر وأسطورة لتشمل أيضاً الأحلام والرموز.

تعريفه التأويل لغة:

ورد في معجم الصحاح في مادة (أول): "التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته وتأولته بمعنى".³⁶⁶

ومعناه عند (ابن فارس): "آل، يؤول، أي رجع وقال يعقوب: يقال أول الحكم إلى أهله أي أرجعه ورده إليهم، وقال الأعشى: "أول الحكم إلى أهله".³⁶⁷

تعريف التأويل اصطلاحاً:

عرف (الجويني) في كتابه: البرهان: "التأويل رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول".³⁶⁸ ونظراً لكثرة وتعدد تعاريف مصطلح التأويل عند العرب منذ القديم يكون الإمام (ابن تيمية) قد قدم لنا تعريفاً موجزاً ووافياً يجمع فيه المعاني التي تعددت وتداولت عندهم حيث قال: "التأويل في عرف المتفهمة والمتكلمة والمتصوفة ونحوهم هو: حرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه به".³⁶⁹

ديفيد كوزينز هوى: الحلقة النقدية، الأدب والتاريخ والهيرمونوطيقا الفلسفية، ترجمة وتقديم خليدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، القاهرة 364

2005م، ص 13

365 ينظر فاطمة الطيال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (د.ط)، (د.ت)، ص 56.

366 الجوهرى: الصحاح، مادة أول، الجزء الرابع، ص 1627.

367 ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق السلام هارون، ص 159.

368 الجويني: البرهان، تحقيق الديب، ط1 الجزء الأول، ص 511.

369 يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النقدي، دار القارئ، ط1، بيروت لبنان، ص 25.

ويرى المؤرخ والفيلسوف الانجليزي المعاصر (آريون لوثر) أن أصل كلمة يوناني (hermé) وتعني : التعبير الشرح والتفسير³⁷⁰ وتقابلها بالفرنسية Interprétation وبالعربية: "تأويل" وتحمل الكلمة ويعتبر (جون غروندين) أن المصطلح يعني: " فن تأويل النصوص " ³⁷¹ يوظف في قراءة الاساطير وفك شيفرات الخطابات الفنية والادبية³⁷² . أما (بول ريكور) فيعتبره نظرية لعملية الفهم.³⁷³ ليبشده المصطلح في العصر الحديث مع (ديلتاي) تطورا في الدلالة ، يهتم "بوضع قواعد شاملة لفهم النص تعتمد على توظيف العلم في التأويل والتفسير متوخيا الموضوعية في الطرح³⁷⁴ ". ونستنتج من التعريفات السابقة أن هناك تباين واختلاف في الفهم للنقاد في وضع حدود فارقة بين (التأويلية) و(الهيرمونيطيقا) فالتأويلية :هي استنباط المضمون الخفي وإظهاره معناه ، أما (الهيرمونيطيقا) تستند على مناهج فكرية وطرائق مختلفة بغية تأويل الفكرة وتفسيرها .

النص، موضوعا للتأويل:

يمثل النص موضوع التأويلية سواء كان دينيا أو أدبيا فهو المحرك الأساسي للتأويل فعرف مع (رولان بارت) يعرف تطورا ملحوظا في دلالاته ومعانيه خصوصا بعد ما نادى بفكرة موت المؤلف، أخذ النص استقلالته بوصفه بنية لغوية مستقلة مغلقة على ذاتها كما استفاد النص من تطور العلوم الإنسانية والدراسات النقدية والأدبية مع بداية عصر النهضة في أوروبا.³⁷⁵ وقد اختلف النقاد في تعريف النص حيث يقول في نفس السياق (سوينسكي): " لكل إنسان مثقف تصور للنص مرتبطا لغويا بالمحيط الذي يعيش فيه." ³⁷⁶ وأدى هذا الاختلاف والتعدد في مفهوم النص إلى ظهور اتجاهين: الأول يرى النص أنه بنية مستقلة ومغلقة على ذاتها أما الثاني وهو مناقض للأول، يرى أن النص متعدد الرؤى والمعاني وقد عبر عن الفكرة نفسها الناقد (صلاح فضل) حيث قسم النص إلى نوعين : نص ثابت مستقل وهو رأي البنيويين ونص متحرك من خلال تفكيكه والتوصل إلى معانيه المتعددة كنتيجة للحوارية والمثاقفة بين النصوص.³⁷⁷

التأويل عند الغرب:

³⁷⁰ phique, Jean Vrin, Kelkel, Arion Lothar, 'La légende de l'Etre, langage et poésie chez Martin Heidegger' (Librairie philoso Paris, 1980), p 186

³⁷¹ عبد الغاني بارة: الهيرمونيطيقا والترجمة، مقارنة في أصول المصطلح وتحولاته، مجلة الآداب الأجنبية ، العدد 133، ص4 .

³⁷² ينظر المرجع السابق، ص5.

³⁷³ بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة: محمد برادة، حسان بورقية، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ط1 القاهرة 2001، ص58.

³⁷⁴ ينظر حسن بن حسن: النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر 2003، ص14.

³⁷⁵ ينظر سعيد يقطين: من النص إلى النص، المترابط، عالم الفكر، ع2، مجلد32، أكتوبر ديسمبر 2003، ص74.

³⁷⁶ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة 1997، ص3.

³⁷⁷ ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص ، عالم المعرفة، العدد 164، الكويت، 1992، ص238،

ومن أهم أعلام التأويلية_وأبرزها (شليمر ماخر فريديريك) 1768-1834 : في ألمانيا: "لاهوتي وفيلسوف ألماني أسس جامعة برلين ما بين 1798 و1816 درس بها الفلسفة. مؤسس الهرمونيطيقا العامة وأبو الدراسات الدينية والحديثة متأثر بفلسفة أفلاطون".³⁷⁸ يعود له الفضل في نقل التأويلية من حقل الدراسات اللاهوتية إلى حقل العلوم الإنسانية حيث وصفه الناقد (نصر حامد أبو زيد) بـ: "مؤسس علم التأويل العام ، هو علم الفهم الذي ينطلق من الخطاب الشفهي وليس من النصوص ، ويمحور مسألة الفهم على المتكلم الأجنبي وعلى ذاتية المؤلف واضعا بذلك التفسير النفسي أو التقني إلى جانب التفسير النحوي"³⁷⁹.

وانطلق (شليمر ماخر) في تأويليته للنص من سؤال جوهرى وهو كيف يمكن فهم أي عبارة أوقول ؟ واعتمد على جملة من المحددات في النص ودراسته من جانبيه اللغوي الأدبي أو التركيبي النحوي . ويكون بالتوصل إلى معاني الكلمات من خلال جملها و نقل فكر المؤلف إلى القارئ³⁸⁰. أين تكون لغة الكاتب والقارئ ومستواه الفكري والثقافي عاملا مهما ووسيطا استراتيجيا في كشف معنى النص الخفي وإدراكه وفهمه فتمثل هذه العناصر في مجملها عوامل تساهم في فك شفرات الخطاب وإعادة بناء معناه.

ولم يغفل (شليمر ماخر) العمل النفسي الذي يعده حلقة مهمة في عملية التأويل وفهم النص من خلال كشفه لنفسية الكاتب جاعلا العلاقة التاريخية كائنة بين ثنائية (الموضوع والذات) حيث يقول: "كلما تقدم النص في الزمن كلما أصبح أكثر غموضا للقارئ... لا بد من قيام علم أو فن يقربه من الفهم الصحيح للنص".³⁸¹ فكانت رؤية (شلاير ماخر) التأسيس لقارئ متميز يحتضن التأويلية وفق علم و منهجية جدية تساهم في فهم النص عبر مراحل التاريخية.

أما (فلهم ديلتاي) (Dilthey Wilhem) 1833-1911 وهو فيلسوف ألماني وأستاذ بجامعة برلين، حاول التنظير للتأويلية والتأسيس لمنهج يعتمد على العلوم الإنسانية والاجتماعية بعيدا عن مناهج العلوم الطبيعية فهي في نظره عاجزة عن الوصول إلى فهم الظاهرة الإنسانية وأوضح أن هناك اختلاف بين العلوم الطبيعية والاجتماعية واعتمد في ذلك على نوعين من التجربة الأولى ذاتية تقترب من الفكر والعلوم الإنسانية والثانية تجربة علمية تبتعد عن كل ما هو غيبي ميتافيزيقي : " إذ أن الفارق بين العلوم الاجتماعية مشتقة من العقل البشري بينما العلوم الطبيعية من الطبيعة".³⁸² يبدو أن دالتاي من أشد المنتقدين للتفسير الميتافيزيقي معتبرا الفهم نتيجة لتفاعل التجربتين معا من أجل تحديد معنى وشكل

³⁷⁸ ينظر عادل مصطفى : فهم الفهم ن مدخل إلى تاريخ التأويل الهرمونيطيقا ملاحظات أولية حول الفكر التأويلي، مجلة التسامح، وزارة الشؤون الدينية ، سلطنة عمان، 2004، ص69.

³⁷⁹ نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط6 الدار البيضاء المغرب 2006، ص20 .

³⁸⁰ ينظر نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، ص13

³⁸¹ نصر حامد أبو زيد: صناعة المعنى وتأويل النص ضمن نظرية المعنى بين الشرح والتفسير والتأويل، منشورات كلية الآداب ، منوبة، تونس

1992، ص16.

³⁸² نصر حامد أبو زيد: صناعة إشكالية القراءة وآليات التأويل، ص 24 .

جديد للنص.³⁸³ معتبرا الفهم أداة ناجعة للتوغل إلى جوهر الأشياء لتفسير الظاهرة الطبيعية، وأن التجربة الذاتية، أساس فهم الظاهرة الإنسانية وكان يردد دوما مقولة: "إننا نفسر الطبيعة ونفهم الحياة النفسية"³⁸⁴. ويعتمد الفهم في نظره على النشاط العقلي والفكري في تأويل العلامات والرموز وتحليلها وفهم معناها.

اعتمد الفيلسوف (إدموند هوسرل) رائد الفلسفة الظاهرانية في تأويليته بحيث يرى أن للوجود دور مهم في التأثير على الإنسان الذي يرتبط به أيما ارتباط فمنهجه يستند على المعرفة بالوجود وكيف تتمظهر الأشياء بداخله ليعيد ترجمتها إلى معاني جديدة وهو المبدأ نفسه الذي يتبناه الفيلسوف (هيدغر). مارتن (Heidegger Martin) 1976-1889 فيلسوف ألماني ومفكر وجودي بأفكار (هوسرل)³⁸⁵ حيث تقوم تأويليته على الفهم الذي: "ينبع من تجلي الشيء الذي نواجهه من الحقيقة التي ندركها."³⁸⁶ ورفض الفصل بين (الذات /الوجود) واعتبر الإنسان ف يمثل ذات عارفة بنفسها ثم تتجه بعد ذلك نحو معرفة العلم: "إن الإنسان ليس بالذات إلا الاستيمولوجيا (العارفة) المنعزلة التي تدرك وجودها أولا ثم تحاول بعد ذلك البرهنة على وجود العالم ، فالعالم بهذا المعنى مكون لوجود الإنسان.

يتخذ (هانس غيورغ غدامير) من التفسيرات الأولية وقيمة التراث التي يمثل بالنسبة للإنسان وجوده وهويته فالنص القديم الجوهر فيه ليس بنياته اللغوية أو جماليته وإنما مقاصده وغاياته وانتقال النص وتكونه عبر مراحل الزمن هي من تحرك في القارئ هواجس التأويل يولد فيه الإنفعال والرغبة في قدرة الفهم على ترجمة معنى النص .

أما (بول ريكور) خالف (غدامير) حيث تعتمد "للهرمنيوطيقا" الجديدة في نظره على جملة من قواعد التفسير والشرح بقوله: "نشأ مفهوم "الهيرمنيوطيقا" في البداية عند تفسير النصوص الدينية ومن بعدها النصوص الدنيوية وهذا ما شكل الهرمنيوطيقا كعلم لقواعد التفسير"³⁸⁷. وتعتمد "الهيرمنيوطيقا" أساسا على أن يكون النص المعين قادرا على تقديم المعنى الحقيقي قدر المستطاع.³⁸⁸

ويري النص له معنى ظاهر والآخر مضمّر يعمل القارئ على استجلائه للوصول إلى (معنى المعنى)³⁸⁹. وهو عبارة عن مجموعة من الرموز التي تقبع في لاشعور الذات لتظهر في شكل أحلام ورغبات وسلوكات: "...لأن الرموز توجد أولا في الواقع الغير لغوي الذي يطلق عليه فرويد باستمرار الغريزة التي تلمس من خلال ممثليها التفويضييين والعاطفيين، إن هؤلاء الممثلين بتفرعاتهم يظهرون ويستترون في ظواهر المعنى التي تسمى

³⁸³ عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مرجع سابق ص 121.

³⁸⁴ محمد شوقي الزين: مدخل إلى تاريخ التأويل الهرمنيوطيقا ملاحظات أولية حول الفكر التأويلي، مجلة التسامح، وزارة الشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2004، ص 153.

³⁸⁵ ينظر جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة ، ص 694.

³⁸⁶ ينظر نصر حامد أبو زيد: صناعة المعنى وتأويل النصضمن نظرية المعنى بين الشرح والتفسير والتأويل، مرجع سابق، ص 32.

³⁸⁷ بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة: فريال جبوري غزول، دار قرطبة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب، ص 139.

³⁸⁸ ينظر بول ريكور : البلاغة والشعر الهرمنيوطيقا، ترجمة: مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد، ص 114

³⁸⁹ بول ريكور: نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب

2003، ص 97.

بالأعراض والأحكام والأساطير والمثل العليا والأوهام... إن قوة الرمز تنبع من كونه يعبر عن مكر الرغبة من خلال ثنائية المعنى³⁹⁰. فعن طريق العلاقة الكائنة بين المعنى الظاهر والخفي يدخل المؤول (القارئ) في علاقة تحاورية مع النص وانفتاحه نحو الوقوف على معاني جديدة مختلفة ومتعددة، محولا الرموز إلى لغة من الانطواء والانغلاق نحو الانفتاح.³⁹¹ وعليه فالرمزية في رأي (بول ريكور) تجعل تتبع المعنى الخفي في النص وإظهاره أمرا ممكنا.

ويتميز المفكر والروائي الإيطالي (أمبرتو إيكو) أساسا بالبحث عن الآليات الناجعة والفعالة التي تساهم في التوصل إلى قراءة تأويلية، بعيدة الذاتية أثناء دراستها للنص رافضا في الوقت نفسه مبادئ البنيوية التي تتعامل مع النص من منطلق الأهواء والنزعة الفردية فقدمت قراءة بعيدة عن جوهر التأويل وغايته ويمثل التأويل في رؤية أداة توظف لبناء موضوع جديد للنص³⁹². وعليه فإن تأويلية (إمبرتو إيكو) تقوم على قراءة جادة وفعالة، تهدف إلى إخراج النص من السكون إلى الحركية ومن الانغلاق إلى الانفتاح والفعالية. فهي أداة يوظفها القارئ لتكتشف الحقيقة الجاثمة خلف السطور، وإمطة الحجاب عن المعنى الخفي وإظهاره. ويعتبر النص نتاجا أدبيا مفتوحا بينيته اللغوية و شعريته وجماليته اللامتناهية، تتجلى لنا علاماته سيميائيا في خضم العلاقة بين ثنائية (النص/ التلقي)، فالنص المفتوح والمتميز يصبو إلى إنتاج القارئ النموذجي عبر ثنائية (النص/التأويل): "النص وسيلة تخيلية غرضها إنتاج قارئها النموذجي. وهذا القارئ غير موكل إليه تقديم الحدس الوحيد الصحيح، فالنص يستطيع التنبؤ بقارئ نموذجي مؤهل لتجريب حدوسات لا نهائية³⁹³. ولا ينبغي على القارئ الانسياق خلف لذة النص فيوظف في قراءته ما يفقد النص الوقوف وتكشف معناه الخفي فيبتعد بذلك عن جوهر التأويلية الذي يقوم في رأيه على جملة من الضوابط والقوانين من شأنها التحكم في القراءة ومن أجل ذلك وضع (أمبرتو إيكو) جملة من الآليات من شأنها تنظيم العملية التأويلية نوردتها كآلاتي:

وهو أن يتضمن النص الأدبي "حقلا للإحياء" عبارة على مجموعة من الرموز والدلالات الخفية من شأنها أن تفرض على القارئ انتهاج طرائق تأويلية تتناسب مع طبيعة الإحياء أو الرمز للوصول إلى معناه: "فيضل النص يستحضر وجود محفزات بمثابة النقطة التي تستطيع الالتقاء حولها.³⁹⁴ وعليه فالقارئ مطالب بتوليد المعنى في النص وهو جوهر التأويلية التي اعتمدها (امبرتو إيكو) بحيث يكون النص: "المبني على سلطة الإحياء يتجه مباشرة إلى العالم الداخلي للقارئ وذلك بهدف إبراز أجوبة جديدة وغير منتظرة وأصدية

³⁹⁰ بول ريكور إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة فريال جبوري غزول، مرجع سابق، ص 114.

³⁹¹ ينظر المرجع السابق، ص 115.

³⁹² إمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص78.

³⁹³ إمبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، مصر 2006، ص79.

³⁹⁴ المرجع السابق، ص39.

عجيبة³⁹⁵. " فكلما حقق النص مستوى من الجمالية والشعرية كلما تحقق شرط الحقل الإيحائي.

ويشكل مصطلح " الكلية " ، " الشمولية " أو " الوحدة العضوية " الذي يقوم للنص على استجماع البنيات الدلالية سواء كانت صغرى أم كبرى ثانوية أم رئيسية، ببعضها البعض لبناء المعنى الكلي للنص ويكون (إمبرتو إيكو) بهذا الرأي قد خالف الاتجاه التفكيكي الذي يقوم بتقويض النص إلى وحدات دون أن ينتهي إلى الربط بينها فهذه البنيات: " في تداخلها وتشابكها تستطيع أن تعمل في نوع من التضامن والتوحد على إشباع وإثراء " المدلول الكلي " وليس على تفكيكه وتشخيصه باستمرار³⁹⁶. " ولا يمكن للعلامة اللسانية والغير لسانية أن تنجز لها معنى إلا في ضوء التآلف والتلاحم الكلي الذي تحققه هذه البنيات. أما مفهوم " القصديّة " ، ففي حال تحقق شرط ارتباط بنيات النص الصغرى والكبرى الناتجة عن الوحدة الكلية للنص وتلاحمها ضمن تآلف دلالي واحد من شأنها أن تحقق " القصديّة " أو المعنى الإجمالي للنص، ذلك المقصد: " الشفاف الذي ينفي أي تفسير مقحم. " ³⁹⁷ فكلما كان النص مفتوحا كلما يولد في القارئ التخيل ولا يتعلق الأمر باكتشاف قصدية المؤلف والقارئ وإنما الغرض هو الوصول إلى قصدية النص ،

وكما يشترط أن يكون التأويل لامحدودا ، أي لا يبقى التأويل فرديا بل يجب أن يكمن في جهود الجماعة من المفكرين والباحثين هدفها التأسيس لمعرفة تخص : " الفكر أو الرأي الذي يحدد الواقع يجب أن يرد إلى مجموعة من الخبراء. " ³⁹⁸ حتى لا يكون التأويل فرديا ويتصف بالتوافق الجماعي فيكون: " رأي عام توافقي وتصور جماعي للمعرفة. " ³⁹⁹ فالتأويل لا بد أن يقوم به أهل المعرفة والاختصاص. إلى جانب التعود على العمل والتفكير ضمن مجموعة بشرية من المفكرين وأهل المعرفة والعلم فإن ذلك يسمح ببناء تصور جماعي ومشارك للمعرفة ويجنب السقوط في القرارات الأحادية التي تسيطر عليها النزعة الذاتية. وتجنب عدم السقوط في متاهات الاستطراد والحشو الإطناب في القراءة، مما يفقد النص معناه الحقيقي ويبعد بالتأويل عن مساره الحقيقي حتى لا يفقد التأويل مقصده وغايته المعرفية .

التأويل عند العرب:

يرتبط مصطلح التأويل في العالم العربي قديما بالتفسيرات الدينية وقراءة وتفسير الآيات والصور القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وما ارتبط بلغة الشعر. عرف مصطلح " التأويل " في العصر الحديث تطورا مع ظهور مناهج واتجاهات نقدية أتاحت فرصة إعادة قراءة التراث الأدبي والنقدي العربي وتبين معانيه الخفية والمضمرة . فلم يعرف المصطلح ثباتا واستقرارا ولم يتفق النقاد وأهل المعرفة على توحيد معناه. وكانت

³⁹⁵ أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح، ترجمة: عبد الرحمان بو علي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 2006، ص77.

³⁹⁶ عبد الكريم شوقي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007، ص111.

³⁹⁷ امبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة مصر 2006، ص91.

³⁹⁸ المرجع السابق، ص 135.

³⁹⁹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على سبيل المثال جهود الناقد (نصر حامد أبو زيد) المتمثلة في كتابه: "إشكالية القراءة وآليات التأويل" درس من خلاله بعض النصوص من التراث النقدي مثل (عبد القاهر الجرجاني) و(ابن جني) وغيرهم والوقوف على مقاصد النص وتعرض إلى إشكالية تطبيق آليات التأويل التي تختلف من النص القرآني إلى النص الأدبي إذ كل نص وله خصوصيته ومميزاته تفرض على القارئ التعامل معه وفق ما تقتضي طبيعته. وكان لـ: (ناصر حامد أبو زيد) تعريفاً مميزاً للتأويل الذي يذكر فيه أنه: "محاولة الوصول إلى العلم وظاهرة من الظواهر عن طريق اللفظ أو الفكر الإنساني وهذا الفهم لظاهرة التأويل يجعل من التأويل عملية أوسع من التفسير".⁴⁰⁰ ويذكر أيضاً أن التأويل هو مصطلح قديم وجديد في نفس الوقت.⁴⁰¹ يتيح هذا التعريف السلطة للمؤول الذي يجب عليه أن يتقيد بجملة من الضوابط والمعايير الممثلة في الالتزام باستقلالية النص الأدبي الذي يتميز بنيته اللغوية، والجمالية والأدبية عن باقي النصوص الأخرى. حيث يكفل الشكل اللغوي أداة تواصل يكون القارئ فيها عنصراً مؤثراً في عملية التأويل فكلما تعدد القراءات كلما تعدد المعنى .

استنتاج:

وعلى العموم نجد أن التأويل في النقد العربي المعاصر قد تأرجح بي سلطة المؤلف والنص والقارئ متأثراً بجهود المدرسة الشكلائية والبنوية والتفكيكية وبمفاهيم الهيرمونيوطيقا المختلفة للنقاد والفلاسفة فهي عبارة عن فن التأويل، كانت حكراً على حقل الدراسات الدينية معتمدة على عامل اللغة بوصفها علامة توحى إلى دلالات في فهم معاني النصوص، اتسعت رقعتها لتشمل في العصر الحديث إلى دراسة النصوص الأدبية موظفة في منهجيتها العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع، علم النفس والتاريخ والثقافة... محاولة شيئاً فشيئاً التأسيس لنفسها منهجاً قائماً بذاته واضحة الفروق بينها وبين التأويل الذي هو عبارة عن استجلاء القارئ لمعنى النص الخفي .

تشتد الهيرمونيوطيقا جملة من المعايير التي يلتزم بها المؤول في فهمه للنص وهي ليست ثابتة بل متحول ودائمة التغير والتبدل فالذي يضمن لها ذلك النشاط الفكر واللغوي والثقافي للقارئ وتجربته الذاتية والنفسية التي تعزز من قدرات الهيرمونيوطيقا الوظيفية بالبحث عن المعنى المضمّر أو ما يعرف عند البلاغيين العرب القدامى بـ: "معنى المعنى" وما سماه (بول ريكور) بقصدية النص، إنها مفهوم يتيح قراءات متعددة للنص الواحد بغية وضع منهج استراتيجي لتتحول بذلك القراءة إلى إبداع ومن السطحية إلى العميقة في رحلة البحث والتنقيب عن معنى المعنى.

إمبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2006.

⁴⁰⁰ ناصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص232.

نصر حامد أبو زيد: إشكاليات وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 1992، ص14.⁴⁰¹

- أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح، ترجمة: عبد الرحمان بو علي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 2006، ص77.
- عبد الكريم شوقي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007.
- امبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة مصر 2006،
- 1 ناصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1999،
- نص حامد أبو زيد: إشكاليات وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت 1992،¹
- 1 بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة: فريال جبوري غزول، دار قرطبة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب،
- 1 ينظر بول ريكور: البلاغة والشعر الهيرمنوطيقا، ترجمة: مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد،
- 1 بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2003.
- 1 بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة: فريال جبوري غزول، مرجع سابق،
- 1 ينظر المرجع السابق،
- 1 إمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب 2004.

علم السرد

المحاضرة العاشرة

أ.خالدي سمير

السرد لغة:

وردت كلمة السرد في محكم التنزيل في قوله جل وعلى: (ولقد أتينا داوود فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا آل داوود صالحا إنني بما تعملون بصير.) (سبأ الآية 10-11) و يعرف لسرد على أنه: "تقدمة الشيء إلى شيء ما تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً، ويقال سرد الحديث ويسرده سرداً: إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً: إذا كان جيداً السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه، وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه⁴⁰²."

⁴⁰² ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة سرد، ص273.

ورد في المعجم الوسيط: " درع مسرودة ومسردة بالتشديد، فقيل سردها، نسجها وهو تدخل الحلق بعضها في بعض، والسرد الثقب والمسرودة المثقوبة، ويقول يسرد الحديث: إذا كان جيد السياق له، ويسرد الصوم تابعه وتقول العرب في الأشهر الحرم ثلاثة سرد أي متعاقبة وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم.⁴⁰³"

السرد اصطلاحاً:

السرد (NARRATIVE) وهو الحديث أو الحكى أو الإخبار "ويقاله بالفرنسية (NARRATION) ، (NARRATIVE) (NARRATOLOGIE) وبالعربية القص والحكي ويذكر البعض أن السر والمسروود هو الحكى والمحكى⁴⁰⁴."

يعتبر مصطلح علم السرد Narratologie من المصطلحات التي اقتحمت الحقل النقدي بفعل البنيوية وما تميزت به من نتائج في مجال الدراسة الوظيفية لبنية النص الأدبي، وتعود الأصول والإرهاصات الأولى لعلم السرد إلى فضل وجهود الشكلايين الروس في مقدمتهم (فلاديمير بروب) المتمثلة في كتابه المعنون بـ: "مورفولوجيا الحكاية" وذكر الدكتور صلاح فضل في كتابه "بلاغة الخطاب أن (بروب): " تعرض فيه إلى تحليل تراكيب القصص إلى أجزاء ووظائف ويقصد بالوظيفة بالعمل أو فعل ونشاط الشخصية وحصرها في واحد وثلاثين وظيفة لدى جميع القصص⁴⁰⁵."

ويرجع أول توظيف للمصطلح من قبل (فلاديمير بروب) سنة 1969 تضمنه كتابه "قواعد الديكامرون" وعرفه بمصطلح "علم القصة"⁴⁰⁶ ومنذ تلك اللحظة بدأ المصطلح يعرف حالة عدم الاستقرار والتذبذب وخضع إلى عدة تسميات مثل (نظرية السرد، التحليل السردى، التحليل البنيوي للحكاية، بويطيقا النثر، بويطيقا السرد، التحليل اللساني للرواية...) إلى أن استقر (تزفيتان تودوروف) على مصطلح علم السرد وكان ذلك سنة 1967: "حيث يسعى إلى توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص وتمثل مجاله النظري والتطبيقي خلال تعامله مع السرد وبنيته⁴⁰⁷."

ليعرف المصطلح تطوراً في مجال دراسة الخطاب مع (جيرار جينيت) حيث وظف مصطلح "السردية" (NARRATIVE)⁴⁰⁸ وتهتم بالعمل السردى بوصفه خطاباً وشكلاً من أشكال التعبير ويمثل هذا الاتجاه كل من (فلاديمير بروب، وتزفيتان تودوروف

⁴⁰³ فيروز الأبادي: قاموس المحيط، مادة سرد، ص 94

⁴⁰⁴ مولاي بوخاتم: مصطلحات التحليل السيميائي السرد والخطاب أنموذجاً

⁴⁰⁵ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر 2010، ص208.

⁴⁰⁶ أنظر مهيوي أمينة خواينبة: طريقة السرد في الحكايات الشعبية المغربية، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية أشرف أ.د عبد الغالي بشير، السنة الجامعية 2010-2011، ص14.

⁴⁰⁷ بان مانفريد: علم السرد، مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا 2011، ص7.

يوسف وغليسي: السردية والسرديات، قراءة اصطلاحية، مجلة السرديات ، ص9، 408.

وجيرار جنيت). بينما وظف (رولان بارت)، (غريماس) و (كلود ريمون) مصطلح بالسيمائية السردية التي تعكف على دراسة العمل السردى باعتباره حكاية متمثلة في جملة من المضامين السردية.⁴⁰⁹ فحاول (رولان بارت) تقديم تعريف بسيط للمصطلح فقال: "إنه مثل الحياة، علم متطور من التاريخ والثقافة"⁴¹⁰. لكن في حقيقة الأمر يحمل التعريف أفكار واسعة تجعل العقل البشري يفكر مليا ويتأمل فيها مطولا بحيث يؤكد رولان بارت عن هذا العمق بقوله: "إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثلة والحكاية والقصة"⁴¹¹. فتعتمد القصة أو الحكاية على سرد الأحداث تحركها شخصيات في أبعاد زمنية ومكانية بأسلوب مميز تعبر عن فكرة وتصور تجاه قضية ما.

وعرفه سعيد بكراد: "انزياح عن زمنية عادية من أجل تأسيس زمنية جديدة تهىء للتجربة التي ستروى بورتها وإطار وجودها"⁴¹². "بينما يرى حميد لحميداني بأنه يكمن في الأسلوب الذي يتحدد شكل رواية الأحداث: "بالكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها وما تخضع له من مؤشرات بعضها متعلق بالراوي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها"⁴¹³. "فهو يمثل بالنسبة إليه الأسلوب وطريقة الحي. في حين يعتبر (عبد الله إبراهيم) السردية: "العلم الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردى أسلوبا وبناء ودلالة"⁴¹⁴. فهي منهج يهتم بدراسة شكل ومحتوى الخطاب والعمل السردى⁴¹⁵. إذن السردية هي شكل ومضمون القصة. أما في نظر عبد المالك مرتاض فالسرد هو "إنجاز اللغة شريط محكي يعالج أحداثا خيالية في زمان معين وحيز محدد تنهض بتمثيله شخصيات يصمم هندستها مؤلف أدبي"⁴¹⁶. فمادام السرد هو نشاط لغوي أو حكي يشترط فيه حضورا أساسيا لعنصري المروي والمروي له.⁴¹⁷ يفهم مما سبق أن السرد هو نشاط فني ليست لا حدود له، فضاءه رحب يتسع لكل أنواع ومختلف أشكال الخطاب وطرائق السرد فهل يمكن لنا اليوم الحديث عن علم أو منهج يهتم بالسرد والسرديات ويبحث في وظائفه ولغته وجماليته الفنية والأدبية.

ويقوم السرد على ركيزتين مهمتين : الأولى أن يحتوي على قصة تضم أحداثا متنوعة والثانية تتمثل في الأسلوب أو الطريقة الموظفة في عرض الأحداث وتسمى السرد. ويتكون السرد من ثلاثة عناصر هي:

409 ينظر عبد الله إبراهيم: السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان 2000، ص17.

عبد الرحيم الكردي: البنية السردية في القصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط3، (د.ت)، ص13.⁴¹⁰

سعيد يقطين: الكلام والخبر، مقدمة السرد العربي، ط1، المركز الثقافي، بيروت، 1997، ص19.⁴¹¹

412 سعيد بكراد: السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب 2008، ص57.

413 حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب 2000، ص45.

المرجع السابق، ص17.⁴¹⁴

415 المرجع السابق الصفحة نفسها.

416 عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص219.

417 ينظر عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردى، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، سوريا 2008، ص70.

- الراوي: أو السارد فهو شخصية متخيلة أو كما يسميها (رولان بارت) شخصية من ورق⁴¹⁸، مستترة يوظفها المبدع لمهمة سرد الشخصيات القصة أو الحكاية بوقائعها،⁴¹⁹ إنها "الذات الناقلة للغة المبدع"⁴²⁰
- المروي: ويشمل القصة بما تتضمنه من أحداث وشخصيات وزمان ومكان باختصار بنية الحكي⁴²¹، أو هو موضوع القصة.
- المروي له: قد يكون شخصية معينة ضمن بنية الحكي، وقد يكون شخصا متخيلا على حد تعبير عبد الله ابراهيم في كتابه السردية العربية⁴²². أو هو بتعبير آخر يمثل المتلقي والمحكي له.

تعريف علم السرد (السردية) :

ذكر (فيصل الأحمر): "أن أصول علم السرد ترجع إلى اللاتينية، فالسرد في اللاتينية هو (NARRATIO) والجزء الأساسي في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل⁴²³."

تمثل السردية إحدى الروافد التي تفرعت عن أصل قديم وهو الشعرية التي عرفها (توفيتان تودوروف) في كتابه الموسوم بـ: "الدلالة والنظرية الأدبية" بـ: "نظرية الأدب"⁴²⁴ التي شكل سؤال ما الأدب؟ جوهرها وهو التوجه نفسه الذي عبر عنه (رومان جاكسون) في إحدى مقالاته المعنونة بـ: "اللسانيات والشعرية" حيث طرح سؤالاً مهماً بقوله: "ما الذي يجعل رسالة لفظية عملاً فنياً."⁴²⁵ وأن للشعرية دور مهم في مجال الدراسات الأدبية لارتباط موضوعها بالتنوع والتباين الذي يطرأ على اللغة في مختلف الفنون والأشكال التعبيرية والسلوكيات اللفظية⁴²⁶.

نماذج عن تطبيقات المنهج:

أنظر: المرجع السابق، صنفها. 418
 عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص 49. 419
 مصطفى بوجملين: ثنائية السارد والمسرود له في كتاب (في نظرية الرواية) لعبد الملك مرتاض، قراءة مصطلحية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 10، 2014، ص 2. 420
 أنظر: ميساء سليمان: البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق 2011، 421
 ص 41.
 أنظر: عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص 12. 422
 423 فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر 2010، ص 208.
 424 عبد الله ابراهيم: المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناسق والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط 1، حزيران، 1990، ص 148.
 425 Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage Oswald Ducrot – Tzvetan Todorov. ED. Seuil, 1972, p107
 426 عبد الله ابراهيم المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناسق والرؤى والدلالة، مرجع سابق، ص 210.

يمكن لنا عرض بعض النماذج المتعلقة بجهود جملة من النقاد المهتمين بالسرد في العالم العربي ومنها ما قدمه الناقد الجزائري (عبد المالك مرتاض) في كتابه المعنون بـ: "في نظرية الرواية" التي تختص بالبحث في حقل الرواية بوصفها سردا حيث قسم كتابه إلى تسعة مقالات ، فتعرض في الأولى إلى نشأة جنس الرواية ، واهتمت المقالة الثانية بـ: آليات بناءها ، وشملت المقالة الثالثة : البحث في شخوص الرواية ودورها وبناءها وأشكالها في العمل الروائي. وبحثنا لمقالة الرابعة في مستويات اللغة وأشكالها، واشتغلت المقالة الخامسة على الحيز الروائي وأشكاله. واحتل الزمن وعلاقته بموضوع الرواية أهمية في المقالة السادسة وظمت المقالة السابعة وتعرض المقالة الثامنة إلى شبكة العلاقات في السرد . وأما المقالة التاسعة والأخيرة اختصت بدراسة حدود التداخل بين الوصف والسرد في الرواية.

أما صلاح فضل فقد وضع كتاب عنوانه "أساليب السرد في الرواية العربية" تعرض فيه إلى أنواع التعبيرات السردية في الرواية العربية مثل الدرامي ، الغنائي والسينمائي وأتبعه بتطبيقات على جملة من الأعمال الروائية مثل جمال الغيطاني، نجيب محفوظ ، الطاهر وطار إيميل حبيبي ...

وانفردت الناقدة (يمنى العيد) بكتاب عنوانه : "تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، مقسم إلى سبعة فصول اختلفت بين النظري والتطبيقي على الرواية والقصة القصيرة. بينما شد انتباهنا ما قدمه الناقد المغربي (سعيد بن كراد) ترجمة لكتاب: " تأملات في السرد الروائي" (لأمبرتو إيكو) يتضمن تصورا أصيلا عن جنس الرواية حيث شبهها بالغباء ذلك العالم المغلق الجميل لكنه مخيف وغامض وتعرض لقضية المؤلف والقارئ والنص. أما حسين مناصرة فاشتغل على النص السردى رواية وقصة قصيرة في كتاب: "مقاربات في السرد (تطبيقات في الرواية والقصة السعودية) دراسة تشتغل على البحث في مستويات التوظيف وآليات السرد وجماليته واللغة وأشكالها التعبيرية. واشتغل حميد لحميداني على بنية السرد بكتاب عنوانه " بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي. من خلال منهج بنيوي معاصر يبحث التنظير للسرد والمراحل التي مر بها وتمثلات النقد السردى العربى المعاصر.

كانت هذه عينة اخترناها من تراكمات عديدة وكثيرة لدراسات سردية قد تفتح باب الفضول عند طلبتنا للبحث وإثراء معارفهم في حقل السرديات.

استنتاج:

يعد ما تقدم اختصار لأهم محطات "علم السرد" مع أهم أعلامها الذين أثروا بشكل ملفت للنظر في تطور الحقل النقدي، بحيث لازال الموضوع يشكل اهتمام النقاد والدارسين، فمع كل نص سردي جديد أو قصة تتجلى في الأفق نظرة تأويلية لسرده ولغته وخصائص بنيته الخطابية يعتمد فيها الدارس على نظريات وأفكار وآراء في مفهوم النص والخطاب وجمالية

التلقي، فاستطاع علم السرد أن يقدم الإضافة والجديد في مجال قراءة وتأويل النصوص التي يبقى مجالها التأويلي عالما مفتوحا إلى ما لا نهاية.

المصادر والمراجع:

- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010.
- عبد الله ابراهيم : المتخيل السردى ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، حزيران، 1990.
- عبد الله ابراهيم المتخيل السردى مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، مرجع سابق.
- حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب 2000.
- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية.
- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردى، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، سوريا 2008.
- أنظر: المرجع السابق، صنفها¹
- عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)،
- مصطفى بوجملين: ثنائية السارد والمسروود له في كتاب (في نظرية الرواية) لعبد الملك مرتاض، قراءة مصطلحية، مجلة المخبر، أبحاث في¹
- اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 10، 2014.
- أنظر: ميساء سليمان: البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق 2011.
- عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)، (د.ت).

نظرية التلقي وفعل القراءة المحاضرة الحادية عشر

أ.خالدي سمير

مقدمة:

استطاع مصطلح التلقي على الرغم من نعومة أظافره أن يؤسس لنفسه حضورا ومكانة متميزة على الساحة النقدية المعاصرة ، ويعد آلية في دراسة الخطاب الأدبي وتأويله مركزا اهتمامه على القارئ ونشاطه الفكري بوصفه مركز ثقل عملية التلقي. فأعادت إلى تشكل المعنى ودلالته واهتمت بالقراءة والتلقي فسمي هذا المنهج بنظرية التلقي⁴²⁷. فبدأت الملامح الأولى لنظرية التلقي تظهر في منتصف الستينات وأواخر السبعينات من القرن العشرين على يد (هانس روبرت هاوس) و (ولفغانغ آيزر) من بين رواد مدرسة كونستانس وكان ذلك في حوالي 1967 مركزة اهتمامها للقارئ باعتباره عنصرا أساسيا في عملية القراءة وتأويل النصوص والتعامل معها وفق منهجية وآلية تتميز بالمرونة والسلاسة⁽⁴²⁸⁾. فكان هدف النظرية : "إعادة الاهتمام إلى سياق النص الفني ومؤلفه مركزة على عنصر التلقي كونه البؤرة في تشكيل المعنى⁴²⁹". لينتشر بعد ذلك المصطلح إلى الدول الأوروبية وتحديدا فرنسا حيث بدأ الاهتمام بالجانب الجمالي والتنظيري للتلقي مع أواخر السبعينات على إثر التأثير بترجمة أعمال الفلاسفة والنقاد الألمان في حقل التلقي وتجلي هذا التأثير في مجلات فرنسية نقدية وأدبية مثل مجلة "الأعمال الأدبية والنقدية" سنة 1976⁽⁴³⁰⁾ . إلا أنه يمكن لنا القول بأن الاهتمام بالكاتب كان من بين الاهتمامات الأولى لبدايات النقد الادبي حيث أعطيت

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص107. 427
428 ينظر روبرت هولب: الاستقبال، مقدمة نقدية، ترجمة: عبد الجليل جواط، دار الحوار للنشر والتوزيع، (د.ط)، اللاذقية 1992 ص27.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، 170. 429

أنظر أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص24. 430

السلطة للكاتب وبدا الاهتمام بهذه الفكرة خلال الدراسات النقدية من خلال المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي وبظهور الشكلائية التي جاءت كرد فعل ضد المؤمنين بفكرة سلطة المؤلف⁴³¹ وحاول النقد الجديد في فرنسا تحويل السلطة من المؤلف إلى النص فأعلنت البنيوية عن موت المؤلف: "ولعل التركيز على النص هو الذي سيؤدي إلى افتراضات أولية حول القراءة في علاقتها مع الكتابة"⁴³². فاهتم (رولان بارت) بالقارئ المفترض وبالدراسات الأنثروبولوجية⁴³³. إن هذا الاهتمام بالنص والعلاقة التي تجمع بينها وما مدى تأثيرها على المتلقي، لها جذورها في التاريخ الأدبي العربي القديم. فقبل صدر الاسلام كانت تضرب للنابعة الذبياني قبة حمراء في سوق عكاظ ومربد للاستماع إلى قصائد الشعراء فكان يبدي رأيه ويعقب على هذا ويستحسن نظم شاعر آخر فظل الشاعر يكثر حولا من الزمن ينقح قصائده. كأنه كان يدرك أن للأدب خاصيته التواصلية وأن للمستمع والمتلقي ذوقا أيضا .

وترى الناقدة (بشرى موسى صالح) أن النقد قد مرّ بلحظات: " لحظة المؤلف وتمثلت في نقد القرن التاسع عشر التاريخي، النفسي والاجتماعي... ثم لحظة النص التي جسدها النقد البنيوي في الستينات من هذا القرن وأخيرا لحظة القارئ أو المتلقي كما في اتجاهات ما بعد البنيوية ولا سيما نظرية التلقي في السبعينات منه."⁴³⁴

أهم المصادر المعرفية لنظرية التلقي

- تميزت المدرسة الشكلائية بجملة من الأفكار التي كان لها أثرها البارز في نظرية التلقي ،باعتقادها على شكل النص ودراسة لغته وأسلوبه ويرى (تينيانوف) أن كل عنصر لغوي في النص يتحد كل عنصر له مع العناصر الأخرى من أجل تحقيق معنى للنص له خصائصه التي تخول له الصدارة⁴³⁵.

- شكلت حلقة براغ اللغوية أحد المصادر المهمة في تطعيم نظرية التلقي وتكوينها، باعتبارها النص الأدبي بنية لغوية في دراستها للنصوص الأدبية واعتبرت أنه لا يجب أن تقتصر الدراسة على الجانب الشكلي دون الأنا الجماعي الذي يساهم في يضفي جمالية على النص وإكتسابه لجملة من الخصائص والسمات⁴³⁶. وينعت التلقي بأنها: "تيارا ما بعد البنيوية جاءت لتغطية الجوانب التي أهملتها باعتبارها على المحايدة النصية"⁴³⁷. فهي ترى أن المعنى ينشأ من خلال تفاعل ذات القارئ بالنص. ومنجها أخرى

- ويمثل (رومان أنجاردن) رائد الفلسفة الظاهرية، أحد مرتكزات نظرية التلقي تتلمذ على يد (هوسرل) باعتداده على فكرته القائلة بأن البحث الفلسفي يقوم بالأساس على ما يتضمنه العقل والوعي الإنساني وليس ماهو كائن في عالم الموجودات⁴³⁸. فإدراك المعنى ناتج عن

⁴³¹ أنظر أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، ص26.

أنظر المرجع السابق، ص 26.⁴³²

أنظر المرجع السابق، ص26.⁴³³

⁴³⁴ بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان 2001، ص32.

أنظر: عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د.ط)، القاهرة 1999، ص76.⁴³⁵

أنظر المرجع السابق، ص77.⁴³⁶

المرجع السابق، ص 172-173.⁴³⁷

أنظر : بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، المغرب 2001، ص35.⁴³⁸

انتقال الاحساس من عالم النص إلى العالم الداخلي للذات القارئة. فحاول (انجاردن) توظيف مصطلح "التعالّي" في دراساته النصية التي يقوم على بنيتين: الأولى نمطية وتكمن في جوهر الفهم. أما الثانية فهي متحركة تتجلى في شكل النص⁴³⁹. فالمعنى ينتج بتفاعل بين ثنائية بنية النص والذات القارئة.

- شكلت **هيرمونيطيقا غادمير** أحد الروافد المؤسسة لنظرية التلقي وتضمن كتابه "الحقيقة والمنهج" على فكرة تتمثل في أن معنى النص يقوم على أساس التفاعل التاريخي بين النصوص الماضية والحاضرة⁴⁴⁰. كانت الفكرة نفسها لدى (هاوس) شكلت مرجعا أساسيا في بناء نظريته في التلقي في أن الحوارية بين النصوص القديمة والمعاصرة هي جوهر التأويل⁴⁴¹.

- قدمت **سوسيولوجيا الأدب** خدمة مميزة على إثر مقاربتها للنصوص من وجهة إجتماعية واهتمامها بالقارئ بحيث حولت اهتمامها للقارئ وبهذا الاتجاه الجديد تكون الدراسات الاجتماعية للأدب قد قمهدت الطريق لنظرية التلقي نحو بداية التشكل.

مفهوم التلقي لغة:

ورد في معجم لسان العرب معنى كلمة تلقي: "التلقي معناه فلان يتلقى فلان أي يستقبله"⁴⁴². أما في معجم تهذيب اللغة: "تلقاه بمعنى استقبله والتلقي هو الاستقبال"⁴⁴³. "وقد وظفت العرب قديما وتداولوا الكلمة في حديثهم وخطابهم فيما بينهم تفيد معنى الاستقبال والأخذ والتعلم"⁴⁴⁴ وخير مثال على ذلك قوله جل وعلا في محكم تنزيله: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه"⁴⁴⁵. وفي قوله أيضا: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد"⁴⁴⁶. ويتبين لنا من خلال الآيتان الكريمات أن كلمة تلقي لم تتضمن لمعنى الاستقبال وإنما ارتبط معناها بمستوى وقوة تأثير الرسالة الخطابية على المتلقي عقيا ونفسيا وحسيا . بينما المعاجم الفرنسية حافظت على معنى: "الاستقبال، والترحاب والاحتفال والاحتفاء"⁴⁴⁷. "ليعرف بعد ذلك المعنى تطورا متجاوزا حدود المعنى المتداول إلى معنى "استجابة القارئ"⁴⁴⁸ تضمنتها المعاجم الأمريكية بفعل ترجمة أعمال الألمان في حقل التلقي⁴⁴⁹

التلقي اصطلاحا:

يرتبط المصطلح بجهود مدرستين ألمانيتين كبيرتين : "مدرسة برلين" يمثلها (نومان) تقوم على مبادئ الفلسفة الماركسية في تنظيرها للعملية الإبداعية وتأثير العمل الإبداعي فنيا على

أنظر المرجع السابق، ص35. 439

أنظر المرجع السابق، ص 84. 440

المرجع السابق، ص 84. 441

442 جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور: لسان العرب، ج8، مادة لقا تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2005 ص685.

443 أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى المهروي: تهذيب اللغة مجلد07، باب القاف واللام، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2004، ص276.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص24. 444

445 سورة البقرة، الآية 37.

446 سورة ق الآية 17.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص24. 447

أنظر أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ص24. 448

أنظر المرجع السابق، ص24. 449

المتلقي⁴⁵⁰ " فهي ترى أن جمالية التلقي يقوم على أربعة عناصر: " المؤلف، النص، المتلقي والمجتمع⁴⁵¹ " ورأت أن: " العلاقة بين النص والقارئ لإبراز عملية التواصل قد تتجاوزها إلى عناصر أخرى مثل دور النشر، الطباعة والمؤسسات العلمية والثقافية⁴⁵². " وكان لهذه المدرسة دورا في بناء نظرية لجمالية التلقي التي تدخل فيها عناصر التي سبق ذكرها. أما المدرسة الثانية تتمثل في "مدرسة كونستانس " على رأسها (هانس روبرت ياكوس) و(فولفجانج آيزر) التي تعد مرجعا في التنظير لجمالية التلقي بإرسائها لجملة من المبادئ والأسس للنظرية في منتصف القرن العشرين فكانت للمدرسة رؤيا خاصة تجلت في: " الثورة على البنيوية والوصفية وإعطاء الدور الجوهري في العملية النقدية للقارئ باعتبار أن العمل الأدبي منشأ حوار مستمر مع القارئ.⁴⁵³ " فركز زعماء مدرسة كونستانس على: "الاهتمام المطلق بالقارئ ودوره الفعال في القراءة وإنتاجه للمعنى وتحديده⁴⁵⁴. بحيث أعادته السلطة إلى القارئ ، وأن التلقي يقوم على معادلة ذات أطراف ثلاثة وهي: " المؤلف – النص- القارئ.⁴⁵⁵ " فكانت لها وجهة نظر تخص: "العملية الإبداعية وكيفية تأثير العمل الفني على القارئ وما يترتب عنه من جمالية التي تتكون خلال صيرورة القراءة ذاتها وهو ما أضفى على المدرسة أكثر جدية في التنظير لمصطلح التلقي⁴⁵⁶. "

التلقي عند ياكوس:

وهو أحد أعمدة مدرسة كونستانس التي ظهرت في الستينات كان له الفضل في بناء وتشبيد سرح نظرية التلقي في البحث والكشف عن العلاقة التي تربط بين الأدب والتاريخ من خلال اعتماده لفكرة جديدة أتاحت للنقد الانتقال من علاقة (النص بمؤلفه) إلى علاقة (النص بقارئه) التي يراها لم توظف وتم إقصاءها⁴⁵⁷. وله أفكار رائدة في التنظير لجمالية التلقي التي تضمنها كتابيه: " من أجل جمالية التلقي " و "من أجل فن تأويل أدبي⁴⁵⁸. ويستند مشروع ياكوس التنظيري على أفكار استوحاها من الفلسفة الظاهرانية ومفهومه للأدب والفن وبحثه عن العلاقة التي تجمع بين الفن والجميل⁴⁵⁹. ويحمل المصطلح لدى (ياكوس): دلالة أخرى تتعلق بكيفية إحساس ذات القارئ بجمالية التلقي ومدى تأثيرها واستيعابها للعمل الأدبي، فيتجلى التلقي في: " ما تملكه الذات القارئة من رؤى جمالية تكشف عنها كل مرة عبر الزمن⁴⁶⁰. " فتصدر عنه أشكال من السلوكات والانطباعات والأحاسيس التي تنبعث منه في صور مختلفة كالإعجاب، الانتقاد، الاتفاق، ، الاقتناع الإحساس بالذلة⁴⁶¹... ويشكل هذا التفاعل بين القارئ والنص ما يسميه (ياكوس) بالصيرورة التواصلية لتاريخ الأدب حيث يكون: " المنتج دائما متلقي حين يشرع في الكتابة بواسطة كافة هذه الطرق المختلفة يتشكل

المرجع السابق ص 34. 450.

المرجع السابق ص 34. 451.

نفسه ص 34. 452.

453 سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفق العربية ، ط1، مدينة نصر 2001، ص 145.

454 ينظر ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل النقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، بيروت 2005، ص 282.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 2004، ص 34. 455.

المرجع السابق، ص 35. 456.

457 ينظر موسى صالح بشرى: نظرية التلقي، ص 45.

نفسه ص 36. 458.

أنظر المرجع السابق، ص 36. 459.

المرجع السابق ص 36. 460.

مولاي البشر الكعبة: محاضرات في مناهج النقد الأدبي الحديث، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش 2016، ص 126⁴⁶¹.

معنى العمل على نحو جديد باستمرار نتيجة تضافر عنصريين: أفق التوقع... الذي يفترضه العمل وأفق التجربة... الذي يكمله المتلقي.⁴⁶² إن التلقي لدى (ياوس) يقوم على أطروحة فكرية: "تتكون من ثلاثة مظاهر أولها المظهر التعاقبي يكمن في تلقي النصوص عبر الزمن، والمظهر الثاني تزامني يتعلق بتلقي العمل الأدبي الذي يخضع إلى أنظمة الأعمال الأدبية في لحظة معينة من الزمن، أما المظهر الثالث يختص بالعلاقة بين التطور الداخلي للنص وكذلك التاريخي بوجه عام⁴⁶³." ونستنتج مما سبق أن المفهوم الجمالي لدى (ياوس) يقوم على علاقة التأثير والتأثر بين ثنائية النص والقارئ التي تتجلى في العلاقة الجمالية الأولى بين (النص بالقارئ) و العلاقة الثانية المتمثلة في فعل القراءة والتأوي

القراءة:

لقد ارتبط مصطلح القراءة بالتلقي إذ لا يمكن يستثنى منه إذ نراه المكمل له وطرفا فاعلا في معادلة جمالية التلقي. ويتبوأ المصطلح مكانة واسعة بين الدارسين والناقدين مكتسحا كل المناهج النقدية على غرار: البنيوية، الأسلوبية، السيميائية، التفكيكية والتلقي مما جعل أمر تحديد مفهوم واضح له صعب، أمام تعدد واختلاف الاتجاهات الفلسفية والمشارب الفكرية.

ويعرفها الناقد حسين الواد في نظر النقاد المعاصرين: "ذلك الفعل البسيط الذي نمرر به البصر على السطور، وليست أيضا هي بالقراءة التقبلية التي نكتفي فيها عادة، بتلقي الخطاب تلقيا سلبيا اعتقادا منا أن معنى النص قد صيغ نهائيا وحدد... إن القراءة في رأيهم أشبه ما تكون بقراءة الفلاسفة لتفسير القضايا الوجودية، إنها فعل خلاق يقرب الرمز من الرمز ويضم العلامة إلى العلامة، وسير في دروب ملتوية جدا من الدلالات نصادفها حيناً ونوهمها حيناً فنختلقها اختلاقاً."⁴⁶⁴ إذن يكمن جوهر في تبين مدلولات المعاني وإعادة إنتاجها في قالب لغوي الجديد. من خلال عقد شراكة بين القارئ والنص يهدف إلى استجلاء المعاني وإظهار كفاءة وقدرة على إعادة بناء الخطاب بعد تفكيكه، والإحساس بلذة النص لتكتسي في النهاية طابعا إبداعيا⁴⁶⁵ ونستشف مما سبق أن التلقي والقراءة يتفقان في مهمة واحدة تتمثل في كيفية فهم النص وتأويل معناه.

أهم مصطلحات التلقي :

"أفق التوقع" مصطلح مستوحى من الفلسفة الظاهرية يمثل: "الفضاء الذي تتشكل عبره عملية تركيب المعنى وبناء مراحل التحليل ونشاط القارئ ودوره في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الذي يعد جوهر اللذة في جمالية التلقي"⁴⁶⁶. فأفق التلقي هو: "المسافة بين النص والقارئ يتطلب تجاوزها الاهتمام بعنصر التلقي عوضا عن المؤلف والنص والعوامل الأدبية الجانبية فيبدأ التلقي من زمن الكتابة مروراً بتاريخ تلقيه والانتهاه بتأويله"⁴⁶⁷. وظفه (ياوس) واستند عليه في كيفية تأثير المخزون المعرفي والتجربة الإبداعية لدى القارئ، أثناء تفاعله مع العمل الأدبي فيتحرر عندها القارئ نفسيا وفكريا من كل القيود فيتفاعل مع النص في عملية اكتشاف جوهره.

⁴⁶² مولاي البشر الكعبة: محاضرات في مناهج النقد الأدبي الحديث، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش 2016، ص126.

⁴⁶³ أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 2004، ص37.

⁴⁶⁴ حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، السلسلة الأدبية، مؤسسة الطباعة والنشر الدار البيضاء 1984، ص86.

⁴⁶⁵ عبد السلام ناس عبد الكريم: قراءة المؤلف النقدي، المدخل إلى تدريس المؤلفات بسلك البكالوريا، مطبعة أنفوبرانت فاس 2009، ص17.

⁴⁶⁶ موسى صالح بشري: نظرية التلقي ص54.

إبراهيم خليل: في النقد والنقد الأسنوي مختبرات أدبية ودراسات نقدية، (د.ط)، عمان، 2002، ص112. ⁴⁶⁷

واعتبر أن الترسيبات المعرفية استوحاها من النصوص السابقة سببا في ظاهرة تطور الأجناس الأدبية التي تساهم في تشكل الفهم لديه حيث يستدعي هذا التطور في الأجناس الأدبية الذي هو انسجام بين الماضي والحاضر كلها عناصر تحقق شرط التأويل عبر ثلاثية (الفهم ، التفسير والتطبيق)⁴⁶⁸.

ويتكون أفق التوقع في رأي (ياوس) من ثلاثة عناصر: الأول يتمثل في التجربة المسبقة المكتسبة عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص ، والعنصر الثاني يتمثل في مضامين وموضوعاتية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها، أما الثالث فهو التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية أي التعارض بين العالم التخيلي والواقع اليومي⁴⁷⁰.

تغيير الأفق:

يكن في ذلك: "التعارض الذي يحصل للقارئ أثناء قراءته للنص الأدبي بكم من الحمولة المعرفية وبين عدم استجابة النص لتلك الانتظارات والتوقعات فيقف القارئ هنا ليبنى أفقا جديدا عن طريق اكتساب وعي جديد ومقياسا أومحطة يعتمد عليه في التأريخ للأدب"⁴⁷¹. إذن جمالية التلقي عند (ياوس) تكمن في الخلفية المعرفية والثقافية وتجربة القارئ التي تفعل فعلها أثناء اتصاله بالنص المقروء مقابل النصوص الأخرى والوقوف على التشابه والاختلاف يكشف من خلالها عن المعنى الجديد. وقد يضطر في أحيانا إلى تغيير موقفه كنتيجة لفعل القراءة وتأثره بالنص وموضوعه يتحول بموجبه الأفق المغاير ، إلى أفق جديد الذي أنتجه القارئ النصوص القديمة.

اندماج الأفق:

يكن في الحوارية التي تنشأ بين الانتظارات الأولى القديمة والانتظارات للنصوص المعاصرة والتي تحدث نوعا من الانسجام والتقبل بقراءتها⁴⁷². وهو ما يسميه الفيلسوف (غدمير) : "بمنطق السؤال والجواب"⁴⁷³ فيجب على المؤرخ للأدب يضع في حسابه استجابة وردة أفعال القراء لما ينتجه من نصوص بغية اكتشاف التغيرات والاختلافات التي تتضمنها معاني النصوص فيكون بذلك قد حقق التعدد والتنوع في تأويل النصوص عبر مر العصور الماضية والمعاصرة.

تاريخ القراءة:

استوحى ياوس مصطلح "المنعطف التاريخي"⁴⁷⁴ من المفكر (هانس بلامنبورغ) HANS BLUMENBERG الذي وظفه في تأريخه للفلسفة.⁴⁷⁵ أما (ياوس) فقد استعمله في حديثه عن تاريخ القراءة ويشير المصطلح في مفهومه إلى التطور الحاصل في الحضارة الإنسانية من تاريخ ومعرفة وثقافة التي فتحت الباب على مصراعيه للقارئ وأتاحت له فرصة تكوين تجربة إبداعية تساهم في بناء أفكار ورؤى جديدة من شأنها إحالة القارئ على مواضيع

⁴⁶⁸ ينظر عودة خضر ناظم: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشرق، ط1، 1997، ص140.

⁴⁶⁹ ينظر هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة وتقديم : رشيد بنحدو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003 ، ص63.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص38.⁴⁷⁰
المرجع السابق ص38.⁴⁷¹

⁴⁷² هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة وتقديم : رشيد بنحدو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص77.

أحمد بوحسن: في مناهج النقد المعاصر، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص39.⁴⁷³

أحمد بوحسن: في مناهج النقد المعاصر، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004م، ص39.⁴⁷⁴

أنظر المرجع السابق ص39.⁴⁷⁵

وقضايا لم يطلع عليها من قبل.⁴⁷⁶ كما جعل ياكوس ثلاثة أزمنة للقراءة وهي: زمن التلقي الجمالي الذي ينشأ عن طريقه أفق القراءة التمهيدية أو الأولية التي يتولد عنها الإحساس و الإعجاب بالقيمة الأدبية و الفنية والجمالية للعمل التلقي تتجلى على شكل سلوكيات وأفعال كنتيجة لهذا التأثير. والزمن الثاني هو زمن التأويل الذي يشكل أفق القراءة الثانية و ترجمة الإعجاب والانبهار بجماليات وفنيات النص. أما الزمن الثالث يتمثل في الزمن التاريخي الذي تتأسس فيه القراءة التاريخية التي تفتح باب التأويل والتغير للقارئ بطرح تساؤلات التي لم يجد لها تفسيراً في القراءتين السابقتين. فيتكون لديه إحساس بلذة القراءة وتذوقه لقيمتها الجمالية والفنية فينتقل من مرحلة الإعجاب والانبهار إلى مرحلة ترجمة إحساسه الذي ينتهي بتشكيل أفق الانتظار القراء الذين سبقوه إلى النص منتجا بذلك فهما جديدا للنص عبر سياقه التاريخي.

التلقي عند (فولفانغ إيزر W.Iser):

يعتبر (فولفانغ إيزر) ، أحد رواد مدرسة (كونستانس) الألمانية بجهوده في نظرية التلقي وتعد مبادرته مكملة لجهود (ياوس) في نفس المدرسة . وهو متأثر بالفيلسوف الظاهراتي البولندي (رومان انجاردن) وكتابه " العمل الأدبي الفني " ،وعلم النفس واللسانيات والانثروبولوجيا⁴⁷⁷ التي استفاد منها كثيرا في بناء أطروحته النقدية وركز إيزر على فعل تأثر القارئ بجمالية النص وقف فيها على جملة من المفاهيم والمصطلحات عدة نذكر من أهمها:

فعل النص في القارئ:

يعتقد إيزر أن النص: " يتكون من بنيات داخلية تتمثل في المونات اللغوية والسيمائية والتركيبية التي تحدد شكله⁴⁷⁸ " فتتجلى أثناء القراءة التأثير والتأثر بين القارئ والنص حيث يتولد الإحساس بالقيم الجمالية والفنية للنص من خلال عاملين : عامل فني وعامل جمالي، يهتم الأول ببنية النص والثاني في كيفية تأثير النص في القارئ فتكسبه حيوية ونشاطا، ويتموقع النص في لحظة القراءة من أجل إعادة بناء معنى جديد للنص في شكله النهائي.⁴⁷⁹ ولا يكون حضور النص إلا عن طريق القراءة وأن العلاقة بين النص والقارئ تفاعلية، يجمع بينهما عقد شراكة في العملية التواصلية يبرز النص خلالها ببنيته وشكله اللغوي ويتجلى القارئ بانفعاله و دوره في تأويل المعنى.

القارئ الضمني:

هو الناقد الذي يبحث بداخله عن المعنى الضمني للنص، ويقوم بتأويله ويكون قد ساهم المصطلح كآلية نقدية في معرفة الآثار التي يخلفها العمل الأدبي والانفعالات والاستجابات التي يولدها ويذكر إيزر في السياق نفسه: " إذا أردنا أن نحاول فهم التأثيرات التي تسببها الأعمال الأدبية وردة الفعل التي تثيرها، يجب علينا أن نسلم بحضور القارئ دون أن نحدد مسبقا بأي حال من الأحوال طبيعته أو وضعيته التاريخية، ويمكن أن نسقيه، نظرا لعدم وجود مصطلح أحسن، القارئ الضمني، إنه مجسد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية

476 أحمد بو حسن: مقال بعنوان: التلقي والنقد العربي الحديث عن مؤلف نظرية التلقي اشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1993م ص 31.

أنظر أحمد بو حسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004 م، ص 41. 477

أحمد بو حسن: في المناهج النقدية المعاصرة، مرجع سابق ص 43. 478

479 فولفانغ إيزر: فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب ، ترجمة: حميد الحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1995، ص 12.

بالنسبة للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره، وهي استعداد مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي وتجريبي، بل من طرف النص ذاته. وبالتالي فالقارئ الضمني كمفهوم، له جذور متأصلة في بنية النص، إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقتها مع أي قارئ حقيقي⁴⁸⁰. لقد حاول (إيزر) أن يجعل للنص قارئاً ضمناً متميزاً وغير عادي يتفاعل مع بنية النص إذ وجب على المبدع أن يعي هذه المسألة ويوليها قدر من الاهتمام، حتى يكون نصه أكثر تطابقاً وملائمة وأكثر تأثيراً على القراء المتميزين.

فعل القراءة:

تتصف القراءة في نظره بطابع الحركية والنشاط الدائمين والمستمرين ويمكن لمتن النص أن يحتوي على معاني مختلفة وعديدة، تعددت بتجدد القراءات، فاستمرار فعل القراءة يجعل القارئ يتحرك في نشاط دائم دون توقف⁴⁸¹. وتضمن صيرورة القراءة ثراءها واختلافها ومساهمتها في ملئ فجوات النص.

الرصيد اللغوي:

تمثل "المخزون المعرفي" أو "الذخيرة النصية" من الأفكار والقيم الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي تساهم في بناء النص ونسقه، ويعرفه (إيزر) بأنه عبارة عن: "مواضع متعددة تتحدد في أن النص يمتص عناصر سابقة عليه ومعروفة بشكل أو بآخر وهي عناصر لا توجد في النصوص المشابهة له فقط وإنما ترجع أيضاً إلى قيم اجتماعية وتاريخية تشكل سياقه الثقافي بالمعنى العام لهذا المصطلح⁴⁸²". فالذخيرة اللغوية للنص تشتمل على كل العوامل الخارجية الاجتماعية والتاريخية التي ساهمت في بناء وتكون النص هذه العوامل نفسها ولدت عنصر التأثير لدى القارئ أثناء تفاعله مع النص⁴⁸³.

الفجوة أو البياض:

تشكل الفجوة أو البياض في مفهوم (إيزر) عنصرين مهمين يجعلان من النص عملاً يحيل على التخيل متضمناً للكثير من المواضيع والقيم الجديدة والقيم الجمالية، تدفع هذه الثغرات والمساحات الشاغرة بالقارئ نحو المساهمة في ملئها ببناء شكل جديد له، إنها: "طريقة لقراءة النص بتنظيم مشاركة القارئ مع بنائيتها للحالات المتنقلة وبذات الوقت فإنهما تجربان القارئ على إكمال البنائية وهكذا ينتجان الموضوع الجمالي⁴⁸⁴". وتؤدي المساحات الفارغة دوراً مهماً في نجاح العملية التواصلية بين النص وقارئه تدفعه نحو البحث عن المعنى الخفي. ومن ثمة فإن الفراغ والبياض عنصران غايتهما إعادة البناء والتشييد لنص آخر ومعنى جديد.

التلقي عند أمبرتو إيكو (Umberto Eco):

⁴⁸⁰ فلفانغ إيزر: فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب، ترجمة: حميد الحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1995، ص29.

⁴⁸¹ أحمد بوحسن: نظرية التلقي والنقد العربي الحديث ضمن مؤلف نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1993، ص35.

⁴⁸² إدريس بلميلح: مختارات وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، سلسلة ورسائل أطروحات رقم 22 الرباط، ص282.

⁴⁸³ ينظر المرجع السابق، ص283.

⁴⁸⁴ روبرت هولاب: نظرية التلقي، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا 2007، ص161.

يتجلى منهج السيميائي الذي تبناه إمبرتو إيكو في القراءة من خلال كتابه: "القارئ والحكاية" تعرض فيه إلى مسألة علاقة القارئ بالقراءة وإشكالية التأويل من منظور سيميائي واعتمد في دعوته إلى نظرية قراءة جديدة لنظرية تتأسس على جملة من المصطلحات مثل "الموسوعة" وهي في رأيه: "الرصيد اللغوي والثقافي الذي يقابله عند (أيزر) بالذخيرة للقارئ التي يعمل على استحضارها أثناء تفاعله مع النص فيتعامل مع بنياته اللسانية وبدونها لا يمكن أن يكون القارئ فعالاً في ملء فراغات النص واستخلاص المعاني⁴⁸⁵". ويعتبر (إيكو) الرصيد الاجتماعي والثقافي العامل المباشر في إنتاج اللغة وما تتصف به من خصائص ومميزات إلى جانب عامل تاريخ قراءات النصوص القديمة والمعاصرة، كلها عناصر تتفاعل فيما بينها منتجة قارئ له كفاءته في بناء معنى جديد للنص الذي بين يديه⁴⁸⁶. فتغدو بذلك القراءة: "ضرب من ترسانة للآراء، لذاكرة جماعية يصادر عليها التحليل، وتوجد مخزنة فيها مختلف أنواع "يقال" و "يعرف" التي تشيع في بعض الظروف الاجتماعية الثقافية⁴⁸⁷". فتكون الموسوعة الشبيهة بقاموس المعلومات، أو المعجم المعرفي والثقافي الذي تنشئ القارئ النموذجي يستدعيها أثناء بدء نشاط التأويل وتفسير النصوص. أما المصطلح الثاني الذي يعده (إمبرتو إيكو) مهما ويتمثل في القارئ النموذجي من خلال كتابه: "القارئ والحكاية" وكيف يمكن للقارئ أن تكون مساهمته فعالة في ملء المساحات البيضاء والفراغات التي توقظه وتظفي شيئاً من الحيوية والنشاط ويعرف النص أنه: "آلية كسولة أو مقتصدة تحيا من قيمة المعنى الزائدة التي يكون المتلقي قد أدخلها إلى النص⁴⁸⁸".

وما يمكن استخلاصه مما تقدم من الاتجاهات الثلاثة الأكثر شيوعاً بمختلف مفاهيمها ركز فيها كل اتجاه على جانب معين حيث اهتم (ياوس) بالاتجاه التاريخي وأثره في التلقي وكيف تتم عملية استحضار القراءات السابقة لنص أدبي المراد قراءته. وعكف (أيزر) بانتمائه إلى الاتجاه الهرمونيطيقي على تحليل فعل القراءة وأثرها الجمالي. أما إمبرتو إيكو اهتم بسيميوطيقي التلقي عبر ثنائية (القارئ والقراءة) وعلاقتهما بعملية التأويل والتفسير السيميائي للنص.

تطبيقات نظرية التلقي:

انتقلت نظرية التلقي من ألمانيا إلى باقي أنحاء العالم فكان الوطن العربي إحدى هذه الوجهات حيث رحب بها فكان الناقد عبد الله الغدامي أحد الباحثين والعرب النقاد الذين اهتموا بالتلقي وبالقارئ والقراءة، فاهتم بعنص القارئ في العملية النقدية للنصوص وذكر قائلاً: "كنا قديماً نقول أن المعنى في بطن الشاعر غير أن زماننا هذا سرق المعنى من بطن الشاعر ووضع ناراً حارقة في بطن القارئ⁴⁸⁹". وكان قد فصل في إشكالية القارئ في كتابه: "تأنيث القصيدة والقارئ المختلف" موضحاً في السياق ذاته إلى تحول السلطة من النص إلى

محمد خرماش: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات، العدد 100، 1988، ص 53. 485
أنظر إمبرتو إيكو: بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب

2000، ص 86. 486

487 فرانك شوير فيجين: مقال نظريات التلقي ضمن مؤلف: بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، مركز الإنماء، حلب، 1998، ص 50.

488 إمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996، ص 76.

489 محمد الغدامي عبد الله: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز العربي، ط1، 1999، ص 147.

القارئ: " فبعدما كان سؤال النص صار القارئ⁴⁹⁰. " فذكر في كتابه: " إن المتأمل للنظرية النقدية منذ ما يسمى بما بعد الحداثة، لاشك يلاحظ أن السؤال الذي تطرحه قد تغير فلم يعد النقد يسأل ذلك السؤال القديم عن القارئ بل صار يطرح آخر هو ما القارئ⁴⁹¹؟".

وكان لكتابه المعنون ب: "تأنيث القصيدة والقارئ المختلف" دورا في إبراز رؤية الناقد كيفية الانتقال من الاهتمام بالمؤلف إلى الاهتمام بالقارئ إذ أن: " المتأمل للنظرية النقدية منذ ما يسمى بما بعد الحداثة لا شك أن السؤال الذي تطرحه قد تغير... من القارئ بل صار يطرح سؤالا آخر هو ما القارئ؟ وذلك منذ أن استحوذت نظرية القراءة على المناهج النقدية واعتلت عرش النقد الأدبي الحديث وذلك بعد أقول نجم البنيوية⁴⁹²."

وبرزت الناقدة (أسيمة درويش) بدراستها للنص الشعري عند أدونيس مطبقة على قصيدة "هذا هو اسمي": " ولعل الجديد فيها توظيفها لمصطلح التأويل، مقسمة الدراسة إلى مرحلتين الأولى وصفية ظاهراتية تتبعت فيها الشكل اللغوي والظواهر الأسلوبية، وأما الثانية دلالية اعتمدت على تأويل التشكلات والظواهر في النص⁴⁹³ " فقد اهتمت في دراستها للشكل البنيوي للقصيدة والوقوف على التقنيات التعبيرية التي وظفها الشاعر كمحاولة لتأويل المعنى.⁴⁹⁴ وتضاف إلى الجهود العربية السالفة الذكر في حقل التلقي وجمالياته كتاب الناقد (علي الشرع) الموسوم ب: " استراتيجيات القراءة " وقف من خلاله على تأويل لقصيدة محمود درويش عنوانها "أمشاط عجائبة" ويقول صاحب الدراسة: " وإن كان لي عزاء في تعاملتي مع نصوص درويش ونصوص غيره من الشعراء العرب المعاصرين فهو حامل في هذه المتعة الخاصة استشرعها ليس في الكشف عن مكنون هذه النصوص فقط وإنما في الكشف عن الكثير من الأفكار والرؤى التي أحسها في داخلي أيضا.⁴⁹⁵ وكان قد جمعت الدراسة بين الحمولة الفكرية للشاعر مقابلة بما تلقاه الناقد لمعاني النص ومحاولة تأويل معانيها لقد ركز علي الشرع اهتمامه على القارئ معتبرا إياه جوهر عملية التلقي دون أن يتغاضى عن المؤلف فلا يمكن لمعنى النص أن يظهر إلا بتفاعل ثنائية (المؤلف والقارئ) وما تخلفه تأثير الحمولة الثقافية والرصيد المعرفي واللغوي في إدراك المعنى⁴⁹⁶."

وانفرد (نصر حامد أبو زيد) من خلال كتابه: " إشكاليات القراءة والتأويل " أصدره سنة 1991 بحث فيه عن العلاقة بين قراءة النص وتأويله من أجل إنتاج معناه الخفي ويرى أن القراءة لا تكمن في تلقي النص بل إنها أقرب ما تكون إلى دراسة وتأويل لغته.⁴⁹⁷

490 سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، إشراف عمار ويس، جامعة محمد منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007م-2008م، ص36.

عياينة سامي: اتجاهات النقد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، غالم الكتب، ط1، (1425هـ-2004م)، ص384.491

492 عياينة سامي: اتجاهات النقد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، ط1، 2004، ص384.

493 سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، ص37.

494 ينظر المرجع السابق، ص384.

495 سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، ص37.

496 المرجع السابق، ص389.

497 ينظر عبد الله أبو هيف: نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث، ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر قضاياها اتجاهاته، المركز الجامعي خنشلة 2004، ص57.

إن المتمعن في مختلف نظريات التلقي وجمالياتها، يستنتج أن معظمها تكون قد اتفقت حول فكرة جوهرية مفادها أنها لم تهتم بالنص على أنه بنية مستقلة بقدر ما ركزت على شرح وتبيان وتعليل درجة فهم ووعي القارئ للنص وتجربته الجمالية وكله قناعة بأن المعنى لا يكمن ضمن النص بل هو نتيجة تفاعل دينامي بين القارئ والنص. وفي هذا السياق مظهرت نظريات التلقي في اجتهادها لبناء أطروحات نظرية ونقدية جادة تهتم بفعل القراءة باعتبارها نشاطا جماليا وما مدى تأثير القارئ بالنص، ذلك أن جوهر نظرية التلقي امانح السلطة التأويل للقارئ للنص

المصادر والمراجع:

- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان 2001
- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د.ط)، القاهرة 1999.
- بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، المغرب 2001.
- محمد الغدامي عبد الله: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز العربي، ط1، 1999.
- سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة عمار ويس، جامعة محمد منتوري¹ ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، اشراف قسنطينة، السنة الجامعية 2007م-2008م.
- عبابنة سامي: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب، ط1، (1425هـ-2004م)، .
- عبابنة سامي: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، ط1، 2004.
- سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، .
- روبرت هولاب: نظرية التلقي ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا 2007.
- محمد خرماش: فعل القراءة واشكالية التلقي، مجلة علامات، العدد 100، 1988.
- أمبرتو إيكو: بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب 2000.
- فرانك شوير فيجين: مقال نظريات التلقي ضمن مؤلف : بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، مركز الإنماء، حلب، 1998.
- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1996.

النص والتناص

المحاضرة الثانية عشر

أ.خالدي سمير

مقدمة:

شكل النص منذ زمن قديم إشكالية ذات أهمية ، من حيث تحديد مفهوم المصطلح ووظيفته وبدأ يأخذ طريقه نحو تأسيس نظرية قائمة بذاتها لها أفكارها وأبعادها وآلياتها الإجرائية في الكشف عن جوهر معنى بنياته. حيث بدأت تتشكل المفاهيم الأولى والإرهاصات السباقة لمصطلح النص حيث: " ظهر وتجلّى في مفهوم "الجملة" التي تمثل أكبر وحدة يمكن دراستها⁴⁹⁸ ، حيث يظهور لسانيات دوسوسير التي كانت من بين الأسباب المباشرة في انتشار لسانيات النص فتحول مفهوم النص من الجملة إلى النص ومن التعريف الضيق والمحدود نحو تعريف يقترب نحو الكلية فأصبح النص: " لا يتحدد مفهومه في الإطار نفسه كما هو في الجملة⁴⁹⁹ ". ويتفق (جان ماري سشايفر) في الرأي حيث أن النص في رأيه هو: " سلسلة لسانية كلامية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية ولا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل، أو من جملة وحيدة أو من جزء من الجملة⁵⁰⁰ ". وعليه فإن النص لا يكمن في الجملة فقط إنما يتعداها إلى الفقرة قصيرة أو طويلة لتشمل الرواية والقصة وغيرها من النصوص⁵⁰¹ شكلت هذه الأفكار والشروحات للنص الأفكار الأولى التي مهدت لتكوين مفهوما شاملا عن النص. اختلف المفكرون والنقاد اللسانيون والأدباء في وضع مفهوم شامل وموحد ، لذلك اختلفت وتعددت تعريفاته باختلاف المشارب الفكرية والثقافية والمعرفية. واستدعى تعددية في القراءات . فعد النص من أهم القضايا النقدية احتضنته المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة بالتنظير والدراسة والتحليل، حيث اتخذ العرب موقفا منذ القديم ففسروا النص الديني وأولوه وكذلك الأحاديث النبوية ودراسة نصوص الأشعار والنثر من روايات وقصص وأمثال وحكم وازدهرت العلوم والمعارف وكان لعلوم اللغة من نحو وصرف وفقه اللغة والبلاغة أثر كبير في قراءة النص.

مفهوم النص لغة:

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2010م، ص134. ⁴⁹⁸
تزيّتان تودوروف: مفاهيم سردية ترجمة: عبد الرحمان مزيان ط1، منشورات الاختلاف الجزائر 2005م، ص32 عن فيصل الأحمر، معجم ⁴⁹⁹
السيميائيات، مرجع سابق، ص134.
منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، عن فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،
الجزائر ⁵⁰⁰

2005م، ص134.

أنظر: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص134. ⁵⁰¹

ورد معناه في المعاجم العربية أن: "نص الشيء، رفعه وأظهره، وفلان نص، أي استخرج ما عنده، ونص الحديث، ينص نصاً، إذا رفعه... ونص كل شيء منتهاه.⁵⁰²" وفي الحديث: "إذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصبة أولى أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية وقوله: أحق بها أي كينونتها عندهم⁵⁰³." أما في قاموس المحيط يقال: "نص ناقته أي استخرج كل ما عندها من السير⁵⁰⁴." "ويقال نص المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض⁵⁰⁵." ومعناه في معجم البستان: "النص منتهى الشيء⁵⁰⁶." وورد في قول طرفة بن العبد في إحدى قصائده: "

ونص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه⁵⁰⁷

ويقول الزمخشري: "والمجاز نص الحديث إلى صاحبه⁵⁰⁸ "

ويرى الإمام الشافعي رحمة الله عليه أن النص وجهان ما يحتمل التأويل وما لا يحتمل⁵⁰⁹.

مفهوم النص اصطلاحاً:

عرّف الجرجاني النص بقوله: "ما زداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى... والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل مل لا يحمل التأويل⁵¹⁰." إنها إشارة من الجرجاني على أن النص المتميز يبقى دائماً مجاله مفتوح نحو القراءة والتأويل بغرض إيجاد معنى جديد له. وبمظهر لسانيات دي سوسير وتحديد ثنائياته (اللغ-الكلام) (الدال-مدلول) (الآنية والزمانية) التي بحثت في الظاهرة اللغوية وعلاقتها بالنص والمجتمع⁵¹¹. فحاولت الشكلانية أن تبحث في النص انطلاقاً من مفهومها له والمتمثل في أنه عبارة شكلاً لغوياً تحكم بنياته جملة من العلاقات الداخلية. فاعتبروا النص بنية مغلقة على ذاتها، كان هذا مفهومهم للنص. ولم يكن اهتمامهم بالشعر فقط بل امتدت دراستهم نحو الرواية والقصة القصيرة مثلاً فعل (رومان جاكسون) أحد أعضاء (حلقة براغ) اللغوية فكان من أبرز الشكلانيين الذين أثروا المنهج الشكلاني بدراساته للأعمال الأدبية وهوة صاحب مصطلح "الشعرية"⁵¹²

إبن منظور: لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار صادر، ط3، بيروت 1994، ص42-44.⁵⁰²

الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، ط1، ج4، بيروت لبنان، 2003م، ص228.⁵⁰³

الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة الباب الحلبي، ط2، ج1، ص876، 1952.⁵⁰⁴

أحمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات دار المكتبة، الحياة، بيروت لبنان 1380هـ، 1960م، ج5، ص472.⁵⁰⁵

البستاني: البستان، مكتبة لبنان، طبعة 1، لبنان 1996م، ص1103.⁵⁰⁶

الزمخشري: أساس البلاغة، ط1، مكتبة ناشرون بيروت لبنان 1986، ص455.⁵⁰⁷

المرجع السابق، ص455.⁵⁰⁸

أنظر: حسن خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007م، ص138.⁵⁰⁹

الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب المصري اللبنانيين بيروت، ط1، القاهرة 1991، ص251.⁵¹⁰

أنظر نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ط1، دار نوبار للطباعة القاهرة 2003م، ص103-104.⁵¹¹

أنظر عبد السلام المسدي: الأسلوب والاسلوبية، الدار العربية للكتاب ط3، طرابلس (د.ت)، ص172.⁵¹²

ليعرف المصطلح تطورا في المفهوم مع البنيوية التي أعادت السلطة من المؤلف إلى النص فإن (رولان بارت) يرى أنه عبارة عن كمّ من تمثلا ثقافية وفكرية مترسبة في ذاكرة الناص فعلت فعلها في الكاتب فأنتجت نصا جديدا حيث يرى أن النص عبارة عن: " نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة والمعاصرة التي تخترقه بكامله⁵¹³". فيرى (بارت) النص انتاجا يتقاطع مع عمل أو عدة أعمال أدبية⁵¹⁴ إنه بنية مفتوحة على القراءات والتأويلات نحو صياغة لنص جديد. بينما (هاليداي) يعتبر النص كل ما هو مكتوب أو منطوق سواء كان طويلا أم قصيرا فهو: " أي فقرة منطوقة أو مكتوبة على حد سواء مهما طالّت او امتدت هي نص... فالنص وحدة اللغة المستعملة وليس محددا بحجم⁵¹⁵". فكان للبنيوية التكوينية وهي فرع من فروع البنيوية رأي حول المصطلح فأعادت للنص سياقه الخارجي وبحث في بنيته على الجانب الاجتماعي وتأثيره على نفسية الفرد والمتلقي. أما (برونكر) Brinker فيعتبر النص: " تتابع مترابط من الجمل ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزء صغيرا ترمز إلى النص ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيا⁵¹⁶". وإذا كان برونكر يعتبر النص متتالية من الجمل

كان للسانيات النص دورا كبيرا وأثرا ظاهرا على التحول في حقل الدراسات وتطبيق جملة من النظريات اللسانية على بنيات النص والبحث في أشكال ومظاهر التعبير والتواصل اللغوي فعرفت لسانيات النص مصطلحات مرادفة لها مثل "علم النص"، "نحو النص"، نظرية النص⁵¹⁷ وغيرها. ووظف (فانديك) مصطلح علم النص الذي في رأيه يتقاطع ويتداخل مع علوم مختلفة مثل علم النفس والانثروبولوجيا، علم الاجتماع... وظيفته الوقوف على تمثلات طرائق التعبير اللغوي ومظاهر التواصل وعلاقة البنية بالسياقات الخارجية والداخلية⁵¹⁸ وفي خضم تطور اللسانيات التي اتخذت من النص (الخطاب) موضوعا لدراساتها ولم يعد النص: " مبني على طبقات وتتكون طبيعته التركيبية من النصوص المتزامنة له والسابقة عليه." حيث مهدت هذه التصورات المختلفة التي اهتمت بمفهوم النص لظهور ما يعرف بعلم النص استحدثه كل من (هاريس) و(فانديك) وتتجلى وظيفته في: " وصف العلاقات الداخلية والخارجية للابنية النصية بمستوياتها المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة⁵¹⁹". ومن بين

⁵¹³ رولان بارت من الاثر الأدبي إلى النص ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 28، آذار 1989م بيروت، ص115.

أنظر حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى السيميائية الدال، مرجع سابق، ص44، 514.

⁵¹⁵ Holliday, M.A.K and Ruquaya Hassan, cohesion English , longman, London , 1976 , p:1-2.

برند شيلنز: علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمود جاد الرب، جامعة الملك سعود، الرياض ، (د.ط)، ص188، 516.

أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة 2001م، ص31، 517.

أنظر: فانديك، علم النص، مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ط1، 2001م، ص11، 518.

صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار نوبار للطباعة ط1، القاهرة 1996م، ص229، 519.

الاختلافات والتعدد في المفاهيم وتداخلها نتيجة ظهور نظريات جديدة في مجال اللغة حاول (فانديك) التفريق بين (النص) و(الخطاب) فعرف النص على أنه: "متتالية من الجمل بالدرجة الأولى⁵²⁰". يتكون النص من مجموعة من الجمل تحدها شبكة من العلاقات على المستوى الصوتي والتركيبى والدلالي والصرفي⁵²¹ وينتج النص من فعل التلقي للنصوص السابقة والتأثر ببنياتها الداخلية⁵²² واعتبر الخطاب موجود ضمن النص⁵²³. وكان لـ: (فاينرش) منهجا في تجزئة وتحليل النص، بالاعتماد على دراسة المستوى النحوي للجملة ثم المرور إلى البنية الكلية لاكتشاف بنية النص.⁵²⁴ فهو يرى أن الجملة ليست وحدة مستقلة بذاتها عن النص بل تعد عنصرا أساسيا يدخل في تكوين بنية النص الكلية⁵²⁵.

عرفت يمنى العيد النص على أنه بنية لغوية مغلقة تحكمها علاقات داخلية تحدد نمطها⁵²⁶ تعريف يوحي لنا أن الناقدة تأثرت بأفكار من سبقها من الغربيين. كذلك الشأن بالنسبة لعبد السلام المسدي الذي يرى أن النص أو أي كلام: "يتركب من مجموعة من العناصر تربط بينها علاقات معينة لا وجود لعنصر خارجها ولا وجود لعنصر إلا بها ومجموع هذه العلاقات هي الشكل⁵²⁷". فقيمة النص تتجلى في شكله اللغوي وهو رأي تبنته الشكلانية من قبل لم يتوقف هذا التأثير بالغرب عند حدود الشكلانية والبنوية بل امتدت إلى البنيوية التكوينية حيث تأثر جمع من النقاد العرب بمنهج (لوسيان غولدمان) أمثال (جابر عصفور محمود أمين العالم، وحמיד لحميداني...) بدراساتهم للبنية اللغوية وعلاقتها بالنسق التاريخي والاجتماعي والثقافي محاولين تفجير البنية وتحريرها من أسر الانغلاق نحو حرية التجلي والتعبير عن واقع الذات. وحاضرها ومستقبلها. أي ربط بنية النص بمختلف السياقات الخارجية. نفس التوجه يعتمد النقاد (محمد بنيس) في محاولاته لقراءة الشعر، رافضا الفكرة القائلة بأن النص بنية مغلقة حيث يعتبره: " ممارسة لغوية في إطار اجتماعي محدد، أرفض منذ البداية التعامل مع النص على أنه عالم ذري لغوي مغلق على نفسه، كما أرفض تنحية النص من التحليل⁵²⁸" فاعتبر محمد بنيس أن بنية النص ليست مغلقة بل مفتوحة ومتحركة نحو كل ما هو اجتماعي ثقافي.

مفهوم النص سيميائيا:

حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 50. 520

فانديك: علم النص، مدخل متداخل التخصصات ص 45. 521

أنظر سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ص 14. 522

أنظر المرجع السابق، ص 16. 523

أنظر بشير إبرير: رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، ص 168. 524

أنظر: المرجع السابق، ص 169. 525

أنظر يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، (د.ط)، بيروت 1999، ص 33. 526

عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص 6. 527

محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، ط 1 بيروت 1979، ص 24. 528

قدمت السيميائية للنص منهاجاً جديداً للدراسة استطاع أن ينفذ إلى كل المجالات الحياتية من فن وأدب ومسرح وسينما وثقافة والأشهار اهتم بكل ما هو لسانی وغير لسانی، و اعتبرت النص جملة من العلامات الدالة والوقوف على أبعادها بالدراسة والتحليل⁵²⁹. وتبنت (جوليا كريستيف) المنهج السيميائي ووظفته في مقاربتها للنصوص فهي ترى، أن النص هو إنتاج للمعاني لذلك وجب تناوله بالدراسة المنطقية بعيداً عن النظريات اللسانية، ذلك أن ميزته التداخل النصي والتقاطع مع نصوص أخرى⁵³⁰ وهو في رأي عبد المالك مرتاض يمثل: " شبكة من المعطيات اللسانية والبنوية والإيديولوجية تتظافر ، فيما بينها لتكون خطاباً، فإذا استوى مارس تأثيراً عجبياً، من أجل إنتاج نصوص أخرى... فالنص من حيث هو، ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة⁵³¹. " يعتبر عبد المالك مرتاض النص ببنيته العميقة والسطحية شبكة من العلاقات اللغوية والنحوية والثقافي تشكل خطاباً متميزاً ومؤثراً في القارئ ليضمن تجده وتعدده . كانت هذه بعض المفاهيم والتعريفات للنص عبر مختلف المناهج النقدية التي سعت لقراءة النص وفق رؤيا جديدة شغلها الشاغل الشكل والمضمون.

مفهوم التناص عند الغرب:

يمثل التناص أحد المصطلحات القديمة التي وظفها الأدب المقارن في أوربا فكان أول من أخذها بالدراسة والشرح والتحليل من قبل النقاد المقارنين عبر عنصر التأثير والتأثر الذي يطرأ على الأدباء والكتاب والمبدعين من خلال نصوصهم . وسعت المناهج النقدية المعاصر لاحتواء المصطلح على غرار السيميائية والشكلانية ونظرية الأدب واتخذته أداة إجرائية في تحليل بنية النص.

التناص : "مشتق من مصطلح النص⁵³² "texte" ، وهو: " مفهوم يدل على وجود أصلي في مجال الأدب أو النقد أو العلم، على علاقة بنصوص، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على النص الأصلي عبر الزمن⁵³³. "

التناص في مفهوم الشكلانيين:

اهتم الشكلانيون بالنص معتمدين على الجانب الشكلي واعتبروه بنية مغلقة على ذاتها ، تكمن جماليته في العلاقات الترابطية بين عناصره الداخلية مما جعلهم يرفضون العوامل الخارجية وقام كل من: (رومان جكبسون) و(تينيانوف) بالتعمق أكثر الشكل في الدراسة

نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية. ص 370. 529

أنظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء 1997، ص 107. 530
عبد المالك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر (د.ت)، ص 55. 531

فصيل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 142. 532

سمير حجازي: المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة ، فرنسي /عربي -فرنسي ص 109-110. عن فصيل الأحمر معجم 533

السيميائيات ص 142.

إلى عامل تعاقب الأفكار والمواضيع من نصوص قديمة عبر الزمن وتجليها في نصوص حاضرة⁵³⁴. إنه اعتراف ضمني لهما بفكرة التناص قبل أن يصبح المصطلح ظاهرا للعام والخاص. وعمد (ميخائيل باختين) وهو شكلاني إلى استعمال مصطلحي "الإيديولوجيم" و"الحوارية" ويعرف (فيكتور أرنخ) الإيديولوجيم: "أنه يتمظهر على شكل كلمات، طرق اللباس، العلاقات التنظيمية بين البشر، إن كل إيديولوجيم هو جزء من الواقع المادي الإجتماعي⁵³⁵". فهو عبارة عن جملة من المعاني والمعلومات التي اكتسبها الإنسان من بيئته الاجتماعية. أدرك (باختين) أن اللفظ يحمل بعدين الأول تواصلية بين الباث والمتلقي والثاني دلالي حيث ينجم عن البعدين تفاعلا للغة والحوار، وهو شكل من أشكال الحوارية التي: "تعود إلى الخطاب وليس إلى اللغة كنظام متعال⁵³⁶". ويذكر أن من غير الممكن التخلي عن عنصر الحوارية المتمثل في تقاطع المواضيع في الخطابات.⁵³⁷

التناص في مفهوم البنيويين:

وكانت لأفكار (ميخائيل باختين) أثرها الواضح على كل من (جوليا كريستيفا، رولان بارت، ميشال فوكو، ميشال ريفاتير...) حيث تبناوا المفهوم من خلال تسميات جديدة في أوروبا والبلاد العربية أيضا. واعتبرت (جوليا كريستيفا): "النص لا يقوم بذاته وإنما هو مجموعة من تقاطعات لنصوص أخرى، يقوم بامتصاصها فتتخرط في بنيته وبالتالي يكون كل نص كفسيفساء من الاستشهادات وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر⁵³⁸ إنه استحضر وتداخل لنصوص سابقة.⁵³⁹ وتقول في إحدى تعريفاتها عن النص: "أنه جهاز عبر لسانی، إنه ترحال للنصوص وتداخل نصي فهي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقطوعة من نصوص أخرى⁵⁴⁰". فالتناص في مفهومها هو نتاج مجموعة من النصوص حيث سمت هذه العملية بـ: "الإنتاجية" وهو مصطلح آخر أضافته (كريستيفا) إلى التناص. ويقصد بالإنتاجية عملية تشكل النصوص وبناء نفسها من خلال جملة من البنيات والمقولات والتعبير التي تتقاطع وتتداخل فيما بينها. ويقابل النص مصطلح "الإيديولوجيم" الذي أقرته كريستيفا والذي يعني تقاطع بنيات النص الحاضر مع

أنظر: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 143.⁵³⁴
أنور المرتجى: سيميائية النص الأدبي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مرجع سابق⁵³⁵

ص 144.
⁵³⁶ أنور المرتجى: سيميائية النص الأدبي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مرجع سابق، ص 145.
أنظر عمر عبد الواحد: التعلق النصي، دار الهدى، ط1، المنيا، 2003م، ص 40.⁵³⁷

Semiotike : recherche pour une sémanalyse (extraits) théorie de Kristive Julia : ⁵³⁸ la littérature. A.J picard, 1981, P 14.

ترجمة النص فاروق عبد الحكيم درباله : التناص الواعي شكوكه وإشكالاته ، مجلة النقد الأدبي فصول المجلد 16 العدد 1.

⁵³⁹ حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 254.
المرجع السابق ص 254.⁵⁴⁰

السابق. ويتجلى عمليتها التحليلية في منهج أطلقت عليه "السيمياء التحليلية" التي تتعامل مع النص من منظور أن النص يولد الدلالات العميقة متجنباً اللساني⁵⁴¹. ويعد التناسل في مفهوم (جيرار جينيت) بـ: "التعالى" وهو عبارة عن: "الطريقة التي من خلالها يهرب النص من ذاته في الاتجاه أو البحث عن شيء آخر والذي من الممكن أن يكون أحد النصوص⁵⁴²". وقسم التناسل إلى خمسة أشكال أو أصناف وهي:

النصوص الشاملة: "في هذا النوع من التناسل يتجاوز البحث فيه عن هندسة النص وإنما البحث عن مختلف العلاقات التي تربط النصوص ببعضها البعض. وهو نفسه ما أقرته (جوليا كريستيفا) ويطلق عليه أيضاً بالتناسل المفتوح أو الخارجي⁵⁴³".

الما بين نصية: "مصطلح أقره (جيرار جينيت) وه أن يدخل نص مع نص آخر في علاقة حوارية مع عناصر أخرى مثل العناوين الرئيسية والثانوية والتقديم والتنبيه... وغيرها ويتساءل جينيت بعبارة أخرى هل من حق النقاد أن يتعاملوا مع النص كشئ له علاقة مع مادته الأولى؟ إن هذا النوع من التناسل لا علاقة له بنصوص أخرى بل علاقته تكمن في نفسه. أي في آليات تشكله⁵⁴⁴".

المتا لسانية: "وهو أن تذكر في تعليقك علاقة موضوعك بنص آخر مع عدم الإشارة إليه⁵⁴⁵".

الشامل النصي: يتمثل في الإشارة إلى نوع العمل الأدبي شعر، رواية فهذا التحديد والتصنيف يعود إلى القارئ بحيث يرتبط فهم النص بأفق الإنتظار فالقارئ هو الذي يحدد هذا النوع من التناسل من خلال مقارنة النص المقروء مع ما يترتب في ذهنه من معلومات سابقة⁵⁴⁶...

النصية المتفرعة: "آخر نوع من التناسل، ويسمى بـ *hypertextualité* تتمثل في علاقة نص الحاضر بنص سابق كأن تشتق نص من نص آخر أي نص متفرع⁵⁴⁷".

وكان للتفكيكية دوراً وحضوراً بارزاً في مجال تفكيك النص ومحاولة قرائته وبناء معنى جديد يعتمد على آلية التقويض التي اعتمدها (جاك ديريدا). وعبر مفهوم تفكيك النص يكون قد أعاد إلى النص سلطته التي يخولها له المتلقي بقراءته وتأويله نحو إنتاج معنى جديد له.

التناسل في مفهوم العرب:

أنظر: حسين خمرى، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 254. 541

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 147. 542

المرجع السابق، ص 147. 543

المرجع السابق، ص 148. 544

سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص 97. 545

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 149... 546

المرجع السابق، ص 97. 547

عرف العرب التناص منذ القدم بتسميات مختلفة مثل: (السرقا ، الاقتباس ، المعارضة والتضمين..والشائع عندهم مصطلح "السرقا" ، ورد معنى السرقة : " الأخذ بخفية ، وسرق الشيء سرقة سرقا وسرقاً⁵⁴⁸ ". ويعود زمن السرقة إلى أيام شعراء ما قبل الإسلام ولنا في قول الشاعر (حسان بن ثابت) شاهدا على ذلك ويقر أن الظاهرة كانت متفشية آنذاك بين الشعراء بقوله:

" لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري"⁵⁴⁹

ويقطع طرفه بن العبد عهدا بعدم السرقة قائلا:

" ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا⁵⁵⁰"

أما "الاقتباس": مشتق من القبس وهو النار ، حيث ورد في قوله تعالى: إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتكم منها بخبر أو آتيكم بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون." (سورة النمل الآية 27) ومعناه عند البلاغيين وعلماء اللغة اقتبست منه أي أخذت منه شيئا بحيث يجعل الجاحظ للاقتباس خصائص ومميزات بأنها : تورث الكلام الحسن، والبهاء والوقار⁵⁵¹. فهو الأخذ من النصوص ما يستحسنه الأخذ من جمالية وشعرية وأدبية الأسلوب .

والتضمين: "مأخوذ من ضمن وهو وضع الشيء في الشيء كأن توضع الوعاء في المتاع"⁵⁵² وهو مصطلح يعنى بالشعر دون النثر .

وكان للنقاد العرب في السبعينيات من القرن العشرين موقفا تجاه التناص ، من أمثال محمد مفتاح ومحمد بنيس، سامي سويدان وسعيد يقطينوعبد الله الغدامي واعتبره الناقد المغربي (محمد مفتاح) أنه يمثل للشاعر: " الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة بدونهما ولا عيشة له خارجهما"⁵⁵³. فالتناص بالنسبة إليه حتمية لا مفر منها عبر كل الأزمنة والأمكنة: " إنه تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"⁵⁵⁴ وتمثل ظاهرة التناص من أعقد القضايا خاصة أنها تعتمد في رأيه على درجة وعي القارئ(المتلقي) في كشف معنى الخفي⁵⁵⁵. فالتناص يتطلب التفاعل العميق للقارئ بوعي ودراية مع النص لاكتشاف معناه.⁵⁵⁶ وظف (سعيد يقطين) "التفاعل النصي" يقابله "التعاليات النصية" لدى

إبن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط3، مادة سرق، بيروت الجزء الثاني، 1982، ص 250. ⁵⁴⁸

حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، ط1، بيروت (د.ت)، ص53. ⁵⁴⁹

طرفة بن العبد: الديوان، دار المعرفة، ط1، بيروت، 2003م، ص 65. ⁵⁵⁰

الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط1، ج1، بيروت 2008م، ص80. ⁵⁵¹

إبن منظور: لسان العرب، دار صادر ، ط1، مادة صمن، ج13، ص 257. ⁵⁵²

محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجيات التناص، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 1992م، ص 125. ⁵⁵³

أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، ط3، بيروت 1983م، ص121. ⁵⁵⁴

أنظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ، ص 125. ⁵⁵⁵

ظاهر محمد الزواهرة: التناص في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد، ط1، عمان 2000م، ص36. ⁵⁵⁶

(جيرار جينيت) واعتمد على العناصر الخمسة التي ذكرناها سابقا التي اعتمدها (جيرار جينيت). ويعتبر (عبد الله الغدامي) النص لم يأتي من العدم بل ينتسب إلى شجرة نسب عريقة مثلها كمثل الإنسان، إنه إنتاج أدبي ولغوي يحيل إلى نصوص أخرى⁵⁵⁷. ويتعامل الغدامي مع التناص من فكرة أن النص في حوارية مفتوحة مع ما سبقه من نصوص إذ يقول: "أعامل مع النص على أنه بنية مفتوحة على الماضي مثلما أنه وجود حاضر يتحرك نحو المستقبل"⁵⁵⁸. بينما ترى الناقدة (مي نايف) أن التناص: "يقوم على مصطلحين: الإستدعاء والتحويل"⁵⁵⁹. بحيث تدفع الاستحضارات من نصوص متقدمة إلى إنتاج بنية لغوية تحمل معنى جديد.

يرى عبدالمالك مرتاض أن التناص: "اقتباس وهو مصطلح بلاغي محظ ولكنه الآن مسطو عليه من قبل السيميائية التي ألحقت بالتناصات واستراحت بل إنها ألحقت أيضا الأدب المقارن نفسه بنظرية التناص وبكل جرأة"⁵⁶⁰. "فالتناص مصطلح جاب كل الأجناس الأدبية وكل أنواع النصوص ويذكر (عبد المالك مرتاض): "أن العرب قد عرفت قديما المصطلح معتبرين الأفكار قاسم مشترك بين الشعراء جميعا يتنازعونها دون أن يتبناها أحد عن الآخر ذلك لأن الألفاظ مطروحة في الطريق ومتداولة بين الكتاب وأن كتابة النصوص تأتي لابتعد نسيان"⁵⁶¹. تلك هي نظرة ورأي عبد المالك مرتاض للتناص الذي بدأ بفكرة صغيرة ثم بدأ يشق طريقه نحو التأسيس لنظرية التناص التي تصبو إلى قراءة الفكر والثقافة التي تتضمنها البنيات إضافة إلى الجمالية والخيال الذي تتوفر عليه النصوص السابقة والحاضرة التي تتطلع إلى نص مستقبلي يعبر عن رؤيا الإنسان حول قضايا عصره.

خاتمة:

- نستنتج مما سبق أن النص يبقى دائما عالمة مفتوحا نحو التطلعات والقراءات فكلما تنوع النص في مبناه ومعناه كلما ظهرت مناهج نقدية وآليات إجرائية تحاول الوقوف أمامه الند للند لكشف أغواره وجمالية أسلوبه. فكل نص جديد هو امتداد لنص قديم يتضمن أفكارا وتيمات طرحت من قبل لكن أعيد تداولها في شكل لغوي جديد يتماشى مع متطلبات العصر.

- حاول الفلاسفة والنقاد تقديم مفهوم شامل ودقيق عن النص بالاستناد إلى النظريات اللغوية واللسانية والبلاغية إلا أنه بقي يطمح دائما نحو إرساء لقواعد تخول له تبني نظرية نصية تقوم على المنطق ، ورؤيا تحليلية تقوم على منهج علمي.

أنظر عبد الله الغدامي: ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، ط2، الكويت 1993، ص111. 557.

عبد الله الغدامي: ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية، مرجع سابق، ص 113. 558.

مي نايف: الخطيئة والتكفير والخلاص، الخطاب الشعري عند الشاعر محمد حسيب القاضي، دراسة نصانية، اتحاد كتاب الفلسطينيين، (د.ط)، 2002، ص 226. 559.

مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات⁵⁶⁰

الجامعية، (د.ط)، الجزائر 2005م، ص 134.

عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، (د.ط)، الجزائر 2007م، ص 250 (بتصرف). 561.

- إن الحوارية أو المثاقفة بين النصوص أمر حتمي لا نستطيع النصوص التجرد منه أو تجاوزه. وتشكل الحوارية علامة على ثقافة الكاتب وإطلاعه الواسع على التراث العالمي الذي نجد له حضورا يعكس ثراء الثقافة .

- لا يمكن اعتبار التناسل سرقة أدبية شريطة أن تلتزم بضوابط ومعايير تتيح لكن كاتب حقه في الحفاظ على أفكاره وأفكار غيره .

- يتيح التناسل تنوعا في النصوص واستمرارا لها فكلما تعدد الأشكال التعبيرية كلما تنوعت مناهج قراءتها وطرائق دراستها، لكشف جوهر بنياتها .

- يمثل عنصر التأثير والتأثر أحد العوامل المباشرة في إنتاج شكل لغوي وأدبي ينتسب إلى ماض عريق.

المصادر والمراجع:

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2010م.

تزي فتيان تودوروف: مفاهيم سردية ترجمة: عبد الرحمان مزيان ط1، منشورات الاختلاف الجزائر 2005م،

السيميائيات، مرجع سابق.

منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، عن فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات

الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر

سمير حجازي: المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، فرنسي عربي /عربي فرنسي..

أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،¹

عمر عبد الواحد: التعلق النصي، دار الهدى، ط1، المنيا، 2003م.

المنهج الموضوعاتي

المحاضرة الثالثة عشر

أ.خالدي سمير

مفهوم الموضوعاتية لغة:

ورد في معجم لسان العرب معنى موضوع: " اسم مفعول، ما أضمر ولم يتكلم به... مشتق من مادة (وضع) : " وضع، ووضع ووضع وموضوعا، وفي موضع آخر تواضع القوم

على الشيء اتفقوا عليه وواضعته على الأم إذا وافقته فيه على شيء ووضع الشيء في مكانه أثبتته فيه والمواضعة المناظرة في الأمر.⁵⁶² أما معناه في معجم الوسيط: "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه⁵⁶³". و"ورد معناها في قاموس التائيلى لجاكولين بيكوش): الموضوع(thème) مادة أو كلمة أو فكرة أو محتوى أو قضية أو مسألة".⁵⁶⁴

مفهوم الموضوعاتية اصطلاحاً:

عرفها (ميشال كولو) بأنها: "تعبّر عن العلاقة الانفعالية للإنسان تجاه عالم المحسوسات، الذي يظهر في النصوص من خلال تكرار متجانس للتبدلات ويشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء اقتصاد دلالي وشكلي لعمل ما".⁵⁶⁵

وهي في رأي الناقد الجزائري(يوسف وغليسي): "شبكة من الدلالات أو عنصر دلالي متكرر لدى كتاب ما عمل ما⁵⁶⁶". ويفهم مما تقدم أن الموضوعاتية هي معنى خفي ومضمّر متكرر في متن النص.

- ويعرف النقد الموضوعاتي(critique thématique) بأنه منهج نقدي يهتم بدراسة وتحليل النصوص الأدبية وتعود سبب تسميته إلى مصطلح: "الموضوع" أو "التيمة" التي تتكون منها المتون الشعرية والنثرية، حيث ورد المصطلح في تسميات عديدة نذكر منها: (الموضوعية، الموضوعاتية، الموضوعاتي).

- وتم تداول مصطلح الموضوعاتية في النقد خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين في كل من بريطانيا وأمريكا على يد كل الناقد (ريتشارد إليوت، وكلينت بروكس).⁵⁶⁷

أما الموضوعاتية: (thématique) وهي (التيمة) وتعني الموضوعات التي تتضمن الأثر الأدبي⁵⁶⁸. أو الفكرة الجوهرية التي تتكرر في النص الأدبي.

الموضوعاتي: يعرب المصطلح إلى "التيمة" واستخدمه الناقد (جورج بول ويبر) ويقصد به الفكرة التي تتكرر في متن النص ونجد هذا التوظيف أيضا عند الناقد المغربي (حميد

⁵⁶² ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، ط2، الجزء الثامن ، مادة وضع، بيروت 1988 ص401.

⁵⁶³ مجمع اللغة العربية :معجم الوسيط، مكتبة الشريط الدولية،(د.ط)، مصر 2004، ص1040.

⁵⁶⁴ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، الجسور ، ط1، الجزائر 2003، ص148.

⁵⁶⁵ ينظر ميشال كولو: النقد الموضوعاتي ، ترجمة: غسان السيد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب ، العدد 23، دمشق، 1998، ص35

⁵⁶⁶ يوسف وغليسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار الريحانة، ط1، القبة، الجزائر 2007، ص18.

⁵⁶⁷ ينظر محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998، ص12.

⁵⁶⁸ المرجع السابق الصفحة نفسها.

لحميداتي) و (سعيد علوش) في كتابه: "النقد الموضوعاتي".⁵⁶⁹ ومنه فإن الموضوعاتية هي جملة من التيمات التي تتكرر في العمل الأدبي والتي تدخل عليه جملة من التبدلات التي تدفع بالقارئ إلى تتبع تطورها باستمرار. ويقوم المنهج الموضوعاتي على جملة من لأسس الفكرة:

الفلسفة الظاهراتية:

- تشكل الفلسفة الظاهراتية التي يتزعمها الفيلسوف (إدموند هوسرل 1859-1938) من أهم المرتكزات التي يستند عليها المنهج. معارضة آنذاك الاتجاه المثالي و التجريبي ويقصد بـ: "الظاهراتية" ذلك التحليل الوصفي للظواهر التي تظهر ويتجلى فيها الواقع مثل دراسة الزمان والمكان بمعزل عن القوانين التي تتحكم فيهما⁵⁷⁰ وركزت الموضوعاتية على دراسة "التيمة" المتعددة للموضوع الواحد في النص بغية فهم معناها الذي يعد في نهاية المطاف موضوعا.⁵⁷¹

مدرسة التحليل النفسي:

الفلسفة الوجودية:

الاتجاه البنيوي:

السيمائية وتأويل العلامة:

- اهتمت الموضوعاتية بفك شفرات التيمة وتأويلها متأثرة بالحقل السيميائي بناء على ثنائية الدال والمدلول، ما دام النص الأدبي يتشكل من مجموعة من الأنظمة والعلامات التي يكون مجالها مفتوحا على تأويلات وتخمينات ودلالات متعددة تربطه بالعالم الخارجي وتحتاج العملية التأويلية إلى اجتهاد القارئ في كشف المعنى الخفي للتيمة ، وبذلك شكلت السيميائية آلية إجرائية اعتمدتها الموضوعاتية في الكشف عنها وتتبعها كمحاولة لفهمها فتحول النقد الموضوعاتي إلى نقد يعتمد القراءة والتأويل الدلالي للموضوع.

- كما شكلت أفكار وآراء الناقد (غاستون بشلار) نواة مركزية للموضوعاتية منها أن الذات في علاقة دائمة مع العالم الخارجي من خلال التأثير والتأثر. و يعتبر الناقد من رواد

⁵⁶⁹ ينظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر (د.ط) المغرب 1989، ص11.

⁵⁷⁰ ينظر سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية (د.ط)، الدار البيضاء المغرب 1984، ص231.

⁵⁷¹ ينظر محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر (د.ط)، الجزائر 2011، ص37.

الموضوعاتية في أوروبا إلى جانب (هيدجر)، (جان بول سارتر)، (جورج بوليه)، (جان بيبير ريشار) و(جان بول فيبر).

- كما شكلت فكرة "الأنا الجماعية المبدعة" دون "الأنا الفردية" أحد المرتكزات الأساسية للنقد الموضوعاتي فهي تعبر عن مشروع المجتمع وهدفه: "فالكاتب لا يقول ذاته فحسب بل يبدعها باستخدام الكلمات."⁵⁷² وفي السياق نفسه دعا (بروست) إلى ضرورة إقصاء السيرة الذاتية من العمل الأدبي مناقضا رأي (سانت بييف) الذي يرى فيها أصل العملية الإبداعية.

أهم أعلام النقد الموضوعاتي:

انتعشت حركة النقد الموضوعاتي بوصفه منهجا نقديا مع بدايات الستينيات من القرن العشرين ممثلا في جهود زمرة من الأعلام نذكر أهمها:

1 غاستون بشلار: Gaston Bachelard : 1884-1962

2 جان بيبير ريشار Jean Pièrre Richard

جون بول ويبر (Jean Peaul Weber)

ويقوم النقد الموضوعاتي على خطوات هي:

1 الإحصاء: من خلال تعيين التيمة أو الموضوع في متن النص ووصفها والبحث عن العلاقة بينها وبين العالم الخارجي على غرار الطفولة التي تشكل النواة المركزية لعملية الإبداع.

2 التحليل: بعد تعيين التيمات وتصنيفها بحسب تكرارها وتواترها في الموضوع تتم دراستها من حيث الأسلوب واللسانيات بفك شفرات البنية الأساسية والثانوية دون أن يهمل الدارس العنوان والبحث عن علاقته بالموضوع الرئيسي.

⁵⁷² Jean Pierre Richard, Littérature et Sensation, Paris Seuil, 1957, p14.

3 البناء والتركيب: وهي النتيجة النهائية التي يفضي إليها بحث الناقد من خلال إعادة بناء وتركيب التيمات والكشف عن العلاقة الكائنة بينها وبين الموضوع الرئيسي كمحاولة جوهر النص.

الموضوعاتية في العالم العربي:

ظهر النقد الموضوعاتي في العالم العربي بداية السبعينيات من القرن العشرين، حيث تجلت في أبحاث ودراسات: "الناقدة السورية (كيّتي سالم) بأطروحة دكتوراه بعنوان: " موضوعاتية القلق عند "كي دي موبسان" اشراف الأستاذ الدكتور (جورج بيير رشارد) سنة 1982 ووظف الناقد (سمير حجازي) مصطلح thematologie (علم الموضوعات) في دراساته على اعتبار منه أن الموضوع هو: "تجربة ذات جوهر روعي"⁵⁷³. وانتصر الناقد (نهاد التركلي) نحو استعمال مصطلح (الجزر) بالفرنسية theme والتي تعني الموضوع⁵⁷⁴ وشهد المصطلح خطأ في الترجمة عن الفرنسية والإنجليزية واختلف بين التيمة والموضوع والجزر والفكرة...) وغيرها من الترجمات التي شكلت غموضا بالنسبة للناقد والقارئ. ليستقر (عبد الكريم حسن) على مصطلح: (الموضوعي) بدلا من (الموضوعاتي والمواضيعي). بالإضافة إلى محاولة الناقد المغربي (عبد الفتاح كليطو) بعنوان: "موضوعاتية القدر في روايات "فرانسوا مورياك" 1971. "⁵⁷⁵ ولم تخلو الدراسات العربية من الاهتمام الخطاب الشعري العربي مثل دراسة الناقد (علي شلق) بعنوان "القبلة في الشعر العربي القديم والحديث" و "المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج" و "ابن الرومي في الصورة والوجود" و "أبي العلاء المعري الضبابية المشرقة" دون أن ننسى جهود سعيد علوش المتمثلة في دراسته بعنوان: "النقد الموضوعاتي" و كتاب: "في سحر الموضوع" (لحميد لحميداني) الذي بحث من خلاله عن كيفية تمظهر الموضوع في النص، و "القراءة والتجربة" (لسعيد يقطين).⁵⁷⁶ كانت تلك بعض اهتمامات النقاد العرب المعاصرون بمصطلح الموضوعاتية في دراساتهم المقدية.

نقد المنهج الموضوعاتي:

يوسف و غليسي: مناهج الادبي، مرجع سابق، ص 156. 573
أنظر: نهاد التركلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (د.ط)، بغداد 1979، ص 127. 574
575 ينظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر، ط1 الرباط المغرب 1989، ص 37.
576 ينظر جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، إصدارات أدب فن للثقافة والفنون والنشر، (د.ط)، طنجة، المغرب 2015، ص 33.

- من بين المؤاخذ التي سجلت على المنهج الموضوعاتي لا يعدو أن يكون مجرد تحليل نفسياني باهتمامه بالنفس البشرية باعتماده على آليات التحليل النفسي في الكشف عن أسرارها .
- إهماله لجانب لذات الكاتب والقارئ معا. ودور البيئة والزمن في العملية الإبداعية
- يتصف المنهج الموضوعاتي بالفردية وابتعاده عن الموضوعية والأكاديمية فهو يبحث عن النزوات النفسية والسلوكيات والرغبات المترسبة في اللاوعي
- يعتمد الناقد الموضوعاتي على حسده الشخصي في الكشف عن جوهر التيمة فتؤثر هذه النزعة الذاتية على السيطرة والتحكم أكثر في مجال تأويل الموضوع وفهمه.
- لازال المنهج الموضوعاتي يفتقد إلى التحكم والالتزام أكثر في عمله بمنهجية أكاديمية تتيح له العمل بموضوعية فلم يستطع التخلص من قيد الانطباعية والتأثرية والذاتية فهو منهج نسبي لم تتحدد معالمه بعد وربما الشك نفسه نستشفه من قول (جان بيري ريشار): "النقد لا مهمة له غير نسج لوحة لا متناهية فهو يشبه "بينيلوب" التي ليست في حاجة إلى الاستيقاظ ليلا لفك نسيج يومها مادام التقدم في القراءة النقدية يوما بعد يوم هو ما يكشف ويضع الاكتشافات موضع تساؤل".⁵⁷⁷

استنتاج:

نستخلص مما تقدم أن النقد الموضوعاتي منهج نقدي معاصر يقوم على أساس دراسة التيمة التي أصبحت تشكل في حقله مفهوما جوهريا وداخليا للعمل الأدبي بحيث تتجلى فيه التيمة بمظهرين الأول ينبع من وعي الكاتب يعكس مفهوما معيناً للموضوع المعالج والمظهر الثاني ينبع من لاوعي الكاتب، تنشأ بناء على مجموعة من الرغبات القابعة والمترسبة في دهاليز اللاشعور فيقوم هذا المنهج باستخراج التيمات والوقوف على دراستها بعمق ووصفها وتحليلها وتبيان علاقتها بصاحبها

المصادر والمراجع:

- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر، ط1 الرباط المغرب 1989،
جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، إصدارات أدب فن للثقافة والفنون والنشر،
(د.ط)، طنجة، المغرب 2015،
: نهاد التركلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون،
(د.ط)، بغداد 1979،¹
محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد
كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998،
سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر (د.ط) المغرب 1989،
سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية (د.ط)،
الدار البيضاء المغرب 1984،
محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر (د.ط)،
الجزائر 2011.

المنهج الاجتماعي المحاضرة الثانية

أ.خالدي سمير

مقدمة:

تمثل الصلة بين الأدب والمجتمع من أقدم العلاقات حيث تعكس موضوعاته قضايا المجتمع وتتجلى لنا هذه العلاقة عند العرب قديما في ديوان أشعراهم الذي اصطلاحوا على تسميته بـ "ديوان العرب" الذي احتوى حياتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم حروبهم وانتصاراتهم، فكان الشاعر لسان حال القبيلة يزود عنها ويحميها ويعلي من شأنها فبدأت منذ ذلك الحين فكرة مفادها أن الأدب انعكاس للواقع و مرآة تجسد لنا الحياة الاجتماعية وبدأت تتشكل شيئا فشيئا في التأصيل والتطور إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث لم تتجاوز الفكرة آنذاك مجرد ارهاصات تفتقد إلى المنهجية العلمية والموضوعية.

والمتتبع لتاريخ المناهج النقدية يلاحظ أن المنهج الاجتماعي جاء امتدادا للمنهج التاريخي في محاولة منه الانفلات من سيطرة البورجوازية والنظام الاقطاعي بهدف التأسيس والترويج لفكرة الفن للمجتمع⁵⁷⁸

ويهتم المنهج مقارنة النصوص الأدبية من منظور إجتماعي وربطها بمحيطها الاجتماعي الذي ساهم في إنتاجها. ويقف على الظاهرة الأدبية وربطها بأسباب وشروط تكونها. كما يأخذ على عاتقه بمختلف طرائقه واتجاهاته المتنوعة اكتشاف الأسباب التي تتحكم في عملية إنتاج النص الأدبي، ويقف على ثقافة للمبدع و علاقته بالمجتمع و أثرها في تجربته الفنية في إبداعه وتأثيره على القراء⁽⁵⁷⁹⁾

يعد المنهج الاجتماعي أحد المناهج النقدية التي اهتمت بالشعر والنثر منذ زمن ، فكان للمنهج التاريخي أحد الأسباب المباشرة في ظهوره، إذ يمثل التشكيل الطبيعي لنشأته⁵⁸⁰. ترعرع في رحمته، يهتم بنقد النص الادبي من زاوية اجتماعية ويتعامل معه بوصفة ظاهرة اجتماعية ، كما ان من أهدافه البحث في العلاقة الكائنة بين الأدب والمجتمع، وتبرز خصائص المنهج الاجتماعي في:

خصائص المنهج الاجتماعي :

- يفتح المجال للدارس والقارئ على تبين حياة الفرد وعلاقته بمجتمعه.
- يعتبر الأديب ابن بيئته فهو جزء لا يتجزأ منها.
- يعتبر الأدب مرآة عاكسة لظروف وأحوال المجتمع
- يتيح فرصة الكشف عن علامات وسميات التطور الاجتماعي التي تتضمنها الأعمال الأدبية.
- يعتبر المنهج الاجتماعي الأدب ظاهرة اجتماعية.

و قد عرف العرب النقد الاجتماعي من خلال ابداعات الجاحظ في كتابه "البخلاء" الذي انتقد فيه بعض التصرفات والسلوكات الاجتماعية، و في نفس المسار أيضا مقامات بديع الزمان الهمداني أحد المعالم التي رصدت جملة من الظواهر السلوكية التي ميزت المجتمع آنذاك فكل هؤلاء عبروا من خلال ابداعاتهم عن قضايا اجتماعية كانت قد ميزت عصورهم⁵⁸¹

كما يعتبر ابن خلدون 1332- 1406 أشهر المؤرخين المسلمين الذين أرسوا معالم علم العمران وما يقوم عليه من نظريات ومصطلحات ومفاهيم تختص بالمجتمع وتأسيس الدولة والقوانين والنظم التي تحكمها ومن أهم كتبه كتاب: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". وكان له الفضل في أن يجعل من علم العمران علما قائما ومستقلا بذاته ، وكانت مقدمته خير دليل على ذلك لما احتوته من فصول ودراسات تخص المجتمع والفرد البدوي والمتحضر واهمية الحضارة والتحضر والتمدن للإنسان وكل ما يتصل به من ظروف العيش لميدان الصناعة والحرف كما اختص الفصل السادس من المقدمة لاكتساب العلم والمعرفة وأهم السبل المحققة لذلك ودوره الفعال في حياة المجتمع والفرد

⁵⁷⁹ ينظر مناهج النقد الأدبي والدراسة الأدبية: عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، 2012، ص89.

صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، قضاياها ومناهجها، منشورات جامعة السابغ من أبريل، ط1، 1426، ص⁵⁸⁰

يوسف خليل: مناهج البحث الأدبي، دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004م، ص39.⁵⁸¹

النقد الاجتماعي في الغرب:

و يعتبر الفكر الماركسي في الغرب النواة التي أثرت في نشوء وتبلور النقد الاجتماعي، وتمخض عن الفكرة الجوهرية القائمة على: " أن المجتمع يتكون من بنيتين تحتية يمثلها الانتاج المادي الذي يظهر في التطور الاقتصادي أما البنية الفوقية تعكسها المستويات الثقافية والفكرية والسياسية وأن التغير الحاصل في الانتاج المادي من شأنه أن يحدث تغيرا في العلاقات والنظم الفكرية⁵⁸². " حيث ارتكز على فكرة جوهرية مفادها أن الذي يحدد شعور الناس إنما هو وجودهم الاجتماعي⁵⁸³. و قد ارتبط الفكر الماركسي بفكرتين أساسيتين هما:..

- 1 المادية التاريخية التي تهتم بالقوانين العامة للتطور الاجتماعي
- 2 المادية الجدلية التي تهتم بالتطور الاجتماعي ذو القوى والإرادة وتشمل هذه الفكرة إطارها الفلسفي⁵⁸⁴

و لم يقتصر اهتمام (الاتجاه الماركسي) بتصوير آلام وأحزان المجتمع بل تجاوزت الى العمل على تغيير الواقع بحثا عن الحلول في سبيل بناء مجتمع توطئه أسس اشتراكية قوية،

كما كان للاتجاه الواقعي دوره في ظهور: "نظرية الانعكاس" التي نادت بفكرة أن الأدب مرآة للمجتمع بما يحمله من أفكار سياسية، ثقافية، اقتصادية وحضارية⁵⁸⁵ ويقصد بها: الماضي نحو التغيير والابداع والخلق واكتساب مقوماتها من الحياة الواقعية وما يمكن أن تنتجه العلاقات الاقتصادية في المجتمع وهي نفس فكرة ليون تروتسكي: "ما من أحد يمكن له أن يطالب الأدب الجديد بأن تكون له برودة المرآة فكلما كان الأدب أعمق كلما اشتدت رغبته في صياغة الحياة وكان أقدر على رسم الحياة بصورة دالة ومكتملة⁵⁸⁶". فكان للماركسية في منتصف القرن العشرين دورا في نشوء "علم الاجتماع الأدبي"⁵⁸⁷ الذي يدعو إلى علاقة الأدب بالمجتمع، وأن الأدب المزدهر ما هو إلى انعكاسا لتطور المجتمع.

و قد ساهمت مجهودات أعلام الاتجاه الاجتماعي في التأصيل لهذا النقد، كما هو الحال مع (مادام ديستال)(1766-1817) في دراستها المعنونة: "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية"⁵⁸⁸ سنة 1800 م الذي حاولت من خلاله أن تبحث عن ما الأدب مبينة ان الكلمة قد تتجاوز معنى فن الكتابة إلى صلته الوطيدة بالمجتمع⁵⁸⁹. كما اهتم الناقد الفرنسي وأستاذ الناقد هبوليت تين(1804-1869) بالدراسة الاجتماعية للأدب مركزا على شخصية الأديب وكل ما يحيط به من علاقات اجتماعية من أسرية وقراءة وأصدقاء ناهيك عن الأخلاق والبنية الفكرية وهو ما أسماه بـ: "وعاء الكاتب" الذي يمثل الطريق للوصول إلى شخصية الكاتب⁵⁹⁰، كما اهتم بظروف المجتمع من خلال دراسته الاجتماعية للأدب (3)

صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426م، ص95. 582

رايمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991، ص49. 583

صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص57. 584

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص15. 585

لوسيان قولدمان: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة: بدر الدين عروكي، دار الحوار للنشر، ط1، سوريا 1993م، ص13. 586

المرجع السابق، ص13-14. 587

صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضايا ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426م، ص97. 588

جاك رانسبير: سياسة الأدب ترجمة أبو فخر، منشورات البيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة (د.ط) دمشق 2011م، ص9. 589

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص15. 590

كما شكلت دراسة (هيبوليت تين) الموسومة: "تاريخ الأدب وتحليله" (4)، أهم الآليات الإجرائية ذات الطابع الاجتماعي التي أصبغها على نقده للأدب من منظور اجتماعي.

و من ابرز أعلام النقد الاجتماعي الناقد والفيلسوف صاحب الاتجاه الماركسي **جورج لوكاتش** (1885 – 1971) الذي ينحدر من أصول مجرية، ويعتبر من بين أكبر النقاد الذين اهتموا بالعمل الأدبي من منظور اجتماعي صاحب نظرية "الانعكاس" التي تتحقق من بنية النص وكان من بين أول الداعين إلى الجمع في دراسة العمل الأدبي بين شكله وبنية الداخلية متأثرا في ذلك من الواقعية الكلاسيكية على أن الأدب له دور اجتماعي يدرك الفرد من خلاله حقيقة العالم الذي يمثل خلاصه من عقدة الاغتراب التي تسببها له حياته اليومية واكتساب الماضي والحاضر وتطلعه إلى مستقبل أفضل. يتضح منهج جورج لوكاتش في إحدى مقولاته أنه: " منهج بسيط جدا يتكون أولا وقبل أي شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية بعناية⁵⁹¹". من مؤلفاته:

- بلزاك والواقعية الفرنسية
- التاريخ والوعي الطبقي
- دراسات في الواقعية
- نظرية الرواية

و بعد لوكاتش جاء لوسيان قولدمان الذي ارتكز على أفكار سابقة، وقام بتطويرها متبنيا اتجاهها جديدا في نقد النصوص الأدبية أسماه بـ: "علم اجتماع الإبداع الأدبي" ركز فيه على الجانب الكيفي عكس ما نادى به "سكاربيه" الاتجاه الكمي. ويبدو تأثره بجورج لوكاتش واضحا إذ يصرح بذلك في قوله: " وهكذا فقد باشرنا... بحثنا تمهيدا يتناول مشكلات الرواية بوصفها نوعا أدبيا انطلقنا لتحقيقه من نص كلاسيكي إلى حد ما رغم أنه ما يزال شبه مجهول في فرنسا لجورج لوكاتش ونعني به "نظرية الرواية"⁵⁹². حيث مكنته تجربته النقدية من استخلاص عدة فرضيات سوسيولوجية في حقل الدراسة الاجتماعية للأدب لجملة من المفاهيم والأفكار تتجلى في شهادته: " لقد قادتنا دراسة "نظرية الرواية" وكتاب رينيه جيرار "الأكذوبة الرومانسية والحقيقة الروائية" إلى صياغة عدة فرضيات سوسيولوجية تبدو لنا هامة بوجه خاص... تتعلق بالتجانس بين البيئة الروائية الكلاسيكية وبنية التبادل في الاقتصاد الليبرالي من جهة ووجود نوع من التوازي بين التطور اللاحق لكل منها من جهة أخرى⁵⁹³". ويقوم منهجه على المرتكزات الآتية:

- ليس الإبداع فرديا بل هو جماعي يعكس أسما درجات الوعي للمجتمع فالأديب بإبداعه إنما يستهدف المجتمع ككل حيث: "يجد القارئ ذاته وأحلامه ووعيه بالأشياء والعكس صحيح لمن يملكون وعيا مزيفا⁵⁹⁴".

ينظر أنريك أندرسون أمبرت: مناهج النقد الأدبي ترجمة الطاهر مكي، دار المعرفة الجامعية (د.ب) السويس 2004م، ص 103⁵⁹¹
ليون تروتسكي: الأدب والثروة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1 بيروت، 1975، ص. 10⁵⁹²

المرجع السابق، ص 95.⁵⁹³

⁵⁹⁴ كارل ماركس: الأدب والفن في الاشتراكية، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 1977، ص10

- لكل عمل أدبي بنياته الدلالية تختلف من عمل إلى آخر فعندما نقرأ ابداعا بمجرد الانتهاء من قراءته تتشكل لدينا مفهوما يعكس الوعي الفكري والضمير الجمعي المتواجد بداخل الاديبي (8) وانطلاقا من هذه الفكرة الجوهرية يكون لوسيانقولدلمان قد أنشأ بما أسماه بالمنهج "التوليدي أو التكويني" (9) التي تتجلى معالمه في كتابه "من أجل تحليل سوسيولوجي للرواية" حيث تضمن نشأة الرواية الغربية ومراحل تطورها وكيفية تمثلها للبورجوازية في العالم الغربي.(10)

و في الوطن العربي يمثل أحمد الشايب أحد الأسماء العربية التي كان لها جهود في حقل الدراسات السوسيولوجية للأدب ، حيث قام بدراسة ظاهرة كانت قد استفحلت في المجتمع الأموي آنذاك وذاع انتشارها وهي ظاهرة الغزل العذري وتوصل إلى نتيجة أنها ظاهرة اجتماعية امتدادا لمجتمع البادية منذ عصر ما قبل الاسلام فهي: "ظاهرة اجتماعية انتشرت كما انتشر سائر الظواهر الاجتماعية على اساس العدوى والتقاليد." (12). كما نجد في نفس المسار الدكتور طه حسين الذي قام بدراسة الشعر العربي من خلال المتنبي وأبي العلاء المعري حيث بحث في ظاهرة الطبقة في المجتمعات العربية القديمة ليستمر اهتمام الناقد ببؤس المجتمعات والتباين بين طبقاتها كما دل عليه كتابه "المعذبون في الأرض"⁵⁹⁵ ، حيث أظهر من خلاله الفرق الشاسع بين طبقات المجتمع بتركيزه على المحرومين والفقراء والبؤساء .

ويعتبر محمد مندور أحد النقاد العرب الذين اهتموا بالاتجاه الاجتماعي في تطبيقاته النقدية الأدبية إيمانا منه بمبادئ الفكر الاشتراكي ، حيث يعبر عن رأيه بقوله: "دفعت إلى اعتناق هذا المنهج نتيجة لاهتمامي بالقضايا العامة والنواحي السياسية والاجتماعية في حياتنا ثم لإيماني بالفلسفة الاشتراكية وازدياد بها ازدادت معرفة بواقع مجتمعنا أثناء عملي بالصحافة وبحكم نشأتي الريفية وصلتي الوثيقة بطبقات شعبنا الكادحة"⁵⁹⁶. كما تتجلى جهود محمود أمين العالم في ميدان الدراسات الاجتماعية للأدب بداية بكتابه المشترك مع الناقد عبد العظيم أنيس المعنون بـ: " في الثقافة المصرية" سنة 1953،

و قد تبوأ محمد مندور مكانة الصدارة في النقد الواقعي في الوطن العربي إلى جانب الناقد اللبناني حميد مروة بكتابه " دراسات في المنهج الواقعي"⁵⁹⁷. وغيرها من الأسماء التي ساهمت في إثراء حقل دراسات النقد الاجتماعي أمثال غالي شكري، لويس عوض .ولم يسلم الاتجاه الاجتماعي من الانتقادات نذكر أهمها:

- اهتمام الناقد الاجتماعي أثناء دراسته للأدب بالمجتمع دون النظر إلى أهمية وقيمة الفرد في العملية الابداعية.
- اهتمامه بشكل العمل الادبي وإهماله للقيمة الجمالية والفنية .

أنظر عثمان موافي: مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 46⁵⁹⁵

أحمد أبو حاققة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط1 1979، ص366.⁵⁹⁶

بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، الاسكندرية 2006، ص68⁵⁹⁷

- يعتبر الإبداع الأدبي انعكاساً للواقع التاريخي والاجتماعي للمجتمع حيث كان ذلك على حساب الجانب الإبداعي والخيالي للمبدع فالأدب رسالة فنية لها أهداف إنسانية وأخلاقية⁵⁹⁸.

- الخاتمة:

وما يمكن استنتاجه أن على الرغم من الانتقادات التي وجهت إلى المنهج النقدي الاجتماعي إلا أنه استطاع أن يدرس النص الأدبي من زاوية اجتماعية وأتاح الفرصة للقارئ والدارس التقرب من النص والبحث من خلاله والكشف عن علاقة الأدب بالمجتمع وما هي حدودها ومعالمها حيث استطاع الباحث التعرف إلى أحوال وثقافة وفكر المجتمع من خلال النص الأدبي وأن العمل هو انعكاس للواقع دون إهمال أدبية النص وجماليته وما يمكن أن تتركه من أثر وانفعال أثناء عملية التواصل .

المصادر والمراجع:

- 1 كمال احمد زكي: النقد الأدبي الحديث، ط2، بيروت 1981،
- 2مناهج النقد الأدبي والدراسة الأدبية: عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، 2012،
- صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، قضاياها ومناهجها، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426،
- يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي، دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004م.
- رايمان سلدن : النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991،
- يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009،
- لوسيان قولدمان: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة: بدر الدين عرودي، دار الحوار للنشر، ط1، سوريا 1993م،
- صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضاياها ومناهجها، منشورات جامعة السابع أبريل، ط1، 1426،¹
- جاك رانسيير: سياسة الأدب ترجمة أبو فخر، منشورات البيئة العامة السورية للكتاب وزارة، الثقافة (د.ط) دمشق 2011م،
- يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009،
- ينظر أنريك أندرسون أمبرت: مناهج النقد الأدبي ترجمة الطاهر مكي، دار المعرفة الجامعية (د.ط) السويس 2004م
- ليون تروتسكي: الأدب والثروة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1 بيروت، 1975،

أنظر شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفأس للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2005، ص36.⁵⁹⁸

كارل ماركس: الأدب والفن في الاشتراكية، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 1977،

- عثمان موافي: مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008،
- أحمد أبو حاق: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط1 1979،
- بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، الاسكندرية 2006م¹
- أنظر شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفأس للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2005¹.

المنهج النفسي

المحاضرة الثالثة

أ.خالدي سمير

1 تعريف علم النفس لغة :

نتطرق إلى تعريف العلم: " (إدراك حقيقة الشيء"، " اكتشاف الحقيقة".)⁵⁹⁹ أو: "اليقين بالمعرفة⁶⁰⁰". وهو نوعان: "ظاهري متصل بالحياة المادية والعلوم التقنية مثل الفيزياء والكيمياء... وباطني متصل بالروحانيات مثلاً لإيمان، السحر، الغيب...⁶⁰¹" وعرف الفلاسفة المسلمون العلم بأنه: "آية من آيات الله في الكون⁶⁰²". وأنه "هبة من العلي الخالق تعالى حيث يقول في محكم التنزيل: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) (الأنبياء الآية 80) . وقال جل وعلى: (وعلمناه من لدنا علماً) (الكهف، الآية 65). وقوله تعالى: " وعلم آدم الأسماء كلها). (البقرة، الآية 31). فبالعلم ترقى الأمم وتتطور، كما يمكن أن تدمر وتحطم إذا ما ساء استخدامه وحاذ عن الطريق الصحيح .

تعريف النفس: " هي كل ما يرتبط بحياة الإنسان الداخلية التي تكشف عن حقيقته وهي جوهر الخلق باعتبار الجسد مادة مندثرة⁶⁰³". وفي القرن 20م بدأ علم النفس يستلهم نظرياته

خميس رضا: محاضرات في علم النفس التربوي الاجتماعي، منشورات دار الأديب ط1 ، وهران 2005، ص13⁵⁹⁹

جميل أحمد: شواهد ومشاهد، دار الإسرائ، د.ط، عمان، الأردن 1980، ص15- 16⁶⁰⁰.

خميس رضا: محاضرات في علم النفس التربوي الاجتماعي، منشورات دار الأديب، ط1، وهران 2005، ص13⁶⁰¹.

أنظر : سعداوي راتب، الفلسفة في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، لبنان 1982، ص28⁶⁰².

أنظر سعداوي راتب: الفلسفة في الإسلام، دار العلم للملايين، (د.ط)، لبنان 1982، ص98⁶⁰³.

وإجراءاته التحليلية من مبادئ التحليل النفسي التي توصل إليها العالم النفساني (سيغموند فرويد 1856-1939) حيث رد السلوك الإنساني إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور)⁶⁰⁴.

- يعتبر علم النفس أحد العلوم العتيقة والعريقة لها ماض طويل في تاريخ العلوم ومجال البحث في أسرار النفس وخفاياها وتسليط الضوء عن ذلك السرداب المظلم الذي يحوي الوجه الخفي للنفس. ويتكون العلم من مصطلحين: علم/ النفس:"

" علم ورد بعده معاني بسيطة:

- أ إدراك حقيقة الشيء

- ب اكتشاف الحقيقة

تعريف المنهج النفسي اصطلاحا:

يعتمد في تحليله على نظريات التحليل النفسي والتي فسر فرويد معظم أفكاره في حقل دراساته النفسية على عنصر اللاشعور التي أسماها بمنطقة "اللاوعي" التي تترسب فيها جل رغبات الكائن الإنساني على شكل مكبوتات تبحث دوماً على الظهور متجلية في اشباع الغرائز عبر الحلم أثناء النوم أو اليقظة ، والإبداع وغيرها... واعتبر الأعمال الفنية بمثابة تعويض ما لم يستطيع تحقيقه في عالم الواقع⁶⁰⁵.

مدرسة سيغموند فرويد (1856-1939):

يعتبر- من الأوائل الذين رسخوا بالنظرية والتطبيق علاقة علم النفس بالأدب والفن والنقد ، إذ تناول بالتحليل النفسي شخصيات الفنانين وأعمالهم الفنية وعملية الخلق الفني والمتلقي⁶⁰⁶. و اعتبر مدونة الأعمال الأدبية ذات دلالة على أثر صاحبها ، هذا الأخير يشيد عالمه باستحضار رغباته ومكبوتاته الجنسية التي تطفو على السطح فتبدو ظاهرة للعيان في مشاهد وصور فنية جمالية تحمل شكلا لغويا تعبيريا⁶⁰⁷.

"وارتكزت نظرية فرويد في التحليل النفسي على العناصر الثلاثة : (الأنا – الانا الأعلى والهو)

- يمثل الأنا: الحياة النفسية والشعورية للإنسان

- يمثل الأنا الأعلى: الضمير الجمعي من الأخلاق والعادات والتقاليد والأعراف والقوانين والأوامر والنواهي المنضمة لحياة المجتمع .

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009، ص 22. 604

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009م، ص 22. 605

أنظر أحمد بدوي: لأسس النقد النفسي عند العرب، (د.ط)، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 503. 606

أنظر زين الدين مختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب،

607

الهُو: يمثل العالم المظلم وسرداب النفس التي تترسب فيها المكبوتات والرغبات الجنسية.⁶⁰⁸ وقد توصل فرويد إلى أن غريزة الحب والحياة هي: " الطاقة التي توجه سلوك الإنسان⁶⁰⁹ ". وقد قسم فرويد الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام: " الشعور ، ما قبل الشعور واللاشعور.⁶¹⁰ " حيث تقم نظريته للتحليل النفسي على هذه العناصر الثلاثة. ومن بين الشخصيات المبدعة التي شكلت موضوع الدراسة لدى فرويد نذكر منها: الرسام والفنان الإيطالي (ليوناردو ديفينشي) والروائي الروسي (دوستويفسكي) من خلال دراسته لرواية (الإخوة كرامازوف) حيث قام بتحليل شخصيات الرواية، معتمداً على الأحلام التي تراءت لهم أثناء نومهم وحياة الطفولة فشكلا هذان العاملان من بين الوسائل والطرق التي قادته إلى الكشف عن عالمهما النفسي المظلم وتسليط الضوء عليه وفك شفرته. وتوصل إلى أن الكبت والحلم كانا من بين العوامل المؤثرة في نفسيتهما وشكلا الدور البارز في إنتاجهما الفني. الذي يعتبره: " المجال الذي يضمن للرغبات المكبوتة التستر وعدم الكشف. أما الإبداع فإنه يسعى لإحداث التوازن عبر اتكائه على القيم والسلوكات الاجتماعية⁶¹¹ ". وتوصل في نهاية المطاف إلى أن شخصيات رواية الإخوة كرامازوف تتسم بالتناقض بحيث يظهر البطل: " المبدع الفنان الخلق وفي الوقت نفسه العصبي الآثم المجرم المتعاطف مع الأثمين والمهوسين بالمقامرة وبتعذيب الآخرين⁶¹² ". ومن بين النتائج التي توصل إليها أن الفنان عندما يكون في لحظة الإبداع عصابيا حقيقيا " يستطيع تخطي عتبة اللاشعور والإفلات من رقابة الأنا الأعلى محققا رغباته ومكبوتاته بوسائله الفنية الخاصة وهو بعد ذلك إنسان عادي سوي.⁶¹³ " ، كما يمثل الحلم وسيلة لإشباع الرغبات التي لا يستطيع تحقيقها في واقعه يمنعه من سلطة الأنا الأعلى.

و بعد فرويد أثريت الدراسات النفسية من طرف زمرة من الباحثين أمثال: (ألفرد آدلر) و (يونغ) و(شارل بودوان) و(شارل مورون) الذين قدموا بحوثا في المنهج النفسي ساهمت في تكوينه وتأسيس مصطلحاته و اتجاهاته المعاصرة.

مدرسة آدلر في التحليل النفسي (1870-1937):

يعتبر آدلر تلميذا لفرويد، و يرجع له الفضل في تأسيس "مدرسة علم النفس الفردي"⁶¹⁴ بحيث خالف معلمه في فكرة ان يكون للغريزة الجنسية السبب الوحيد في ظهور الأمراض العصابية وأنها الباعث الأول على الفن⁶¹⁵ حيث يرى أن: " الشعور بالنقص هو السبب

المرجع السابق ص 10. 608

المرجع السابق ص 9. 609

عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السرد، إتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق 2008، ص 162. 610

المرجع السابق، ص 162. 611

المرجع السابق، ص 165. 612

المرجع السابق، ص 11. 613

المرجع السابق ص 13. 614

المرجع السابق، ص 14. 615

الرئيسي في نشأة العصاب وأن الباعث الأساسي على الفن هو غريزة الحب والظهور أو حب السيطرة والتملك⁶¹⁶. فالشعور بالنقص في نظره يعتبر مبعثاً على التعويض.

إن الجديد في نظرية أدلر النفسية ليس عالم اللاشعور وحده الكفيل بتحريك رغبات الإنسان وإيقاظها لتطفو على السطح نتيجة تفاعله مع المجتمع ذلك لأن: "الفرد ليس منعزلاً عن وسطه الاجتماعي يتصرف بما يمليه عليه نزوعه الفردي ودوافعه اللاشعورية"⁶¹⁷.

أما كارل غستاف يونغ (1875-1961) الطبيب النفسي السويسري فكان له الفضل في تأسيس علم النفس التحليلي، حيث اطلع على مؤلفات فرويد وخاصة كتاب (تفسير الأحلام)،

و تتلخص نظرية يونغ في أن الإنسان كائن متحضر يعيش في المجتمع، وسط بيئة يتأثر بها وأن له العديد من الرغبات والأحلام التي لا يستطيع تحقيقها كلها لأن فيها ما يتعارض مع القيم والأخلاق والقوانين والعادات والتقاليد في المجتمع ويتساءل قائلاً: "ف" الخافية (اللاشعور) هو جزء من النفس لكن هل بوسعنا الآن قياساً على مختلف محتويات للخافية؟ أن من شأن هذا أن نتكلم على التسليم بوجود واعية في الخافية⁶¹⁸.

ويضيف يونغ مصطلح "اللاشعور الجمعي" الذي يعتبره مصدراً أساسياً للإبداع الفني والأدبي تتجمع فيه كل الرواسب من الغرائز والتراكبات والأفكار الأولى⁶¹⁹. فهو عبارة هن جملة من التجارب والخبرات والثقافة والاعتقادات المكتسبة في المجتمع القابعة في منطقة اللاشعور الجمعي.

ويقول يونغ بأنه يخالف معلمه فرويد حول مسألة استقلالية "اللاشعور" بقوله: "إن فكرة استقلالية وتلقائية اللاوعي التي تميز مفاهيمي عن مفاهيم فرويد بشكل جذري نبتت في ذهني عام 1902 عندما كنت أدرس قصة شاب (مسرنم)⁶²⁰... وهذا العمل هو خلاصة هذه الجهود. لقد حاولت بشكل رئيسي وصف العلاقات الموجودة بين وعي الأنا والصيرورات اللاواعية... هكذا حاولت أن أقارب عالم الوعي والظواهر التي تدور فيه بشكل لا مباشر⁶²¹".

و ألف يونغ عدة كتب منها (البنية النفسية عند الإنسان) الذي قسمه إلى خمسة فصول أدرس فيها مراحل حياة الإنسان وتشكلاته النفسية الغريزية أي "اللاشعور"، والصراع القائم بين الأنا والمجتمع وكيف يؤثر ذلك في الشعور⁶²².

ص 14⁶¹⁶

ص 14⁶¹⁷

أنظر: يونغ البنية النفسية عند الإنسان ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، (د.ط)، سوريا (د.ت)، ص 39.⁶¹⁸
أنظر زين الدين مختاري المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب،⁶¹⁹ سوريا، ص 14.

مسرنم: تعني الشخص الذي يمشي وهو نائم كما نرحه يونغ في كتابه جدلية الأنا واللاوعي في الصفحة الحامسة من الكتاب.⁶²⁰

يونغ: جدلية الأنا واللاوعي ترجمة نبيل محسن دار الحوار، (د.ط)، سوريا، (د.ت)، ص 6.⁶²¹

المرجع السابق، ص 16.⁶²²

اما في كتابه (جدلية الأنا والوعي) فقد درس مدى تأثير حياة اللاوعي في الوعي وعلاقة التأثير والتأثر بين الفرد والمجتمع.

علم النفس عند العرب :

وكان للعرب دور المساهم في بناء صرح التحليل النفسي الأدبي كإرهاصات أولية لفتت الأنظار إلى مصطلح العاطفة والإحساس والمشاعر ودورها في العملية الإبداعية ، ففي كتابه (الشعر والشعراء)- أشار ابن قتيبة إلى الحالة النفسية للشاعر العربي ودورها في ظهور الشعر ، كما تحدث عن دواعي الشعر فقال: " للشعر دواع حيث البطية وتبعث المتكلف منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب⁶²³."

- و يرى أحمد بدوي -في كتابه (أسس النقد الأدبي عند العرب)- أن تجليات الدراسات النفسية عند العرب تمثلت في مصطلح العاطفة من خلال صدقها وكذبها.⁶²⁴ كالتي قدمها مصطفى سوييف أطروحة ماجستير عنوانها: " الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة" سنة 1948⁶²⁵ . جهود الباحث سامية الملة المتمثلة في دراستها المعنونة ب" الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح⁶²⁶" مساهمة بذلك في تكوين مرجعية عربية للدراسات النفسية .
- وبقيت هذه الجهود لا تعدو أن تكون مجرد إرهاصات أفكار أولية لفتت الأنظار إلى مصطلح العاطفة والإحساس والمشاعر ودورها في العملية الإبداعية وكيف تأثر في الشاعر أولا وفي المتلقي ثانيا الذي يكون له ردة فعل تجاه ما قرأه من إبداع.

وقد تأثر النقد العربي في العصر الحديث بمدرسة التحليل النفسي بأفكارها و منجزاتها، فبرز الناقد عباس محمود العقاد (1889-1964) بدراسته لشخصية الشاعر " ابن حمديس الصقلي واصفا شعره بأنه وجداني غير متكلف⁶²⁷. كما حلل شخصية ابن الرومي في كتابه (ابن الرومي حياته من شعره) حيث وقف على مولده ونشأته وتكوينه النفسي والفيزيولوجي وتحليل ظاهرة التشاؤم لديه التي أرجعها إلى عدم توازن جهازه العصبي والنفسي⁶²⁸. أما شخصية أبي نواس ونرجسيته التي مردها في رأيه إلى شغفه بجماله وافتتانه بمحاسنه كما أنه كان منحرفا نحو الخمرة وحب النساء⁶²⁹. وذكر في كتابه "نفسية أبي نواس" محلا شخصيته مركزا على (عقدة أوديب) وميوله نحو الشذوذ الجنسي⁶³⁰. لى جانب عبد القادر المازني (1890-1949) و محمد النويهى (1917-

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، المصرية، القاهرة، 1977 ، ج1، ص 84⁶²³

أحمد بدوي: أسس النقد النفسي عند العرب، دار النهضة، (د.ط)، (د.ت)، ص 503.⁶²⁴

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص23.⁶²⁵

أنظر المرجع السابق ص24.⁶²⁶

أنظر: سفيان عبد الحكيم: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، كفر الشيخ، 2008م،⁶²⁷ ص 18.

المرجع السابق، ص18.⁶²⁸

المرجع السابق، ص19.⁶²⁹

أنور الحميد الموسي: علم النفس الأدبي، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 2001، ص175.⁶³⁰

1980) من خلال جماعة الديوان حيث تناول ما يربو على الثلاثين شخصية من القديم والحديث وفي مختلف الحقول المعرفية شعرية وأدبية وفكرية وسياسية واجتماعية فضلا عن سيرتها الذاتية⁶³¹. "ويعد العقاد من النقاد المناصرين للتحليل النفسي ملخصا دعمه في قوله: "نعرف كل ما نريد أن نعرفه وكل ما يهم أن يعرف متى عرفنا نفس الشاعر وعرفنا كيف يكون أثرها في كلامه وكيف يكون أثر هذا الكلام في نفوس الناس... ولهذا نفضل المدرسة النفسية لأنها تحيط بالمدارس كلها في جميع مزاياها⁶³²". و قد أسس منهجه في النقد النفسي على عناصر ثلاثة:

" 1 رسم صورة نفسية وجسدية للمبدع

2 استنباط مفتاح للشخصية

3 تتأسس الدراسة على محورين : الأول نفسي فني والثاني نفسي جسمي⁶³³"

و قد استند العقاد في رسم ملامح للصورة النفسية على عناصر الزمن والمكان والتربية والظروف البيئية والسياسية والاجتماعية وما تميزت به من علامات خاصة وكل ما يتصل بها من عوامل الوراثة والتاريخ والاستعدادات الفطرية حيث لم يختلف في هذا الجانب عن ملامح الدراسة النفسية عند سانت⁶³⁴

وفيما يتعلق بمفتاح الشخصية اعتمد في الكشف عنه على الحياة الخاصة للأديب : " يحمل دلالة سيكولوجية أعمق منها فالمقصود بهذا المفتاح من مجمل دراسات العقاد البيوغرافية تلك " السمة الغالبة" على سلوك الشخصية وخلائقها وصفاتها وعاداتها وهي التي تميز الشخصية عن غيرها من الشخصيات⁶³⁵".

أما العنصر الثالث الذي اعتمده يقوم على محورين يتعلق الأول بالجانب البيوغرافي للأديب والثاني يتمثل في الدراسة النفسية والطب النفسي وتوظيفهما في الكشف عن الحالات الطبيعية والغير طبيعية والمرضية والغير المرضية منها التي لها تأثير على الحالة النفسية للمبدع⁶³⁶. وتوصل العقاد من خلال دراساته النفسية إلى أن النقد النفسي يقدم خدمة كبيرة للأدب والنقد بحيث يطلعنا على الظروف النفسية التي أثرت في شعر الشعراء مشكلة السبب المباشر في عملية الإنتاج الفني⁶³⁷.

جورج أنطوان أبو الدينين: منهج العقاد النفسي في تحليل شخصية أبي نواس، مجلة بصريات الثقافية الأدبية، عدد8، فبراير 2015، مجلة 631
asarayath.com

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص 25. 632

زين الدين مختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي، ص22. 633

المرجع السابق، ص22. 634

المرجع السابق 23 ص - 635

المرجع السابق، ص25. 636

المرجع السابق ص26. 637

و سار على هذا النهج الناقد عبد الرحمن شكري (1866-1958) بدراسته لمجموعة من الشعراء وتبعه عبد القادر المازني (1890-1949) الذي قدم دراسة شاملة لشخصية الشاعر ابن الرومي

كما كان لطفه حسين دور بارز في إثراء المنهج النفسي بمحاولاته الكشف عن أسرار نفسية كثر أمثال بشار ابن برد، أبي تمام، المتنبي وأبي العلاء المعري حيث استوقفته كثيرا شخصية هذا الأخير: " نظرا لعاهة العمى التي يرى أنها كانت الموجه في حياته وشكلت سببا في عزلته عن الناس والعالم الخارجي"⁶³⁸ ودائما في نفس السياق قدم جورج طرابيشي جملة من الدراسات النفسية في الرواية مثل: " عقدة أوديب في الرواية العربية" و رمزية المرأة في الرواية العربية "، " و مقاربة اللاشعور في الرواية العربية ويبدو جورج طرابيشي من أنصار المنهج النفسي بحيث صرح في أحد الحوارات بقوله: " لقد كتبت من قبل عدة دراسات في النقد ولم أشعر أن هناك منهجا قادرا على الدخول إلى قلب العمل الأدبي وإعطائه أبعادا، وأن يكشف فيه عن أبعاد خفية أو فلنقل تحتية، كمنهج التحليل النفسي"⁶³⁹. وهو نفس الاتجاه الذي دافع عنه الناقد اللبناني خريستو نجم بقوله: " التحليل النفسي للأدب من أصلح المناهج الأدبية تقصيا للحقيقة وإثراء للفن"⁶⁴⁰. " وعتبر عبد المالك ملرتاض من أشد خصوم المنهج النفسي واصفا الدراسة النفسية للأدب "بالمرضية المتسلطة" لا تبحث في النص إلا عن المرض وأن المبدع رجل مريض⁶⁴¹. وكانت للناقد (عز الدين اسماعيل) جهودا متميزة في حقل الدراسات النفسية الأدبية من خلال كتابه: " التفسير النفسي للأدب" الذي حاول من خلاله تفسير مرض العصاب والнерجسية⁶⁴² كما أنه خصص فصلا كاملا لدراسة نفسية لرواية (الإخوة كرامازوف) للروائي (دوستوي فيسكي)⁶⁴³ و من الدراسات المعاصرة في مجال النقد النفسي ما قام به الناقد (عبد القادر فيدوح) الذي أضاف لبنة جديدة في حقل الدراسات النفسية للنص الشعري مستكشفا عوالم النص وأثرها على انفعالات القارئ وتحليل استجابته الإنفعالية من خلال كتابه " الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ودراسة تجلي ظاهرة الإبداع في النقد العربي القديم واهتمامه بعنصر الإسقاط واللاشعور والحدس عند الشعراء.⁶⁴⁴ " وقدم " خليل خلف سويحل" في دراسة عنونها بـ: " البعد النفسي لقفا نيك"، حاول الناقد البحث في الأبعاد النفسية للطلل ومخلفاته على النفس بحيث ركز على مطلع القصيد - المقدمة الطللية - :

- " قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

إبراهيم علي السلطي: التحليل النفسي في النص الأدبي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2009، ص 30. 638

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص 26. 639

خريستو نجم: في النقد الأدبي والتحليل النفسي، دار الجيل، ط1، بيروت 1991، ص 39. 640

أنظر يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 28. 641

عمر عيلان: النقد العربي الجديد مقاربة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر بيروت، ط1، 2010، ص 136. 642

عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، القاهرة، (د.ت)، ص 28. 643

عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان 1988، ص 9-10. 644

ويقول في تحليله أن عبارة قفا هي دعوة لسماعها ومتلقيها للتوقف عن المشي والبدء في البكاء³⁶ وخلص في نهاية بحثه إلى أن ظاهرة الوقوف على الطلل تثبت في الروح الذكريات والأحاسيس بحرقه الاغتراب ومرارة الغياب ... وهي لحظة نفسية مؤثرة أيما تأثير على الباحث والمتلقي⁶⁴⁵.

- كما قامت الباحثة (سماح بن فروخ) بدراسة نفسية بعنوان: "الأنا والآخر في شعر محمود درويش، قصيدة مديح الظل العالي أنموذجاً". حاولت من خلاله الوقوف على نفسية الفرد الفلسطيني أمام غطرسة وقمع الاحتلال الصهيوني فكانت الدراسة تنزع نحو: "رصد الأنا التائهة بين مشاهد قصيدة مديح الظل العالي و تداعيات النفسية للقتل الرمزي للآخر المحتل⁶⁴⁶". وتوصلت في نهاية بحثها ما خلفه القهر والاستبداد والظلم من أبعاد نفسية الفرد المتمثلة في انتكاسة الذات العربية ووضعيتها المزرية التي حالت دون تحقيق مصيره وهدفه في التحرر من قبضة الصهاينة فغدت ذات تائهة غريبة في وطنها فاقدة للأمن وطعم الحياة وروح الاطمئنان والاستقرار⁶⁴⁷.

- و من النماذج أيضا محمد عبد الهادي دراسة نفسية معنونة بـ: "تجليات المرأة في شعر محمود درويش حيث توصل إلى أن المرأة في شعره مرتبطة برمز الوطن وأنها دوما تظهر بصور متنوعة ومتعددة في قصائد كثيرة منها: قصيدة: "تلك صورتها" و"النزول من الكرمل" حيث تتجلى في صور الحب والغرام في "انتحار العاشق" وخلص في دراسته أن قصائد محمود درويش شكلت في مجملها: "قاموسا جماليا فلسطينيا⁶⁴⁸" تعلق دوما بالوطن فلسطين في شكل ملفوظات: "كنت أحملها"، "اسمها بيبضاء" و"كانت تسمى خلایا رمي" وقد تميز الشاعر عن باقي شعراء عصره بتوصيفاته المميزة للمرأة حيث: "أعطى للمرأة مكانتها تسمو بها ودليل ذلك أنها احتلت المكانة العليا في نظمه فبدت معززة مكرمة ورمزا للقدس⁶⁴⁹".

المصادر والمراجع:

_ خميس رضا: محاضرات في علم النفس التربوي الاجتماعي، منشورات دار الأديب ط1 ،
وهران 2005، ص 131
جميل أحمد: شواهد ومشاهد، دار الإسرائ، د.ط)، عمان، الأردن 1980

سماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش، قصيدة مديح الظل العالي أنموذجاً، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية، مجلة علمية دولية تصدر عن

مركز الجيل للبحث العلمي، العدد الثالث أيلول/سبتمبر 2014، ص 57. ⁶⁴⁶

يماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش قصيدة مديح الظل العالي أنموذجاً، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية مجلة علمية دولية، العدد الثالث أيلول
ديسمبر 2014، ص 65. ⁶⁴⁷

محمد عبد الهادي: تجليات المرأة في شعر محمد درويش من الموقع الإلكتروني ⁶⁴⁸

محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته خصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب، د.ط) بيروت، 1985، ص 559. ⁶⁴⁹

سعداوي راتب، الفلسفة في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، لبنان 1982،
يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009،
أحمد بدوي: لأسس النقد النفسي عند العرب، (د.ط)، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت. زين الدين مختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1998
عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السرد، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق 2008، ص162.
سماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش، قصيدة مديح الظل العالي أنموذجا، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية، مجلة علمية دولية تصدر عن مركز الجيل للبحث العلمي، العدد الثالث أيلول/سبتمبر 2014،
سماح فروخ: الأنا والآخر في شعر محمود درويش قصيدة مديح الظل العالي أنموذجا، الجيل للدراسات الأدبية والفكرية مجلة علمية دولية، العدد الثالث أيلول ديسمبر 2014،
محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته خصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب، (د.ط) بيروت، 1985،¹
إبراهيم علي السلطي: التحليل النفسي في النص الأدبي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2009،
يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009،
خريستو نجم: في النقد الأدبي والتحليل النفسي، دار الجيل، ط1، بيروت 1991،
عمر عيلان: النقد العربي الجديد مقاربة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر بيروت، ط1، 2010،
عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، القاهرة، (د.ت)،
عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان 1988،

البنوية

المحاضرة الرابعة

أ.خالدي سمير

البنية لغة :

ورد معنى بنية معجم لسان العرب أن : " البني نقيض الهدم، فنقول بنى البناء بنيا، وبناء وبنينا وبنية وبنياته وجاء في قول الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أمنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا⁽⁶⁵⁰⁾

وكلمة بنية مشتقة من الفعل الثلاثي (بنى) الذي يدل معناه على البناء والتشييد كما ورد معناها في كتاب: " مشكلة البنية" لـ زكريا إبراهيم على أنها كلمة أجنبية (structure) يدل على البناء والتشييد⁽⁶⁵¹⁾

أما في رأي الناقد الجزائري (يوسف وغليسي) أنها لم ترد كثيرا في التراث النقدي العربي الذي تضمن بعض الاشتقاقات للكلمة نحو بناء وبنيان و مبنية⁽⁶⁵²⁾ ... وفي القرآن الكريم في مثل قوله جل جلاله: " الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء." ⁽⁶⁵³⁾ وفي قوله أيضا: " فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم." ⁽⁶⁵⁴⁾

ب البنية اصطلاحا:

ذكر جان بياجي أن مفهوم المصطلح - بنية - قد اقتحم مختلف العلوم والمناهج الفكرية والفلسفية حيث تشكل لها معنى مصطلحاتي ومفاهيمي متنوع ومتعدد من خلال قوله بأن: " إعطاء تعريف موحد للبنية رهين بالتميز بين فكرة المثالية الإيجابية التي تقدم مفهوما للبنية في الصراعات وفي آفاق مختلفة أنواع البنيات والنوايا النقدية التي رافقت نشوء وتطور كل واحدة منها مقابل التيارات القائمة في مختلف التعاليم." ⁽⁶⁵⁵⁾

أهم المرتكزات التي تقوم عليها البنيوية

- "المدرسة الشكلانية" التي ظهرت في الاتحاد السوفياتي سابقا ما بين 1915 و 1930) روجت إلى دراسة داخلية للنص تقوم على كشف العلاقات التي تكمن وحداته واعتبرت النص نظاما ألسنيا يقوم على رموز ووسائط علاماتية للواقع وليست انعكاسا له وأقصت الجانب التاريخي في دراستهم للبنية⁽⁶⁵⁶⁾ ومن أهم روادها (رومان جكبسون) (1896-1983) و(يوري تينيانوف)

650 ابن منظور : لسان العرب تحقيق ياسر سليمان وفتحي السيد، (د.ط)، المكتبة التوقيفية (د.ت) ج1، القاهرة، ص 626.

651 زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، (د.ط)، القاهرة (د.ت)، ص29.

652 يوسف وغليسي: البنية والبنيوية، بحث في البنية اللغوية والاصلاح النقدي، (د.ط)، جامعة قسنطينة الجزائر (د.ت)، ص19.

653 سورة البقرة الآية 22.

654 سورة الكهف، الآية 21.

655 جان بياجي: البنيوية: ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، 1989، ص7.

656 محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 2003، ص13.

1894-1984) و(بوريس ايخنباوم) و(فيكتور شلوفسكي) (1893-1984) و(بوريس توماشوفسكي) 1890-1957. التي اهتمت بالشكل دون المضمون في دراستها للأدب عموما والشعر خصوصا حيث ذكر (جاكسون) أن: "ليس الأدب هو موضوع علم الأدب وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا"⁽⁶⁵⁷⁾. "وركزوا على الشكل اللغوي للنص دون مضمونه. ونادوا بجملة من المبادئ المتمثلة في: استقلالية العمل الأدبي وعزله عن كل المؤثرات الخارجية"⁽⁶⁵⁸⁾ ورفضهم للنزعة التاريخية التي في نظرهم تحيد بالنص عن مهمته الرئيسية وهي الحفاظ على صورة وجمالية العمل الأدبي بعيدا عن التاريخ.⁽⁶⁵⁹⁾ واعتبرت الأدب ابداع وتعبير عن الأفكار وليس انعكاسا للواقع.

وشكلت لسانيات دوسوسير أحد المرتكزات الأساسية وكان لها دورا مهما في ظهور المنهج البنيوي وكان ذلك من خلال نشر محاضراته التي كان يلقيها على طلبته في جامعة جونيف سنة 1916 بعد وفاته بثلاث سنوات حيث شكلت الثنائيات في لسانياه العصب الرئيسي للبنوية إلا أنه لم يرد مصطلح بنية صريحا في محاضراته فكان ضمنا وكانت جهوده ارهاصا اعتبر النص نظاما لغويا له خصوصياته⁽⁶⁶⁰⁾. وكان للحركة النقدية في أمريكا وازدهارها في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات واهتم الناقد (عزرا باوند) بالخطاب الشعري واعتبره شكلا من أشكال المنطق الرياضي الفني⁽⁶⁶¹⁾ أما (هيوم) فقد اهتم بشكل القصيدة على حساب مضمونها⁽⁶⁶²⁾ وقام (جون كرو رانسوم) بدراسة الشعر لذاته وفي ذاته.⁽⁶⁶³⁾ ومثلت حلقة براغ وهي من أهم الحلقات اللغوية: تأسست على يد (فيلام ماتيزيوس) سنة 1926 بمشاركة كل من (رومان جاكسون)، (نيكولاي تروتسكوي) و(سيرج كارسفسكي) الذين هاجروا من الاتحاد السوفياتي إلى بلدان أوربية بسبب اضطهاد الشيوعية للعلماء والمفكرين متشبعين بأفكار ومبادئ الشكلانية فكان لهم الفضل في تدعيم الحلقة، حيث كان لهم دور كبير في إنعاش حقل الدراسات اللغوية وتقوم الحلقة على جملة

⁶⁵⁷ شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقيدين الجمالي والبنوي في الوطن العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ط1، بن عكنون، الجزائر 1998، ص136.

⁶⁵⁸ ينظر فيكتور إرليخ: الشكلانية الروسية، ترجمة: الوالي محمد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان 2000 ص14.

⁶⁵⁹ أنظر شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقيدين الجمالي والبنوي في الوطن العربي، مرجع سابق، الجزء3، ص5.

⁶⁶⁰ محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 2003، ص13.

⁶⁶¹ ينظر محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 2003، ص13.

⁶⁶² المرجع السابق ص نفسها

⁶⁶³ المرجع السابق ص نفسها.

من المبادئ مثل: الاهتمام بالجانب الوظيفي للغة وما يمكن أن تقوم به مختلف البنيات النحوية والصوتية والدلالية في أفراد المجتمع.⁶⁶⁴ والاهتمام بالشكل في دراستها للنص تشمل مستويات التحليل اللساني: (صرفي، نحوي، دلالي وتركيبية). بغية اكتشاف وظيفة التعبير وعلاقة الكلام بالمتكلم، وعدم الاعتراف بالجانب التاريخي. وشكل الشعر موضوعا للدراسة بوصفه جنسا أدبيا له القدرة على النفاذ إلى أحاسيس المتلقي من خلال وزنه وموسيقاه.⁶⁶⁵ وكان للعالم اللساني (موكاروفسكي) أحد أعضاء (حلقة براغ) من أطلق عليها تسمية (المنهج البنيوي) خلال المؤتمر الدولي للسانيات بلاهاي سنة 1928. كما أقام (رومان جاكبسون) الدراسة الصوتية في المنهج⁽⁶⁶⁶⁾. وكان من بين أهداف الحلقة اقناع المعارضين والنقاد للبنىوية أنها منهج يهتم بالبنية ووظيفتها وفق دراسة شاملة تهتم بكل المستويات التحليلية.

وانتشرت البنىوية إلى أوروبا وتحديدا (فرنسا) على إثر التقاء (رومان جاكبسون) باللغوي الفرنسي (كلود ليفي شتراوس) بالولايات المتحدة الأمريكية حيث استطاع هذا الأخير أن يتعرف على أفكار وآراء جاكبسون وهناك من يعتقد أيضا أن السبب يعود إلى انشاء حلقة لغوية فرنسية تسمى بـ: (Tel Quel) وهي نفس التسمية التي أطلقها العالم الغوي (فيليب صولر) على إحدى مجلاته النقدية وكان من رواد هذه الجماعة كل من (جوليا كريستيفا) (رولان بارت) (ميشال فوكو) (جاك دريدا)⁽⁶⁶⁷⁾ وتمكن الفرنسيون من الاطلاع على لسانيات دوسوسير من خلال كتابه محاضرات في اللسانيات العامة التي ترجم إلى مختلف لغات العالم إلى جانب وصول مؤلفات أخرى في مجال الدراسات اللسانية المترجمة إلى اللغة الفرنسية على سبيل المثال: "اللغة الأساسية للبنىوية وما بعدها" لجاكبسون سنة 1963، وكتاب: "نظرية الأدب" لتودوروف⁽⁶⁶⁸⁾ 1965 و"مورفولوجيا الحكاية" فلاديمير بروب 1970⁽⁶⁶⁸⁾.

وحاولت المدرسة الفرنسية جاهدة في تطوير وإنعاش حقل الدراسات البنىوية في فرنسا من خلال جملة من الدراسات التي تزعمها كل من (جيرار جنييت)، (رولان بارت)، (جوليا كريستيفا)، (تزفيتان تودوروف). وكان لهذه المدرسة دور كبير في ظهور التيار البنيوي في كوبنهاغن بتأسيس حلقة كوبنهاغن اللغوية سنة 1931 تزعمها (بروندال) و(همسلف) وحلقة نيويورك سنة 1934 من زعمائها (سبير) و(بلومفيلد).

⁶⁶⁴ ينظر أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، بن عكنون الجزائر 2002، ص136.

⁶⁶⁵ ينظر فيصل الأحمر ونبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، ط1، الجزائر 2009، الجزء الثاني، ص378.

⁶⁶⁶ ينظر صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت 1980، ص108.

⁶⁶⁷ يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، ص69.

⁶⁶⁸ المرجع السابق ص 69.

أهم مصطلحات البنيوية:

تعتمد البنيوية على لسانيات دوسوسير وبشكل خاص الثنائيات، (لغة، كلام)، فاللغة هي النظام العام بينما الكلام فهو الانجاز الفعلي للغة في الواقع، أي أن اللغة تتحقق في الكلام.⁽⁶⁶⁹⁾ و(الدال والمدلول): يغرف الدال بـ: الصورة السمعية (signifiant) و المدلول بـ: الصورة الذهنية (signifie) تجمع بينها علاقة اعتباطية (arbitraire)⁽⁶⁷⁰⁾.

ويعد النسق: الشكل التعبيري الذي وردت عليه البنية التي تتكون من مجموعة من العلاقات التي تربط بين عناصرها ولا تتحقق دلالة أي عنصر إلا إذا ارتبط بالعناصر الأخرى. ومن بين المصطلحات أيضا الأنوية والزمانية: ويقصد بالأنوية (synchronique) دراسة وصفية للظاهرة اللغوية في لحظة زمنية محددة. بينما الزمانية (diachronique) : الدراسة التاريخية للظاهرة اللغوية بالوقوف على ظهورها، نشأتها وتطورها عبر المراحل التاريخية.⁶⁷¹ أما الاقتران والتركيب: يعني الاقتران (associative) بكيفية تشكيل وتنظيم المفردات في ذهن المتكلم فيتخير منها ما يناسبه في تعبيراته وفق النظام الذي يحكم اللغة.⁶⁷² أما التركيب فيتمثل في العلاقة التي تربط وتزواج بين المفردات في الجملة الواحدة.⁶⁷³

خطوات المنهج البنيوي:

يعتمد المنهج البنيوي في تحليله على جملة من الخطوات بغية كشفه عن البنية وتحليلها والتعرف إلى النظام الداخلي الذي يحكمها وتتمثل هذه الخطوات في أن موضوع الدراسة يقوم على البنية التي هي في نظر "لوفي شتراوس": "أفضل طريقة لدراسة التحلي بمبد المعقولة لأن البنية ذات طبيعة عقلية⁶⁷⁴. " ومن بين مبادئها يعتبر النص الأدبي بنية معرفية مغلقة ومستقلة بذاتها. وأن أساس البنية يكمن في العلاقة التي تربطها بباقي البنيات الأخرى. ويعتمد المنهج البنيوي على مبدأ المحايثة وذلك بعزل النص عن مؤلفه ، وكل المؤثرات الخارجية. ودراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

تطبيقات المنهج

⁶⁶⁹ ينظر زكريا ابراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر (د.ط)، ص48.

⁶⁷⁰ ينظر إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بار سوتر إلى هارماس، ترجمة: محمد حسن غلوم،

مراجعة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد244، الكويت 1999، ص202.

⁶⁷¹ الزاوي بغورة: البنيوية منهج أم محتوى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، العدد 4، المجلد 30، الكويت أبريل 2002، ص25.

⁶⁷² ينظر نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب (د.ط)، القاهرة مصر 2004، ص

81.

⁶⁷³ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁶⁷⁴ الزاوي بغورة: البنيوية منهج أم محتوى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، عدد 4 المجلد 30 ، أبريل الكويت 2002 ص25.

كمحاولة لدراسة النص الأدبي وبحثاً عن تكشف لغة النص في طرائق تعبيرها والمستوى الجمالي والفني وعلاقتها بالتطور الاجتماعي ظهر ما يعرف بالمنهج البنوي التكويني. وانطلاقاً من هذا التصور نشأت عدة مفاهيم ورأى تخص المصطلح.

يحمل مصطلح (البنوية التكوينية) (Structuralisme Génétique) في جوهره فكرة أساسية تتمثل في التصور العلمي للحياة الإنسانية في إطارها الاجتماعي واعتمد في تأسيسه على جملة من أفكار العالم النفساني: (سيغموند فرويد) ومستوحية مصطلحاته العلمية والمعرفية من فلسفة (هيجل) و(كارل ماركس) و(جان بياجيه). وهي في نظر (لوسيان غولدمان): "تعتبر النص بنية وظيفية جمالية مفتوحة على الواقع الاجتماعي، تقدم تفسيراً للحياة من خلال التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية وكذلك الثقافية لمجتمع ما⁶⁷⁵.

يمكن القول أن البنوية التكوينية هي دراسة اجتماعية للأدب غايتها رصد الظواهر الأدبية والفنية والثقافية للنص بالشرح والتعليل وتشكل تفسير اجتماعي يكشف عن العلاقة التي تربط بين الأدب والمجتمع في توليد بنيته الداخلية.

اعتمد (لوسيان غولدمان) المنهج البنوي التكويني في دراساته للنصوص النثرية كالتي طبقها على الرواية تضمنها كتابه المعنون بـ: "سوسيولوجيا الرواية" ودراسته للمسرح التي وضع لها عنوان: "الإله الخفي". حيث اقتصرت جهوده على النثر دون الشعر. يقوم المنهج البنوي التكويني على آليتين إجرائيتين تتمثلان في: (آلية الفهم) (Compréhension): تجعل من بنية النص المغلقة حقلاً للدراسة ومحاولة تفكيكها والبحث عن علاقتها السمات والدلالات والتمثيلات الاجتماعية التي تضمنها متن النص أو العمل الفني. و (آلية التفسير) (Explication) تقوم على مقارنة النص بالمجتمع من خلال الكشف عن علاقة البنية التحتية والبنية الفوقية واعتمدت بالأساس على اللاوعي الجماعي في عملية الإبداع وتوليد بنية النص الداخلية.

ويرى (جورج لوكاتش) أن الرواية ملحمة بورجوازية بطلها مثالي يتطلع إلى عالم المثل يجسد من خلال أفكاره ومبادئه التي ظل يفقدها في واقعه وأنه يعكس، الأنا الاجتماعي. إنها رحلة بحث مستمرة. ويبدو أن (جورج لوكاتش) متأثراً في نظريته بأفكار (هيجل) محاولاً بذلك تأسيس نظرية في الرواية الحديثة في القرن التاسع عشر: "نتيجة للصراعات الإيديولوجية للبورجوازية الصاعدة ضد الإقطاعية المتدهورة... التي لم تمنع الرواية التي كانت في طور الولادة من تلقي كل موروث الثقافة الإقطاعية في ميدان السرد القصصي⁶⁷⁶". واعتمد تصنيفاً للرواية: (رواية ذات الطابع المثالي)، (رواية الرومانسية)، (رواية التربية) ورواية تقترب من الملحمة المجددة: ".

⁶⁷⁵ ينظر جمال شحيد: في البنوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، (د.ط)، بيروت لبنان

1982، ص71.

⁶⁷⁶ جورج لوكاتش: الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)،

ص13.

التي تتجلى في أعمال: (دوستوي فيسكي) و (تولوستوي) يظهر فيها البطل ذاته الإنسانية تطمح إلى تحقيق أغراضها وأهدافها في المجتمع.⁶⁷⁷ "

وشكل مفهومه لمصطلح "الشخصية" أهمية كبيرة في دراسته للإبداع الروائي من خلال البحث عن علاقة البطل بواقعه الذي يبدو ثائرا عليه ورافضا له مجسدا في جملة من مشاهد الصراعات ضده بغية بلوغ هدفه المنشود وتحقيق عالمه المثالي بحيث يقحمه ذلك في أزمة نفسية وصراع داخلي يفقده الإحساس بوجوده في الحياة فيدفعه هذا الشعور السلبي في الحياة بالبحث عن حقيق المثل العليا⁶⁷⁸. ليمتد بعد ذلك التيار البنيوي إلى باقي دول أوروبا مع بدايات الستينيات من القرن العشرين وتأثرت الماركسية كغيرها من المدارس النقدية بالأفكار البنيوية فإذا كانت البنيوية: "تعتبر السلوكات والكلام اليومي (الفردية) ليس له معنى بمعزل عن أنساق الدلالة التي تولدها فإن الماركسية ترى أنه هناك بنية فوقية تمثل الدين السياسة والثقافة والقانون) و البنية التحتية تمثل القوى الاقتصادية والاجتماعية والتباينات الطبقة واعتبرت النص تعبير عن الواقع"⁶⁷⁹.

فقد ركزت الماركسية على الجانب التاريخي والاجتماعي للدوال وتراهما يضيفان قيمة فنية على دلالاتها وكان لها رأيا في الفرد الذي اعتبرته هو الذي يكون اللغة وليس هي التي تحدد وعيه.⁶⁸⁰

تمثل الواقعية أحد أهم المفاهيم التي تضمنتها نظريته النقدية للرواية مخصصا لها دراسات وأبحاث مستندا فيها على جملة من الأفكار والآراء للفلاسفة والمفكرين أمثال: (أنجلز)، (لينين) و(كارل ماركس) حيث أسس مفهومها يخص "الواقعية الاشتراكية"⁶⁸¹ متجاوزا في تعريفه النظرة "الهيكلية" مثلا أن لا تكون الشخصية مرآة عاكسة للواقع فاسحا بذلك المجال للعمل الأدبي لبلوغه: "القدرة الإبداعية على الإمساك بالكلية الاجتماعية بغية الخوض في ما هو كامن خلف الظواهر الحسية وما يمثله من حقيقة جوهرية.⁶⁸² " والأدب ف ينظره ليس انعكاسا للواقع بل هو عملية إبداع تحقق شرط التعبير عن إحساس الذات وتوترها في الواقع الاجتماعي⁶⁸³. ودعا (لوكاتش) إلى الجمع بين الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية بقوله: " لا بد أن يتيح المنظور الاشتراكي للكاتب إذا فهم وجهه الصحيح وطبق تطبيقا

⁶⁷⁷ ينظر ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1987، ص11.

⁶⁷⁸ المرجع السابق، ص15.

⁶⁷⁹ محمد بن عبد الله بن صالح بلعضير: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد)، مجلة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، العدد15، المجلد16، سبتمبر 2017، ص238.

⁶⁸⁰ ينظر المرجع السابق، ص 238.

⁶⁸¹ ينظر صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ط2، دار المعارف، القاهرة 1980، ص86.

⁶⁸² عبد الوهاب شعلان: إشكالية الكتابة الأدبية في الجزائر من منظور سوسيولوجي، قراءة في مقارنة في مقارنة نقدية عند عمار بلحسن، مجلة التبيين الجزائر، ع33، نوفمبر 2009، ص41.

⁶⁸³ رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار المعارف، ط1، القاهرة (د.ت)، ص57.

صحيحاً، أن يتصور الحياة تصويراً أكثر شمولاً من أي منظور سابق دون أن يستبعد منظور الواقعية النقدية⁶⁸⁴.

يرى (لوكاتش أن الواقعية الاشتراكية والواقعية الاجتماعية تمثلان عنصران مهمان في التعبير عن المجتمع وتمثيل الأدب الحديث⁶⁸⁵. فالواقعية في نظره: "تقوم على مبدئين أساسيين: "مبدأ الصدق الفني" و"مبدأ التصوير" والكاتب المتميز هو القادر على إدراك الاتجاهات والظواهر وتصويرها بصدق في إطار تطورها التاريخي⁶⁸⁶". ويستدل على ذلك بواقعية الروائي (بلزاك) الذي لم يهتم فقط بوصف واقع المجتمع فحسب بل كان من الذين عارضوا وانتقدوا الرأسمالية وكان هدفهم بناء نموذجاً جديداً للمجتمع والذات⁶⁸⁷". ويمكن القول أن جهود (لوكاتش) في سوسيولوجيا النص تأرجحت بين فلسفة (هيجل) المثالية وأفكار (كارل ماركس) الاشتراكية، مثلت هذه الرؤيا إحدى المقاربات السوسيولوجية للنص الأدبي الحديث.

أما عن تطبيقات المنهج في العالم العربي فقد ظهرت إرهابات البنيوية مع أواخر الستينات من القرن العشرين: "عندما حاول الناقد محمود أمين العالم سنة 1966 عندما أطلق عليها تسمية "الهيكليّة": ولم تظهر بشكل واضح إلا في أواخر السبعينات عندما قدم مجموعة من النقاد العرب من المشرق والمغرب العربي دراسات متنوعة في الحقل البنيوي⁶⁸⁸ فقام الناقد (جابر عصفور) بترجمة كتاب "عصر البنيوية" لـ (إدنت كريزويل) وأصدر (زكريا إبراهيم) كتابه: "مشكلة البنية" تضمن تعريفاً للبنية وأهمية المنهج البنيوي في الدراسات النصية وعلاقة البنية بالماركسية. وكان (لصلاح فضل) كتبه المميز المعنون بـ: نظرية البنائية في النقد المعاصر" ودراسة أخرى بعنوان: "مناهج النقد المعاصر". وقام الناقد (محمد عصفور) بإصدار كتاب: "البنيوية وما بعدها" و"البنية الاسطورية في صراخ في ليل طويل" أما (كمال أبو ديب) فأصدر كتاب: "جدلية الخفاء والتجلي" و"البنى في الشعر الجاهلي" و"البنية الإيقاعية للشعر العربي"⁶⁸⁹ كما قام الناقد السوري (ميخائيل مخول) بترجمة كتاب "البنيوية" لـ: (جان ماري أوزياس) سنة 1972 حيث كانت دراسة وافية عن المنهج البنيوي وعلاقاته بعلم اللغة والسيمائية وعلم الدلالة معرفاً برواد البنيوية كل بحسب اختصاصه ففي مجال الأنثروبولوجيا (كلود ليفي شتراوس)، وفي علم

684 جورج لوكاتش: معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة: جورج طرايبيشي، دار المعارف (د.ط) مصر 1975، ص129.

685 المرجع السابق، ص144.

686 المرجع نفسه، ص70.

687 ينظر جورج لوكاتش: بلزاك والواقعية الفرنسية، ترجمة: محمد علي اليوسفي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، ط1، 1985، ص16.

688 ينظر محمد بن عبد الله بن صالح بلعضير: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد15، المجلد16، سبتمبر2017، ص253.

689 ينظر محمد بن عبد الله بن صالح بلعضير: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد)، مرجع سابق، ص253.

النفس البنيوي (جاك لاكان) وفي النقد البنيوي (جيرار جنيت) وغيرهم من النقاد الذين أثروا وطوروا المنهج بجهودهم ودراساتهم المميزة.⁶⁹⁰ ويمكن لنا ذكر بعض الدراسات العربية التي تمثلت المنهج البنيوي التكويني مثل: دراسة (سعيد علوش) المعنونة بـ: "الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي"⁶⁹¹ واقتصرت دراسة الناقد (حميد لحميداني) على الرواية المغربية في كتاب عنوانه بـ: "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي"⁶⁹². وعكف إدريس بلملح على النثر العربي القديم من خلال كتابه: "الرؤية البيانية عند الجاحظ"⁶⁹³

استنتاج:

للمنهج البنيوي التكويني كغيره من المناهج النقدية الأخرى إيجابياته وسلبياته فمن بين إيجابياته: الجمع بين القراءة الداخلية والخارجية لبنية النص تشمل الفهم والتفسير وتكشف بنياته بمعزل عن التحليل النفسي ، فهو منهج مركب من التأويل الداخلي للغة والتفسير الخارجي للمجتمع وتطوره.

أما سلبياته فتكمن في تغليب البعد الاجتماعي على النص وإهمال الجانب النفسي والتغاضي عن الجمالية والفنية التي يمكن أن يتيحها النص ويحس بها الناقد والقارئ. لا يعدو أن يكون المنهج البنيوي التكويني سوى دراسة سوسولوجية للنص الأدبي عزلته عن صاحبه مقصية الجانب اللاشعوري للمبدع الذي نحسبه عاملا مهما في عملية الإبداع وإنتاج النص.

المصادر والمراجع

زكريا ابراهيم: مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، (د.ط)، القاهرة (د.ت)،
يوسف وغليسي: البنية والبنيوية، بحث في البنية اللغوية والاصلاح النقدي، (د.ط)، جامعة قسنطينة الجزائر (د.ت)،
أوزياس جان ماريو آخرون: البنيوية ترجمة: ميخائيل مخول، وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا، 1972.

سعيد علوش: الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة، ط1، بيروت لبنان 1981.

حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة ، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1985.

إدريس بلملح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة ، ط1، المغرب، 1984.
صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ط2 ، دار المعارف، القاهرة 1980.

⁶⁹⁰ ينظر أوزياس جان ماريو آخرون: البنيوية ترجمة: ميخائيل مخول، وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا، 1972.

⁶⁹¹ سعيد علوش: الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة، ط1، بيروت لبنان 1981،

⁶⁹² حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة ، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1985.

⁶⁹³ إدريس بلملح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة ، ط1، المغرب، 1984.

عبد الوهاب شعلائن: اشكالية الكتابة الأدبية في الجزائر من منظور سوسولوجي، قراءة في مقارنة في مقارنة نقدية عند عمار بلحسن، مجلة التبيين الجزائر، ع33، نوفمبر 2009، 1 .
رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار المعارف، ط1، القاهرة (د.ب)،
جورج لوكاتش : معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار المعارف (د.ب) مصر 1975،
جمال شحيد: في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، (د.ب)، بيروت لبنان 1982،
جورج لوكاتش: الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ب)، (د.ب).
مخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1987.

المنهج السيميائي

المحاضرة الخامسة

أ.خالدي سمير

1 السيميائية لغة:

يكاد يجمع جل المفكرين والباحثين أن كلمة "سيمياء": أصلها يوناني sémeion ومعناها الأثر ، القرينة ، العلامة أو الدليل⁶⁹⁴ وتأخذ مفهوم الخطاب والعلم⁶⁹⁵.

تتركب الكلمة من (السيمو) و (طيقا) السيميولوجيا ويقصد بها: "علم يدرس العلامة اللغوية وغير اللغوية وقد وظف كل من دوسوسير (1857-1913) وبيرس (1839-1914) المصطلح حيث اعترف دوسوسير بأن اللغة هي نسق من العلامات يعبر عن أفكار ومنه فهي مشابهة للكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية⁶⁹⁶".

السيميائية اصطلاحا:

لا بد من الإشارة أولا إلى أن مصطلح السيميائية قد ورد في التراث العربي القديم حيث اقترنت تسميته بالعالم الكيميائي (جابر بن حيان 200هـ - 815م) حينما كان يبحث في التفاعل بين المعادن وتحولها إلى معادن ثمينة وسمى هذه العملية بـ: (علم السيمياء) كما اقترن أيضا المصطلح بمجال السحر حيث ورد في قول القنوجي صديق في كتابه " أبجد

⁶⁹⁴ ينظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2007، ص 93.

² ينظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، لبنان 2016، ص 11 و12.

⁶⁹⁶ ينظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 93.

العلوم " : "أن السيمياء هي اسم لما هو غير حقيقي من السحر و سيمياء لفظ عبراني معرب أصله (سيم به) ⁶⁹⁷."

وقد ورد معناها في المعاجم العربية: "أن لفظ (السومة والسيمياء) معناه العلامة ووسم الفرس أي جعل لها علامة وقولنا والخيول المسومة: التي عليها السومة أي العلامة وجاء في تعريف ابن الأعرابي: "السيم العلامات على صوف الغنم" وجاء في قوله جل وعلى: "من الملائكة مسومين" ⁶⁹⁸. وعرفها الجرجاني عبد القاهر: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به شيء آخر" ⁶⁹⁹. ومعناها في رأيه بالدلالة، بينما الجاحظ يرى أن العلامة لها علاقة باللغة لها دورها في إيضاح وتبيان الدلالة ⁷⁰⁰. ويرى (ابن سينا) أن العلامة هي شيء محسوس تحليل إلى شيء غائب مجرد: "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترسم فيها صور الأمور الخارجية فترسم ارتساما ثابتا وإن غاب عن الحس" ⁷⁰¹. ونجد أن العلامة قد ارتبطت بكل مجالات الحياة والعلوم من الطب والكيمياء وحتى ميدان السحر والتنجيم والشعوذة قد اثار اعجاب العرب القدماء فكان للعلامة دور في تفسير المجالات المختلفة من حياة الإنسان ⁷⁰².

مفهوم المصطلح عند الغرب:

يفضل اللسانيات تحولت السيميائية من الاستعمالات الطبية والعلوم التقنية إلى حقل الدراسات اللغوية ويعود هذا التوظيف الجديد للمصطلح إلى العالم اللساني السويسري (فارديناند دي سوسير) الذي يعرفها بقوله: " نستطيع أن نتصور علما يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في أوساط المجتمع وهذا العلم يدرس جزء من علم النفس المجتمعي ومن ثم يدرس علم النفس العام ويطلق عليه مصطلح علم الدلالة sémiologie... وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تضبط تلك الدلالات وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره" ⁷⁰³. وانتشرت أفكاره إلى أوروبا وأمريكا وبلدان العالم العربي ومنه تعد السيميائية علم جديد لازالت في تشكيلاته الأولى وبدأت معالمه في الظهور مع بدايات القرن العشرين وأصبحت علما مزدوج الجنسيات أوروبية وأمريكية على حد تعبير مارسيلو داسكال ⁷⁰⁴.

وأشار (شارل ساندرس بيرس) إلى مصطلح السيميوطيقا sémiotique الذي يهتم بدراسة العلامة التي ينتجها الإنسان في وسطه الاجتماعي ومختلف أنساقها وأشكالها الدالة ⁷⁰⁵ وعرفها (ديكرو): "هي دراسة للعلامات والسيرورات التأويلية" ⁷⁰⁶.

⁶⁹⁷ ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2008، مادة سوم، ص 392 .

⁶⁹⁸ ينظر حمادو عائشة : السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكالية التلقي، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ص8.

عبد القاهر الجرجاني: التعريفات، تحقيق محمد باسل عيون السود، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013، ص116. ⁶⁹⁹

أنظر: قدور عبد الله ثان، سيميائية الصورة، (د.ط)، دار الغرب، للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005، ص 57. ⁷⁰⁰

ابن سينا: العبارة من كتاب الشفاء، تحقيق: محمود الخضيرى، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م، ص4. ⁷⁰¹

رشيد بن مالك: السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية نوار اللوز نموذجاً، أطروحة دكتوراه دولة إشراف وسيني لعرج، وعبد الله بن حلي،

جامعة تلمسان 1994م-1995م، ص38. ⁷⁰²

⁷⁰³ فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر القيتي، إفريقيا الشرق، (د.ط)، المغرب 2008، ص31 .

أنظر: مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة: حميد الحميداني وآخرون، (د.ط)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،

1987، ⁷⁰⁴

ص 14.

⁷⁰⁵ ينظر عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي وآخرون : معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، الدار

البيضاء، المغرب ص 73.

ويعتمد (بيير جيرو) في تعريفه على أفكار دي سوسير بقوله: " هي علم يعنى بدراسة أنظمة العلامات.⁷⁰⁷ "

وهي في نظر ميشال فوكو: " تتخذ مظهر المعارف والتقنيات التي تتيح للدارس الكشف عن العلامات والقوانين التي تنظمها⁷⁰⁸. " ويعتبرها شارل موريس بأنها علم الإشارات⁷⁰⁹.

ويعرفها كل من : (غريماس) و(كوكيه) و(تودوروف) و(بيير جيرو) بـ: " نظرية عامة لأنظمة الدلالة⁷¹⁰ ويتفقوا على أنها " تهتم بدراسة نظام العلامة⁷¹¹. " والهدف الذي تتوخاه السيميائية هو الإمساك بالمعنى أو الدلالة⁷¹².

وانفرد (رولان بارت) برأي يناقض سابقه حول المفهوم بتوسيع نطاق ومجال السيميولوجيا متجاوزا لكل الأفكار بدراسته لأدب الأسطورة والخرافة والتطرق إلى عالم الأزياء والمودة والألوان وأنواع الأطعمة وكل أشكال الخطابات التي تنتج علامات وتحمل دلالات⁷¹³.

ويعتبرها (جورج مونان) أيضا أنها تهتم بدراسة كل أشكال العلامة التي تتميز بخاصية التواصل تعكس الحياة الاجتماعية والثقافية⁷¹⁴

عرف المصطلح تذبذبا في الترجمة والتعريب كالتى وضعها (خليل أحمد) و(أوديت بيتيت) لكتاب « les enjeux de la sémiotique » بـ: "مراهنات دراسات الدلالات اللغوية " الذي ظهرت ترجمته سنة 1980 و"معجم المصطلحات الأدبية " لسعيد علوش⁷¹⁵...ونكتفي بعرض بعض العينات من ترجمة المصطلح مثل : "السيميائية"، "السيميوتيكية"، "التحليل السيمي"⁷¹⁶ .

ويتجلى لنا من خلال ما سبق أن هناك إشكالية في التوصل إلى توحيد تعريف كامل وشامل للمصطلح حيث بقيت التعاريف كلها تعبر عن اختلاف في الفهم والطرح. وعرفت السيميائية جملة من المصطلحات نذكر أهمها:

⁷⁰⁶ O.Ducrot .J.M SCHENEFER : Nouveau dictionnaire encyclopédique des seances de langage seuil paris, 1972. P113.

بيير جيرو: السيمياء ، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1984 ص95.⁷⁰⁷

⁷⁰⁸ منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ن المغرب، 2004، ص15.

جوزيف كورتيس: سيميائية اللغة، ترجمة جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، الجزائر 2010، ص 44.⁷⁰⁹

جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار طوبقال، ط2، الدار البيضاء، المغرب، لبنان، 1997، ص 83.⁷¹⁰
⁷¹¹ ينظر جميل حمداوي: مدخل إلى مناهج النقد، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3 الكويت مارس 1997، ص79.

امبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان (د.ط)، 2000، ص 49.⁷¹²
⁷¹³ ينظر: أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص52.

⁷¹⁴ المرجع السابق، ص52.

رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن 2002، ص 28-29.⁷¹⁵
المرجع السابق ص نفسها.⁷¹⁶

العلامة:

تعتبر العلامة أحد المصطلحات القديمة التي ترتبط بقدّم الإنسان وحياته اليومية وبالفلسفة والمنطق الضاربة جذورها في تاريخ الفكر اليوناني مع الفيلسوف أرسطو والفلاسفة الرواقيين ومنهم أفلاطون الذي اعتبر: "طابع العلامة اللغوية المحاكاة".⁷¹⁷ أما أرسطو فيرى: "أنها تتشكل من ثلاثة عناصر: (الكلام، الدال) (الأفكار، المدلول) (الأشياء، المرجع)".⁷¹⁸ يبدو أن دي سوسير قد ورث فكرة أفلاطون التي تتمثل في أن العلامة تتكون من الدال والمدلول والمرجع وأن العلاقة بينهما اعتباطية فهي: "وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً يتطلب أحدهما الآخر".⁷¹⁹

ويرى (إمبرتو إيكو) أن: "أصل الكلمة إغريقي (sugnim) معناها الإشارة والدليل العلامة وتتعلق بشيء حاضر يعلن عن شيء غائب مثل ما يظهر على وجه المريض من آثار وعلامات تدل على مرضه".⁷²⁰ وهي في مفهوم (شارل ساندرس بيرس) تتكون من ثلاثة عناصر (الصورة السمعية المفسرة) و(الصورة الذهنية) و(القصدية)⁷²¹ أي الدال والمدلول والقصدية.

التناص:

يشكل مصطلح التناص من المصطلحات السيميائية تداولاً واسعاً في الدراسات النقدية المعاصرة وعرف تميزاً على يد جملة من النقاد والدارسين أمثال: (جوليا كريستيفا) (رولان بارت) (ميشال ريفاتير)، (ميشال فوكو)، (جيرار جنيت)، (ميخائيل باختين) وهو مشتق من: "مصطلح النص ⁷²²TEXTE وهو: "مفهوم يدل على وجود أصلي في مجال الأدب أو النقد أو العلم، على علاقة بنصوص...مارست تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على النص الأصلي عبر الزمن"⁷²³ وكانت للشكلانية ميزة خاصة في تعاملها مع النص من زاوية أنه شكل أو بنية مغلقة على ذاتها ومستقلة عن كل المؤثرات الخارجية، تحكم عناصره جملة من العلائق الداخلية محققة شيء من الجمالية⁷²⁴. واعتبر كل من (جاكسون) و(تينيانوف): "النص عبارة عن المواد المستعملة ووظيفتها في النص وليدة آداب أجنبية أو حقب زمنية سابقة".⁷²⁵ ويمثل هذا في مضمونه أرهاصاً أولياً لمصطلح التناص⁷²⁶. واتسم توظيف المصطلح باختلاف وتباين في المفهوم حيث استخدم باختين وعمل باختين في كتابه "الماركسية وفلسفة اللغة": "على تحديد مفاهيم البوييتيقا السوسولوجيا منتقدا اتجاهين اثنين في

⁷¹⁷ فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام ترجمة: يويل يوسف، عزيز مالك يوسف المطلبي، دار الأفاق للصحافة والنشر، ط3، بغداد، 1985، ص77.

محمد إقبال بحروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، مجلد 24، (د.ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3 مارس 1997، ص38.⁷¹⁸

⁷¹⁹ المرجع السابق ص 38.

⁷²⁰ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي (د.ط)، المغرب، 2007، ص36.

⁷²¹ ينظر سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد: مدخل إلى السيميوطيقا، ص26 ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار الناس المصرية، (د.ط)، القاهرة، مصر، 1987، ص351.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص142.⁷²²

المرجع السابق، ص142.⁷²³

المرجع نفسه ص142.⁷²⁴

المرجع السابق، ص143.⁷²⁵

نفسه ص143.⁷²⁶

الدراسة اللغوية وهما الذاتية المثالية والموضوعية التجريبية⁷²⁷. "وقد وظف (باختين) مصطلح "الإيديولوجيم" الذي يعرفه (فكتور أرنيخ): "يتمظهر على شكل كلمات، طرق اللباس، العلاقات التنظيمية بين البشر، إن كل إيديولوجيم هو جزء من الواقع المادي الاجتماعي⁷²⁸". فالإيديولوجيم هو علامات وأفكار وأفاظ ورثها الفرد من مجتمعه وصاغها على شكل كلمات في نصه. ومن أجل ذلك وظف باختين الأيديولوجيم في النص بغية اكتشاف معنى اللفظ في النص⁷²⁹. ووظف (باختين): "مصطلح الحوارية dialogisme الذي يبحث في كيفية تتداخل النصوص والتعبير وتتشابه في النص الواحد، معتبرا أن اللفظ هو الحامل لمختلف الإيديولوجيات محققا بذلك عملية التواصل والحوارية بين النصوص التي تتم من خلال ما يعرف بالتفاعل اللفظي وما يجمع بي القارئ والكاتب⁷³⁰". حيث يمثل التفاعل اللفظي جوهر الحوارية⁷³¹. أما (جيرار جنيت) فيمثل لديه مصطلح "التعالوي النصي" الذي يدل على الوقوف على تكشف العلاقات الخفية والواضحة لنص معين مقابل نصوص أخرى⁷³². بينما رولان بارت يعتبر كل نص هو تناص لنصوص أخرى، فالنص الحاضر يعلن عن الغائب⁷³³. فسبب وجود أي نص يعود إلى نصوص قديمة. ويعتبر (ميشال ريفاتير) أنه يكمن في العلاقة بين النص المقروء والنصوص السابقة له التي تستحضرها وتعيها ذاكرة المؤلف والقارئ⁷³⁴. وقامت (جوليا كريستيفا) مع أوائل السبعينات متأثرة بمفاهيم (باختين) والماركسية وعلم النفس⁷³⁵ في التناص معرفة: "الإيديولوجيم بالوظيفة للتداخل النصي التي يمكننا قراءتها ماديا على مختلف مستويات بناء كل نص تمتد على طول مساره مانحة إياه معطياته التاريخية والاجتماعية... وإدراك النص كإيديولوجيم يحدد منهجية السيميائيات التي هي تدرس النص كتداخل نصي ففكره في نص المجتمع والتاريخ⁷³⁶". وقدمت مفهوما للتناص بقولها: "إن كل نص يتشكل كفسيفساء من الاستشهادات وكل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى⁷³⁷". ومنه تكون (جوليا كريستيفا) قد استحدثت اتجاهها جديدا يتمثل في السيميائية التحليلية sémanalyse تختص بقراءة النصوص من خلال آلية التناص. وهونفس الاتجاه الذي تبناه (جيرار جنيت) للوصول إلى شعرية النص عبر عنصر التداخل النصي وعلاقة النصوص ببعضها البعض⁷³⁸. بينما تركز اهتمام الناقد (بيير زيم) من خلال دراسته للنص الأدبي من وجهة اجتماعية⁷³⁹.

التشاكل والتباين:

أنظر المرجع السابق، ص144.727

المرجع السابق ص144.728

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص144.729

المرجع السابق، ص145.730

أنظر أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، (د.ط)، الدار البيضاء المغرب(د.ت)، ص52.731

محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة، عبد القاهر الجرجاني، الشركة العربية العالمية، ط1، عمان الأردن 1995، ص152.732

733 ينظر عمر أوكان: لذة النص مغامرة الكتابة لدى بارت، دار إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء المغرب، 1991، ص30.

734 ينظر مفيد نجم: التناص الأسطوري في شعر محمد إبراهيم بوسنة، دار النشر المصرية، ط1، القاهرة مصر 2003، ص10.

أنظر أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، ص146.735

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص146.736

المرجع السابق، ص146.737

738 ينظر عصام حفظ الله واصل: التناص، التراث في الشعر العربي المعاصر، أحمد العواضي نموذجاً، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1

2011، ص21.

739 ينظر المرجع السابق ص21.

إن من بين وظائف السيميائية البحث عن العلائق والقوانين التي تنظم وتحكم العلامات اللغوية وما تنتجه من دلالات تنسم بالتعدد والتنوع التي لا حدود لها وتوظف في سبيل ذلك جملة من الآليات والمصطلحات من بينها: "التشاكل لما يمتلكه من قدرة على تجميع الرموز المبنوثة على امتداد نسوج النص المتوارية وإعادة تفكيكها.⁷⁴⁰" يتفرع التشاكل من الجذر اللغوي اليوناني Isos معناه تساوي أو مساوي و Topos المكان والمعنى المركب: المكان المساوي⁷⁴¹. "ورد في قاموس المحيط أن المشكلة هي: "التواتر والتكرار والموافقة والتشابه⁷⁴². ويؤول المصطلح إلى حقل العلوم التجريبية مثل الفيزياء والكيمياء، ويدل معناه على اشتراك العناصر الكيميائية في جملة من الخصائص ويتضمن معنى التساوي والتشابه في المكان. وأول من وظف المصطلح هو (جوليان غريماس) من مجال الفيزياء إلى حقل اللسانيات⁷⁴³. فلامس غريماس في دراساته السردية للتشاكل جوهر المضمون ليقوم بعده (راستي) بتعميمه فأصبح يشمل التعبير والمضمون⁷⁴⁴ فغدا: "التشاكل يبحث في تنوع مكونات الخطاب التي تشمل الصوت والنبير والإيقاع ومنطق السياق والتشاكل المعنوي⁷⁴⁵."

استعان (جوليان غريماس) بالمصطلح ووظفه في دراساته السيميائية للنصوص الأدبية والوقوف على التشابه بينها⁷⁴⁶ كما اهتم أيضا بالهدف نفسه في مضمون الحكاية الشعبية مهملا جانبها الشكلي.⁷⁴⁷ وإذا كان غريماس قد قصر التشاكل في المضمون فقط فإن (راستي) يراه في الشكل والمضمون معا يتنوع ويختلف ويتعدد بحسب الخطابات⁷⁴⁸ وعرف المصطلح عدة تسميات مثل: (التناظر، محور التوتر، التناظر الدلالي...)⁷⁴⁹. وللتشاكل أنواع تشاكل التعبير (يتمثل في التركيب والنحو الذي يشكل صورة لها وظيفية جمالية شعرية إبلاغية⁷⁵⁰) وتشاكل المعنى (وهو المشترك الدلالي والذي يعرفه محمد مفتاح بـ "تشاكل الرسالة" ودلالاته مبنية على التواصل والتفاعل بملفوظات النص المتمثلة في البلاغة وعناصرها⁷⁵¹). وتشاكل الإيقاع وهو في رأي (خيرة حمر العين): "(ينقسم بدوره إلى ثلاثة أنواع تشاكل الصوت وهو القيمة التعبيرية للصوت وتشاكل الكلمة ويقصد به التقارب والتباعد والتكرار، أما الثالث فهو اللعب بالكلمة مثل الاشتقاق الابدال والقلب⁷⁵²..."

الخطاب:

يعرف الخطاب بأنه: "حادثة خاصة، تعبير شكلي منسق عن الأفكار بالكلام أو الكتابة،

خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 235. ⁷⁴⁰

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 235. ⁷⁴¹

⁷⁴² الفيروز آبادي: القاموس المحيط: تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، ج 3، بيروت، لبنان ص 550.

أنظر محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ⁷⁴³ 1992 ص 19.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 237. ⁷⁴⁴

محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، مرجع سابق، ص 19-20. ⁷⁴⁵

⁷⁴⁶ ينظر محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب 1992، ص 21.

⁷⁴⁷ ينظر محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، بيروت، لبنان 1994، ص 159.

⁷⁴⁸ ينظر المرجع السابق، ص 19.

⁷⁴⁹ ينظر المرجع السابق، ص 20.

أنظر خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، ص 174. ⁷⁵⁰

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 240. ⁷⁵¹

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 240-241. ⁷⁵²

أو في شكل خطبة دينية أو رسالة بحث...قطعة أو وحدة من الكلام⁷⁵³. " وورد معناه في اللغة الانجليزية والفرنسية بمعنى: "المحادثة أو القطعة من الكلام"⁷⁵⁴. وكان ذلك في الستينات من القرن الماضي ليأخذ بعد ذلك المصطلح في التطور المعنى وبظهور لسانيات دي سوسير والحلقات اللغوية والمدارس اللسانية الحديثة والمعاصرة: "معالم لمقاربة الخطاب وتحليله مركزة على بنيات اللغة المحكية والموظفة في التعبير، ويتخذ مجال التحليل النصي⁷⁵⁵ "text analysis" تتخذ من الجملة المكتوبة موضوعا لها والتي اختلفت فيما بينها في إشكالية تعريف الخطاب تعريفا دقيقا فهو يمثل: (جملة قصيرة، فقرة ، نص....) واعتمادهم على أصغر وحدة صوتية وكيف تتجلى البنية الصوتية بشكلها وتوزيعها وتداولها ووظيفتها في توليد الجمل والأفكار والمعاني فاستثمرت السيميائية هذه الأفكار والمفاهيم ووظفته كآلية في تحليلها ودراستها للخطاب متعاملة معه باعتباره كما من المتتاليات من الجمل. متجاوزة مفهوم الفلسفة اليونانية للمصطلح والذي يعني "اللوغوس" LOGOS المراد به "التفكير المنهجي العقلي"⁷⁵⁶. فإذا كانت اللسانيات ركزت على الجملة وأصبح الخطاب مرادفا للكلام في نظر (دوسوسير). ويعتبر (زليغ هاريس) من بين اللسانيين السابقين لتوسيع حقل الدراسات اللسانية محاولا تخطي حدود الجملة في دراسته للخطاب عبر اهتمامه بالعلاقات التي يحكمها نظام وقانون صارم للجملة⁷⁵⁷. أما (بنفيسست) فقد تعامل مع الخطاب كونه ملفوظ مركزا على الوظيفة التواصلية للغة معتمدا على مصطلح "التلفظ" بوصفه منتجا ومكونا لأي نص كان، فاعتبر التلفظ موضوعا جوهريا في دراسته⁷⁵⁸. ويعرف (ميشال فوكو) الخطاب: "ممارسات تصيغ الأشياء التي تتحدث عنها بطريقة منظمة"⁷⁵⁹. وعمد على تحليل الخطاب باعتباره: " شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة الكيفية والمخاطر في الوقت نفسه"⁷⁶⁰. " وعليه فإن (ميشال فوكو) ينظر إلى الخطاب بأنه رسالة ثقافية محملة بجملة من القيم التي تكون عالم الانسن الثقافي"⁷⁶¹. واهتم (رولان بارت) بالخطاب بالبحث في البنيات السردية وتوصل إلى أن الخطاب: "يكمن في الجملة لأن هذه الأخيرة هي القسم الأصغر الذي تمثل بجدارة كمال الخطاب"⁷⁶². " وخلص في النهاية أن الخطاب: " جملة كبيرة، ومنها يصير السرد جملة كبيرة"⁷⁶³ و احتوت السيميائية

فيصل الأحمر: معجم اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص 158. ⁷⁵³
المرجع السابق، ص 158. ⁷⁵⁴

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 159. ⁷⁵⁵

أنظر: عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص (المفهوم، العلاقة، السلطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2008، ص 89

أنظر سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبنير)، ط1، ص 17 وعبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، (المفهوم، العلاقة، السلطة)، ص 91. ⁷⁵⁷

أنظر إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية رواية جهاد المحيين لجرجي زيدان نموذجا، ط1، دار الأفاق، الجزائر 1999⁷⁵⁸ ص 10.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 161. ⁷⁵⁹

مولاي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي (الاشكالية والأصول والامتداد)، (د.ط)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص 25⁷⁶⁰

أنظر: إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي ، مرجع سابق، ص 105. ⁷⁶¹

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 161. ⁷⁶²

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 161. ⁷⁶³

الخطاب بوصفه علامة فمالت نحو الخطاب الشعري والنثري مركزة على بنياتها وسياقاتها ووظيفتها التواصلية⁷⁶⁴ واهتمت السيميائية بكل ما هو لساني وغير لساني، ويعد الخطاب الأشعاري من بين المواضيع التي شكلت موضوعا للدراسة السيميائية بوصفه أداة فنية غايتها ووظيفتها التواصل والإبلاغ والإقناع ارتبطت بحياة الإنسان الاجتماعية والثقافية منذ زمن بعيد. ويعتمد الخطاب الأشعاري على الصورة أداة للتبليغ والإفهام والتأثير على المتلقي⁷⁶⁵. ومن ثمة فإن اهتمام السيميائيات بالخطاب الأشعاري مرده أنه يتوفره على مواصفات والصفات والمميزات تتمثل في الصوت والصورة والموسيقى والحركة واللون والرمز...كلها علامات لها دلالاتها وتأثيراتها على المتلقي⁷⁶⁶.

المربع السيميائي:

يمثل (غريماس) أحد السيميائيين الذين اهتموا بشكل النص وبنيته الداخلية والوقوف على دلالاتها معتبرا أن أي دراسة للنص تقوم على مستويين سطحي وعميق⁷⁶⁷ ويرى أن: "يقوم على أساس اختلاف، وبالتالي تحديده لا يتم إلا لابلماقبلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة⁷⁶⁸". وعمد على شرح فكرته هذه من خلال المربع السيميائي. استنبطه من مربع أرسطو الذي يتأسس على أربع علاقات (التناقض، التضاد، التكامل والتماثل)⁷⁶⁹ الذي اختاره بوصفه حقلا معرفيا يبحث في دلالة النص وعلاقتها بالخطاب وكيف يتوالد المعنى بداخله وكلما تطورت الأحداث كلما تحولت دلالة المعاني ومنه يشكل المربع السيميائي آلية اجرائية تبحث في عمق البنية⁷⁷⁰. أو هو كما يعرفه (غريماس): "التمفصل المنطقي لأية مقولة دلالية⁷⁷¹". ويعمل المربع السيميائي على كشف العلاقات وتمثلها المتموقعة بداخل الوحدات اللغوية، قصد انتاج الدلالات التي يقدمها النص للمتلقي⁷⁷². بحيث تتجلى الدلالات والمعاني بناء على جملة من العلاقات التدرجية الشمولية والتناقض والتضاد.

خصائص المنهج السيميائي:

ورثت السيميائية عنصر التأمل من الفلسفة اليونانية مع أفلاطون وأرسطو والفلاسفة العرب القدامى حيث كان الإنسان يتأمل في الظواهر الطبيعية انطلاقا من وازع الشك وحب المعرفة والفضول في كشف أسرار الكون والعلامات المميزة لجملة من الظواهر التي ولدت بداخله الخوف والهواجس فراح يبحث عن فك شفرة ما هو أمامه ومعرفة أسبابها ومسبباتها.

تستمد أفكارها المتعلقة بالرمز من الفلاسفة الوضعيين الذين اعتبروا اللغة رمزا واسموا العلم الذي يدرس الرمز بـ: "السيميوطيقا" حيث كان أول من استخدم المصطلح الفيلسوف

⁷⁶⁴ ينظر فيصل الأحمر: الدليل السيميولوجي، دار الألمعية، ط1، الجزائر 2011، ص77.

⁷⁶⁵ ينظر بشير إيرير: الخطاب الغير الأدبي: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 2010، ص67.

⁷⁶⁶ ينظر المرجع السابق، ص 67.

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص229. ⁷⁶⁷

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص229. ⁷⁶⁸

أنظر المرجع السابق، ص 210. ⁷⁶⁹

أنظر: رايح يومعزة: مظاهر اسهام مدرستي باريس والشكلانيين الروسي تطوير السيميائيات السردية، مجلة النص والناص، العدد7، ص101. ⁷⁷⁰

رشيد بن مالك: قاموس التحليل السيميائي للنصوص (عربي-انجليزي)، (د.ط)، دار الحكمة، 2000، ص23. ⁷⁷¹

أنظر رشيد بن مالك: المرجع السابق، ص23. ⁷⁷²

الانجليزي "جون لوك"⁷⁷³ نجده قد نظر للفلسفة والأخلاق معتمدا على منهج لفهم دلائل العقل التي يستخدمها للكشف عن الأشياء وكيفية نقل المعرفة إلى المتلقي⁷⁷⁴ كما أقر بعنصر التأمل الذي يعده ضروريا لعملية البحث وبلوغ قصد إفهام المتعلم⁷⁷⁵.

يعتمد المنهج السيميائي على خاصية "المحايدة" Immanente في دراستها للنص وذلك بعزله عن كل المؤثرات الخارجية والشروع في الكشف عن العلاقات التي تربط بين عناصر البنيات المتمثلة في التماثل والتضاد والتشاكل الموجودة في العمل الأدبي⁷⁷⁶. ويتفق كل من (دي سوسير، غريماس وهمسليف) أنها عزل النص عن صاحبه وسياقاته المحيطة به مع رصد لعناصره. "فكما يقدم الكاتب على إنتاج دلالة النص من خلال بنائه إياه فكذلك القارئ يفتح هذه الدلالة عن طريق إعادة بناء النص وفق تصوره وتلقيه الخاص للنص⁷⁷⁷". يبدو أن السيميائية متأثرة بالشكلانية والبنوية اللذان كان لهما الأثر في تدعيم المنهج بمفاهيم ومصطلحات مثل (المحايدة، البنية، النسق، العلاقات، السانكرونية⁷⁷⁸... استثمرتها في دراستها للعلامة المنطوقة وغير المنطوقة والبحث في دلالتها بالكشف عن النظام الذي يحكمها.

اهتمت بالسرد ودراسة العلامات الدالة ومواصفاتها وقدرة الخطيب في تنظيم خطابه وبناءه. كما يتميز المنهج السيميائي بخاصية الثراء والتنوع في المشارب الفكرية والمعرفية.

شكلت الرموز من بين اهتماماتها في الكشف عن أسرارها ودلالاتها في متن الأساطير والرسم والفرن التشكيلي وغيرها من الفنون التي تعتمد على الرمز والإيحاء ففتح هذا النوع من الاهتمام المجال للتطرق إلى دراسة أنواع الأطعمة وأزياء المودة وغيرها من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية للفرد.

وعطفا على ما سبق من تعدد لاستخدامات للمنهج السيميائي في دراسة العلامة بوجه عام والتعرف على مدلولها ومعناها وماهيتها تشكل فريقين عملا على دراسة العلامة وموضوعها والكشف عن مدلولها فيتمثل الفريق الأول بدراسة العلامة من منظور سيميائي التواصل يعتبر العلامة مظهرا وظيفي غايته التواصل أما الفريق الثاني اهتم بالعلامة من منظور تواصل لكن ذات مظهر دلالي ويمكن تفصيل القول في كل من الاتجاهين.

سيميولوجيا التواصل:

⁷⁷³ ينظر بشير كوريريت: مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الاصول والملاحق والإشكالات النظرية والتطبيقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة 2008، ص130.

⁷⁷⁴ المرجع السابق، ص 131.

⁷⁷⁵ ينظر بيير جيرو: علم الإشارة، ترجمة منذر عياش، دار طلاس (د.ت)، ص 9.

⁷⁷⁶ ينظر جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنوان، مجلة عالم الفكر عدد 3، يناير مارس الكويت، 1997، ص80.

⁷⁷⁷ يمني العيد الراوي: الموقع والشكل، دراسة في السرد الروائي : مؤسسة الأبحاث العربية، ط8، بيروت لبنان، ص16.

⁷⁷⁸ ينظر جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، مكتبة المثقف، ط1، 2015 ص12.

تشكل لسانيات التواصل لدى دي سوسير القاعدة الفكرية والنظرية لسيمياء التواصل وعرفت بمصطلح: (السيمولوجيا)، تهتم بدراسة العلامة داخل الحياة الاجتماعية⁷⁷⁹. إضافة إلى أفكار "بلموفيلد" في التحليل النفسي وجهود "بويسينس" التي اتخذت جهودهما منحاً نفسياً في تحليلهما السيميائي حيث تضمنت دراسة بعنوان: "محاولة في الألسنية الوظيفية في إطار السيميائية"⁷⁸⁰ حيث شكلت الآليات المستخدمة في التأثير على المتلقي موضعاً لدراسته⁷⁸¹. فبدأت شيئاً فشيئاً تتشكل فكرة أن العلامة هي آلية وظيفتها التواصل وأصبحت في نظرهم ثلاثية المظهر (دال-مدلول وقصد) وهذا الأخير يتمثل في التواصل.

سيمولوجيا الدلالة:

يتخذ هذا الاتجاه أيضاً من أفكار (دوسوسير) أساساً له حيث تعتبر العلامة ليست ذات قصدية تواصلية وإنما وظيفتها الدلالة يقذف بنا هذا المفهوم باتجاه اللسانيات الوظيفية والمبادئ التي دعا إليها (هيمسليف) وكشفته دراسات (غريماس) على النصوص الأدبية وتطبيقات (كلود ليفي شتراوس) و(رولان بارث) على أدب الأساطير فركزوا كلهم على العلامة ونظامها وأنساقها الدالة⁷⁸². إلا أن (رولان بارث) نجده قد تميزت دراساته بشيء من التنوع والتعدد والاختلاف لتشمل البعض من مظاهر حياة الفرد والمجتمع باستحداثه لمواضيع جديدة في لبقل السيميائي مثل دراساته لأنواع الأطعمة والألوان وعالم الأزياء والمودة والبحث عن العلامة فيها من منظور دلالي⁷⁸³.

ويمكن لنا ذكرت بعض التفرعات التي شملها المنهج السيميائي حيث تولدت عنه جملة من الحقول الجديدة للدراسة التي فرضها تخصص النقد وتوجهاتهم منها:

- تحليل السيميائي للخطاب الشعري: ويمثله كل من "جورج مونان"، "جاكسون"، "جوليا كريستيفا" "ريفاتير ميكائيل". والشعرية مصطلح قديم مرتبط باللسانيات حيث أقر (جكسون) في نظريته أن اللغة لها عدة وظائف و التواصل احداها واهتم بالموضوع أو الرسالة وما تنتجه من معاني ودلالات.⁷⁸⁴
- حقل سيمياء السرد شمل دراسات للقصة والرواية يمثله: "غريماس"، كلود بريمون"، "رولان بارث"، جوليا كريستيفا"، "تودوروف"، "جيرار جنييت"، "فليب هامون".
- حقل تحليل الأسطورة و الحكاية الخرافية على ضوء المنهج السيميائي يمثله: "فلاديمير بروب"، "كلود ليفي شتراوس"
- حقل الدراسات السيميائية للمسرح يمثله: "هيلبو"، "إيلام كير"

⁷⁷⁹ - Eric Buissens :Les langage et le discours, éd.U.F, Paris, 1967, p2.

⁷⁸⁰ ينظر: رولان بارث: درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، ط 2، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986 ص 2.

⁷⁸¹ ينظر حمادو عائشة، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ص 8.

⁷⁸² ينظر رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عن مقدمة القاموس لعبد الحميد بورايو، ص 8 - 9.

⁷⁸³ ينظر سيزا قاسم وأبو زيد ناصر حامد: مدخل إلى السيميوطيقا، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات عيون ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص 68.

أنظر رايح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، ص 57-58 عن معجم السيميائيات، فيصل الأ⁷⁸⁴ الأحمر، ص 290.

- حقل سيمياء الإشهار يمثل " رولان بارت " ، "جورج بنينو"
- حقل سيمياء أزياء المودة والأطعمة يمثل: " رولان بارت".
- حقل سيمياء الصورة: "رولان بارت"
- حقل سيمياء للفن التشكيلي والرسم يمثل: "بيير فرو كونتيل"، " لويس مارتان".

تطبيقات المنهج :

إن للسيمائية مجالات مختلفة ومتعددة عكستها حقول وفروع معرفية كثيرة كانت نتيجة تعدد التخصصات العلمية للنقاد والدارسين المهتمين بها حيث تجلت مجالاتها فيما يلي:

دراسة العلامة اللسانية وغير اللسانية وهذا التوجه الذي دعت إله جوليا كريستيفا بقولها: " إن مجالاتها تنحصر في دراسة الانظمة الشفوية وغير الشفوية⁷⁸⁵.."

- الاهتمام بالبحث في الدلالة اللفظية وهو المجال الذي تبناه "جوزيف كورتيس" باعتماده على الآليات التحليلية للكشف عن الدلالة اللفظية وغير اللفظية.

- من بين اهتمامات المنهج السيميائي دراسة كل ما له صلة بحياة الفرد والمجتمع وهو ما دعا إليه "أميرطو إيكو" بدراسة الموضوعات التي من خلالها تكون سبيلا وتؤدي إلى كشف وفهم الذات البشرية⁷⁸⁶.

- يهتم المنهج السيميائي في نظر "بيرس" بدراسة كل أشكال ومظاهر الوجود التي من شأنها تشكيل موضوعا ينتج جملة من المعاني الدلالية

أما بخصوص العالم العربي يذكر الناقد الجزائري (يوسف وغليسي): " أن السيميائية قد وصلت متأخرة نسبيا وعقدت لها ملتقيات وأُسست لها جمعيات على غرار "رابطة السيميائيين الجزائريين" ومجلات مثل مجلة دراسات سيميائية لسانية" المغربية 1987 وخصصت لها معاجم وقواميس من قبل رشيد بن مالك وسعيد بنكراد واعتمدها النقاد العرب كمنهج معاصرا للدراسة على غرار محمد مفتاح عبد المالك مرتاض، أنول المرتجى عبد القادر فيدوح عبد الحميد بورايوصلاح فضل عبد الله الغدامي⁷⁸⁷... تلقى المنهج السيميائي عن طريق التأثير والتأثر والمثاقفة والترجمة للإنتاج الغربي في الحقول السيميائية إلى العربية حيث كانت لجهود الناقد الجزائري رشيد بن مالك الذي تأثر بأستاذه غريماس في الجامعة الفرنسية حيث أصبح يمثل الوسيط لسيمياء غريماس وجهود الدكتور والناقد عبد المالك مرتاض التي اهتمت بالشعر والنثر، إلى جانب جهود كل من سعيد بن كراد والحميد الحميداني في مجال الدراسات السيميائية في المغرب⁷⁸⁸. وتخصيص القواميس والمعاجم للمصطلحات السيميائية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "معجم المصطلحات

⁷⁸⁵ ميشال فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي، دار الفرابي، بيروت، لبنان 1989، ص156

⁷⁸⁶ ينظر فرديناند دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 2011، ص27.

⁷⁸⁷ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص98.

⁷⁸⁸ ينظر جميل حمداي: مدخل إلى المنهج السيميائي، مجلة آمال، شهر فيفري 2009، المغرب ص39، من الموقع الإلكتروني:

السيمائية " ليفصل الأحمر ، وقدم الناقد المغربي محسن عمار دراسة عنونها ب: " مدخل إلى الدراسات السيمائية بالمغرب" ويقول عنه (رشيد بن مالك) أن: " الباحث حاول أن يقدم فكرة عن البحوث السيمائية في المغرب وعن الانجازات العلمية الراهنة في الكتب المنشورة والدراسات الأكاديمية غير أنه لم يقتف أثر كل دراسة... وتكمن دراسة محسن عمار كونها في توجيه القارئ إلى الدراسات السيمائية الأساسية في المغرب وقواميسها."789 فبدأ المنهج شيئاً فشيئاً يأخذ معالمه في العالم العربي منذ منتصف السبعينات إلى غاية اكتماله في الثمانينات وتجلي في شكل دراسات نقدية معتمدة المنهج الجديد وكانت لجهود الناقد العربي صلاح فضل دوراً هاماً وبارزاً في حقل السيميائيات وهو الذي عرفها ب: " العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الغشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة"790. ويبدو أن صلاح فضل متأثراً بأفكار "رولان بارث" و "غريماس" اللذان بحثها في دلالة العلامة أما الناقدة "سيزا قاسم" تعتبر السيمائية: " نتيجة لتفاعل بين حقول معرفية متفرعة"791. وتشكل في مفهوم حميد الحميداني: " لعبة التفكير والتركيب والوقوف على البنيات العميقة الجاثمة وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا"792.

ويعتبرها (مازن الوعر) أنها علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها، فهي علم يدرس بنية الإشارات توزعها ووظائفها الداخلية وعلاقتها بالعالم الخارجي793. واستخلاصاً من التعاريف السابقة يتضح لنا جلياً أن العرب واجهتهم نف الاشكالية التي صادفها الغرب في تحديد تعريف واحد وشامل لمصطلح السيمائية فاختلفت بين ما هو علاماتي ودلالي وثقافي حيث تعددت مواضيع حقول الدراسة في السيمائية بين الشعر والنثر وكل مظاهر الثقافة والرسم والفن والصورة وحياة الفرد في المجتمع أما على مستوى الدراسات النقدية الأدبية قاموا بالتحليل المحايث للنصوص بعزلها عن كل المؤثرات الخارجية والتعامل معه بوصفه بنية مستقلة والبحث عن المعنى الذي يمثل نتاجاً لجملة من العلامات التي تربط بين عناصر النظام794.

واعتمد بعض النقاد العرب في دراساتهم للنص الأدبي على المنهج البنيوي بعزل النص واعتباره بنية مستقلة بالتركيز على بنياته الدالة من تشابه وتماتل وتضاد و"البحث عن العلائق التي تربط بين شبكة النظام اللغوي"795.

وشكل بذلك التحليل البنيوي إحدى الركائز الأساسية للمنهج السيميائي واهتمامه بتمظهرات وتشاكلات العلامة اللغوية وكيفية فك شفرتها

رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجذلاوي للنشر والتوزيع، طالأولى، عمان الأردن 2002، ص25.789
790 حمادو عائشة ، عن مقال بعنوان: "السيمائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ص 10.

791 فيصل الاحمر: الدليل السيميولوجي، دار الألمعية، الجزائر، 2011، ص77

792 المرجع السابق، ص158

793 المرجع السابق ص 79.

794 رشيد بن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي، ص189.

الاستنتاج:

ومن خلال ما سبق نقول أن السيميائية بوصفها أحد المناهج النقدية المعاصرة قد أحدثت طفرة متميزة في مجال دراسة النصوص تحمل الناقد على المثاقفة وتحصيل العلم والمعرفة واستخدام المنطق الفلسفي وكل ما يتصل بالعلوم والمعارف حتى يكون الناقد في مستوى القارئ المثقف للتحكم أكثر في المنهج وآلياته الاجرائية التي تبقى دوما آيلة إلى التجدد والتعدد والتنوع فهي في توالد مستمر توظف للطشف عن جوهر النص وفك رموزه ولازال إلى حد يومنا هذا المنهج السيميائي يشق طريقه نحو التجدد والتميز في العالم الغربي والعربي للوصول إلى ممارسة نقدية سيميائية في تحليل موضوعي وعلمي للخطاب .

المصادر والمراجع:

رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، طالأولى، عمان الأردن 2002، ص25

حمادو عائشة ، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ميشال فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي ، دار الفرابي، بيروت، لبنان 1989،

ر فرديناند دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 2011،

ينظر: رولان بارث: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، ط 2 ، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986

حمادو عائشة ، عن مقال بعنوان: "السيميائية في النقد العربي المعاصر حول المفهوم وإشكاليات التلقي المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، .

رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، عن مقدمة القاموس لعبد الحميد بورايو، سيزا قاسم وأبو زيد ناصر حامد: مدخل إلى السيميوطيقا، مطبعة النجاح الجديدة ، منشورات عيون ط1، الدار البيضاء ، المغرب، 1987،

رابح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، ص57-58 عن معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر

جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنوان، مجلة عالم الفكر عدد 3 ، يناير مارس الكويت، 1997

يمنى العيد الراوي: الموقع والشكل، دراسة في السرد الروائي : مؤسسة الأبحاث العربية، ط8، بيروت لبنان،

جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، مكتبة المثقف، ط1، 2015

المنهج الأسلوبي

المحاضرة السابعة

أ.خالدي سمير

مقدمة:

يحيلنا الحديث عن الأسلوبية كمنهج إلى الجذور القديمة الضاربة في عمق التاريخ فهي موروث تعاقبت عليه الأجيال عبر الأزمنة والعصور المختلفة كان للفرد فيها دورا بارزا في الظهور والتميز بإنتاج الكلام واللغة فأصبح لكل مبدع أسلوبه الخاص به وطريقته في الكتابة . وبمجيئ فرديناند دي سوسير العالم اللساني السويسري بلسانياته الحديثة وتحديدًا الثنائيات (لغة كلام)، (دال مدلول)، (الأنية والزمانية)... التي أقرت بأن اللغة نظام اجتماعي والكلام يمثل الإنجاز الفعلي للغة في الواقع وهو المجال الذي اتخذته اللسانيات موضوعا لدارستها واعتبرت أن الفرد يستطيع تطوير والإبداع فيه بما يتناسب مع حاجياته للتعبير والكتابة، بغية التواصل مع الآخر. فمنذ هذه اللحظة باتت الأسلوبية منهجا قائما ومستقلا بذاته تعنى باللغة كموضوع إجرائي واصبحت للفظة والجملة والنص والفقرة والخطاب شأنا فعدت بذلك اللسانيات من بين مرتكزات الفكرية والعلمية التي قام عليها المنهج الأسلوبي في بدايات نشأته. وعدت إحدى فروع اللسانيات العامة. والعلاقة بينهما جد وثيقة .

مفهوم الأسلوب لغة:

حضيت كلمة أسلوب منذ القدم عند العرب أهمية بالغة فورد معناها في لسان العرب : "الطريق الممتد ، أو السطر من النخيل" ويقال السطر من النخيل أسلوب، ويطلق على كل طريق ممتد أسلوب، وقال الأسلوب الطريق والوجه والمذهب جمع أساليب، والأسلوب بالضم الفن أخذ فلان في أساليب من القول أي تفنن منه.ⁱⁱⁱ وهو في رأي الجرجاني: " ضرب من

النظم و الطريقة فيه⁷⁹⁶. " ويمثل عند حازم القرطاجني: "صورة الحركة الإيقاعية للمعاني في كيفية تواليها واستمرارها.⁷⁹⁷ " وكان لابن خلدون رأيا أيضا حيث اعتبره: "المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه⁷⁹⁸. " ويتفق معه أحمد شايب في الرأي إذ يمثل: " طريقة الكتابة والإنشاء والاختيار والتأليف للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير⁷⁹⁹. "

مفهوم الأسلوب اصطلاحا:

يعتبر مصطلح الأسلوب أقدم من الاسلوبية حيث عايش الأسلوب البلاغة في كنف واحد منذ قيام الحضارة الاغريقية⁸⁰⁰ وارتبط المصطلح أيام الاغريق بالبلاغة والشعر ويعود التنظير للمصطلح إلى (أفلاطون) و (أرسطو) واعتبر أفلاطون الأسلوب ميزة تتضمن البعض من الإمكانيات التعبيرية وتفتقدها أخرى وتتمثل في قدرات الكاتب ومهارة لا تتوفر عند كل المبدعين⁸⁰¹ أما (أرسطو) فاعتبر أن قيمة الأدب تكمن في أسلوبه⁸⁰². واستقر أهل البلاغة في القرون الوسطى على وجود ثلاثة أشكال للأسلوب (البسيط ، المتوسط والراقي)⁸⁰³ وكان (جورج بوفون) قد تميز بمفهوم جديد للمصطلح فعرفه بقوله: " الأسلوب هو الرجل⁸⁰⁴. "

يرى صلاح فضل أن علم الأسلوب هو مصطلح: ينحدر من أصول مختلفة ، ترجع إلى أبوين قديمين هما علم اللغة وعلم الجمال⁸⁰⁵. " ويعتبره أحمد حسن الزيات: " طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام⁸⁰⁶. "

وإذا كانت الأسلوبية أو علم الأسلوب: " تطبيق لعلم الألسنية في دراسته للأسلوب، فإن الأسلوب يختص بصناعة اللغة⁸⁰⁷ أصل الكلمة: "لاتينية STILUS وفي معناها المثقب المعدني الذي يستعمل في الكتابة على الألواح المشمعة⁸⁰⁸. " ثم بدأت الكلمة تأخذ معاني مختلفة مع مرور الزمن: " وانتقلت دلالة الكلمة من كيفية التنفيذ إلى كيفية التعبير في القرن 16م ومنه إلى طريقة دراسة ومعالجة موضوع ما في إطار الفنون الجميلة وكان ذلك في القرن 17م.⁸⁰⁹ " ليعرف بعد ذلك المصطلح شيئا من الاستقرار في تحديد المعنى المتمثل

⁷⁹⁶ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، القاهرة، 1404، ص46.

⁷⁹⁷ حازم القرطاجني: منهج البلغاء وسيراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان، 1981، ص227.

⁷⁹⁸ ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي ، (د.ط)، بيروت لبنان 1402، ص570.

⁷⁹⁹ أحمد شايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط6، القاهرة مصر، 1966، ص44.

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص324.⁸⁰⁰

أنظر المرجع السابق ص325.⁸⁰¹

المرجع نفسه ص نفسها.⁸⁰²

أنظر المرجع السابق، ص324.⁸⁰³

المرجع السابق، ص 325.⁸⁰⁴

⁸⁰⁵ صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع (د.ط)، القاهرة (د.ت)، ص5.

⁸⁰⁶ أحمد حسن الزيات: الدفاع عن البلاغة، علم الكتب، ط2، بيروت لبنان 1967، ص86.

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009، ص75.⁸⁰⁷

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص75.⁸⁰⁸

أنظر المرجع السابق ص نفسها.⁸⁰⁹

في: "كيفية الكتابة الخاصة بكاتب ما⁸¹⁰". واهتم الغرب بالمصطلح حيث عرفه الأديب الفرنسي (بوفون) بقوله: "الأسلوب هو الرجل"⁸¹¹. ويعد فريديريك نوفاليس الكاتب الألماني الملقب بالبارون فون هردنبرغ (1772-1801) أول من وظف المصطلح⁸¹² إلا أن الاعتراف كان لشارل بالي (1865-1947) مع بدايات القرن العشرين بتأسيس علم الأسلوب من خلال كتابه: "مبحث في الأسلوبية الفرنسية"⁸¹³. ويرى (رولان بارت) أنه: "لغة متكيفة بذاتها ولا تعوض إلا في الأسطورة الشخصية والخفية للكاتب كما تصوغ في المادة التحتية للكلام حيث يتشكل أول زوج للكلمات والأشياء"⁸¹⁴.

ويذكر الناقد عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" أن (شارل بالي) يعود إليه الفضل في إرساء قواعد علم الأسلوب⁸¹⁵. ولقد تعامل النقد الحديث مع الأسلوب من خلال جملة من المصطلحات واعتبر المرسل أنه الباث أو المخاطب الذي يدل عليه تعبيره من زاوية أن الأسلوب خاص بصاحبه فيرى (بوفون): "الأسلوب هو الإنسان نفسه ولذا لا يمكن أن ينتزع أو يحمل أو يهدم"⁸¹⁶. وفي نفس السياق يرى (أحمد شايب) أن الأسلوب يدل على مؤلفه: "التعبير هو أسلوبه المنشق من نفسه هو"⁸¹⁷. فنستخلص أن معظم الدارسين اتفقوا على أن الأسلوب هو أثر دال على مؤلفه.

ويعد مصطلح المتلقي المخاطب (بفتح الطاء) فهو الذي يتأثر بالنص فيكشف عن خصائصه الأسلوبية ويرى بعض النقاد أنه على الرغم من أن الأسلوب يعكس صاحبه إلا أنه في جوهره وغايته موجه إلى القارئ فيلتزم المؤلف بأن: "يجعل لكل إنسان بما يلائمه، أي أن صورة المتلقي تظل ماثلة أمام المرسل سواء كان موجودا بالعقل أم موجودا في الذهن"⁸¹⁸ ونجد أن (ميشال ريفاتير) قد احتفى بالمتلقى وأعلى من شأنه مانحا إياه دورا فعالا في تحديد ميزة أسلوب النص الأدبي يتحسس فيه مواقع الأثر والجمالي فهو بذلك يدعو إلى: "إبراز عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوه النص وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة"⁸¹⁹ لقد حاول (ريفاتير) الجمع بين النص وكاتبه وقارئه وأن لكل طرف دوره في تحقيق الأدبية.

لقد شكل النص جوهر البحث الأسلوبي حيث يرى جمع من الدارسين أن الأسلوب يكمن في النص وهو العنصر الكفيل بإظهار معانيه التي تعكسها بنياته اللغوية وكانت هذه الفكرة من بين مبادئ البنيوية حيث يرى (جاكسون) النص: "هو خطاب يركب في ذاته ولذاته"⁸²⁰ وسعى المنهج البنيوي نحو تأكيد العلاقة التي تربط بين ثنائية الأسلوب والنص بحيث يرى

أنظر: المرجع السابق ص نفسها⁸¹⁰

⁸¹¹ بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإخاء القومي، (د.ط)، بيروت لبنان، (د.ت)، ص 88.

⁸¹² ينظر يوسف وغيلسي: مناهج النقد الأدبي، ص 75.

⁸¹³ المرجع السابق ص 76.

⁸¹⁴ المرجع السابق، ص 70.

⁸¹⁵ ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل أسني في نقد الأدب الدار العربية للكتاب، ط2، 1982، ص 83.

⁸¹⁶ المرجع السابق ص 63.

⁸¹⁷ أحمد شايب: الأسلوبية دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص 127.

⁸¹⁸ فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص 24.

⁸¹⁹ عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: ص 79.

⁸²⁰ صلاح فضل: علم الأسلوب وعلاقته بعلم اللغة، مجلة فصول، مجلد 5، العدد 1، ص 49

(ريفاتير) أنه: "ليس ثمة أسلوب أدبي إلا في النص"⁸²¹. " وأن الأسلوب في الواقع هو النص."⁸²²

أما الخطاب فقد اعتمدت الأسلوبية في دراستها على لسانيات دي سوسير وتحديدًا ثنائية (اللغة، كلام) يقول: "وتشتمل دراسة اللسان جزئين الأول جوهري وغرضه اللغة الثاني ثانوي وغرضه الجزء الفردي من اللسان ونعني به الكلام."⁸²³ وأوضح تلميذه (شارل بالي) مؤسس الأسلوبية أن اللغة للاستخدام العادي والنفعي، بينما الكلام استعماله أدبي وفني⁸²⁴ ونستخلص مما سبق أن موضوع الأسلوبية هو الخطاب الأدبي تكونه جملة من التقنيات التعبيرية المختارة يحدد عن التعبير المؤلف برموزه وتلميحاته.

مفهوم الأسلوبية:

كما ذكرنا سلفًا أن المصطلح له جذوره الأولى في الفكر اليوناني القديم وهي: "STYLUS" تطورت معانيها فدلّت على "كيفية التنفيذ في القرن 14، و إلى طريقة التصرف في القرن 15 ثم إلى التعبير في القرن 16، ومنه إلى طرائق معالجة موضوع ما في نطاق الفنون الجميلة. "⁸²⁵ ويرى (جون ديبو) أن الأسلوبية: " هي الدراسة العلمية للأسلوب في الأعمال الأدبية"⁸²⁶. وتعد الأسلوبية الحلقة الجامعة بين اللسانيات و الدراسات النقدية الأدبية وتقريب بين البلاغة القديمة والدراسات الأسلوبية الجديدة. و يرى رولان بارت أن الأسلوبية قد غدت: "الورث المباشر للبلاغة"⁸²⁷.

ويعتبرها نور الدين المسدي: " أنها علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة"⁸²⁸. ويتضع من القول المسدي أنه اهتم كثيرا في الدراسة الأسلوبية بعنصر البلاغة والعلاقة التي تجمع بينهما ، فعلى قدر ترابطهما إلا أنهما فالبلاغة: "علم معياري تعليمي يعتمد فصل الشكل عن المضمون في الخطاب، بينما الأسلوبية علم وصفي تحليلي يرفض الفصل بين دال الخطاب ومدلوله"⁸²⁹. أما (صلاح فضل) فقد خالفه الرأي عندما أقر أن الأسلوبية: "ورث شرعي للبلاغة العجوز"⁸³⁰. أما (نور الدين السد) فقد وضع حدودا فاصلة بين الأسلوبية والبلاغة ولكل خصائصه وصفاته بقوله: "الأسلوبية هي الوجه الجمالي للألسنية، إنها تبحث في الخصائص التعبيرية والشعرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي وترتدي طابعا علميا تقريريا في وصفها للوقائع وتصنيفها

⁸²¹ موسى سامح رباعية : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، ط1، الأردن 2003، ص15.

⁸²² عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص88.

⁸²³ فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص32.

⁸²⁴ ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص63.

⁸²⁵ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2008، ص75.

جورج مولنيه: الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت 2006، ص66.⁸²⁶

رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد بريدة، ط3، الشركة المغربية للنشر المتحددين، الرباط (د.ت)، ص35.⁸²⁷

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس ليبيا (د.ت)، ص56.⁸²⁸

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، عن يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص86.⁸²⁹

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ص87.⁸³⁰

بشكل موضوعي ومنهجي⁸³¹. "ورأى أن للأسلوبية أربعة اتجاهات : التعبيرية ، النفسية ،
البنوية والاحصائية⁸³²

واستندت الأسلوبية في تأسيسها على لسانيات العالم السويسري الحديث (فرديناند دي
سوسير) (1873-1913) حيث يقول: " اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام." ⁸³³ وأنه "
نتاج إجتماعي لمملكة اللغة فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع
لمزاولة هذه المملكة عند الأفراد⁸³⁴. " ليحذو حذوه بشيء من التميز والتفرد (شارل بالي) عالم
لساني ولغوي درس اللغات القديمة كالسينسكريتية واليونانية والفارسية ومؤسس لعلم
الأسلوب المعاصر مع مطلع 1902 ⁸³⁵ واعتبرها (ميشال إريفي) فرع من فروع اللسانيات
بقوله: " الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات⁸³⁶."

أهم مصطلحات المنهج الأسلوبي:

من بين المصطلحات التي وظفتها الأسلوبية في دراساتها للنص الأدبي نذكر منها مصطلح
"الاختيار" الذي يهتم بسمات أسلوب المؤلف والوقوف على جمالياته وثراء وتنوع المعجم
اللغوي للكاتب. ويشكل "الانزياح" أحد المصطلحات المهمة في الدراسات الأسلوبية والذي
يهتم بخروج الكاتب في تعبيراته عن الأسلوب الألف والعدل عنه نحو شكل تعبير جديد
فهو: " كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار الألف⁸³⁷." أما "التركيب" فهو الغاية
المنشودة أثناء الدراسة بحيث ترى أن التركيب يكون على جميع المستويات (الصرفي
التركيب والدلالي) هذه التركيب التي تعكس المخزون الثقافي والعمر في المؤلف، يكون لها
التأثير الكلي على نفسية وفكر المتلقي ويدل التركيب على: "إفراز الصورة المنشورة
والانفعال المقصود والانطباع النابع من الذات عبر النص من خلال اللغة ليحتضنه القارئ
بحرارة⁸³⁸."

أهم الاتجاهات الأسلوبية:

وفي ظل هذا الحراك التحولي للأسلوبية على المستوى التنظيري والتطبيقي، ظهرت عدة
اتجاهات تميزت عن بعضها البعض ويمكن ذكرها على التوالي:

الأسلوبية التعبيرية: يطلق عليها البعض "بالأسلوبية "اللغة" أو " اللسانية" ارتبطت بعدة
أسماء مثل عالم اللغة الكبير (شارل بالي) الذي يعود إليه الفضل في التجديد في علم الأسلوب
حيث شكل كتابه المعنون بـ: "مبحث في الأسلوبية الفرنسية" سنة 1909 ⁸³⁹ اهتم بدراسة
الظاهرة الأسلوبية في علاقتها بالنص وقارئه (المتلقي)، واعتبر أن: " اللغة لا تعبر عن
الفكر إلا من خلال الموقف الوجداني، أي أن الفكرة المعبر عنها بوسائل لغوية لا تصير كلاما

نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، عن يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 88. ⁸³¹

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي مرجع سابق، ص 88. ⁸³²

⁸³³ أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر 1994 ، ص38.

⁸³⁴ المرجع السابق، ص38.

⁸³⁵ ينظر أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص51.

⁸³⁶ عيد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 48.

⁸³⁷ جون كوهن: البنية الشعرية، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري، ص15.

⁸³⁸ نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة ، ط1، الجزائر، 1977، ص 169.

أنظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009، ص 76. ⁸³⁹

إلا عبر مرورها بمسالك وجدانية كالأمل الترجي أو الصبر أو النهي⁸⁴⁰. " بحيث يتسم المتن بجملة من القيم اللغوية والإيحاءات والدلالات التي تخول له التفرد والتميز عن نص آخر إلى جانب تأثيرات العملية التواصلية لقارئ النص النفسية ومدى إدراكه لمعانيه ومضامينه. وهو ما ينتج عن اللغة في النص من أشكال تعبيرية تتجلى من خلالها الآثار النفسية العاطفية والجمالية. واعتبر (شارل بالي) يعتبر علم الأسلوب شأنه شأن علم الأصوات الذي يهتم بدراسة الظواهر اللغوية وأثرها على نفسية المتلقي⁸⁴¹. وتقوم النظرية الأسلوبية لدى شارل بالي على دراسة ما اصطلح على تسميته بـ: " الجانب العاطفي للغة"⁸⁴² إذ يمثل الأسلوب عند (بالي): " تتبع السيمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية والتأثيرية والانفعالية التي تميز أداء عن أداء"⁸⁴³. " وركز اهتمامه على وصف اللغة حتى أطلق على منهجه بالأسلوبية الوصفية تعنى بوصف الآليات المستخدمة في اللغة المنطوقة وما تتوفر عليه من قيم تعبيرية التي تثار أثناء الكلام مركزا على محتواها العاطفي وصيغتها التركيبية.⁸⁴⁴ فيغدو بذلك الأسلوب أثر يدل على صاحبه.

الأسلوبية التكوينية:

يمثلها (ليوسبيتزر 1887-1960) (Leo Spitzer) برؤية جديدة تتجلى في كتابه: " دراسة في الأسلوب الأدبي " تأثر ليو سبيتزر بأفكار (كارل فوستير) في نقده للغة وتصبو إلى دراسة أثر الكلام وتكشف خصائص الأسلوب وكتابه واعتمد سبيتزر على الحدس في عملية تأويل المعنى⁸⁴⁵. على نظرية فرويد في التحليل النفسي فهو يرى أن الحالة النفسية للمؤلف تعكسها أساليبه وتعبيره التي شكلت جوهر دراسته النفسية: " اهتم بالكلام المحكي واللغة المنطوقة دون اللغة الأدبية"⁸⁴⁶. " يتخذ منهجه من الذات موضوعا للدراسة معتمد في ذلك على ما يمكن أن تقدمه البنيات اللغوية من شروحات وتوصيفات تعكس في جوهرها نفسية صاحبها⁸⁴⁷ محاولا النفاذ إلى شخصية المؤلف وأسلوبه وأشكاله التعبيرية فهي: " خصوصية شخصية في التعبير والتي من خلالها نتعرف على الكاتب وذلك من خلال عناصر متعددة تعمل على تكوين هذه الشخصية الذاتية⁸⁴⁸. " وتقوم الأسلوبية النفسية عند ليو سبيتزر في دراستها على تحليل الأسلوب والمتمثلة في تبين تحليل أسلوبه في النص للتعرف إلى شخصيته وكشف جوهر نفسيته دون اغفال لموروثه الثقافي والمعرفي ودوره في تشكيل بنية النص⁸⁴⁹.

تنزح الأسلوبية التكوينية بمقاربتها للنص الأدبي إلى دراسة الأسلوب دراسة علمية لبنيات النص بالوقوف على فعالية التعابير المنبعثة من أحاسيس وعاطفة المؤلف التي جعلت من أسلوبه

رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، غابية، الجزائر عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 328. ⁸⁴⁰
أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 328. ⁸⁴¹

⁸⁴² ينظر أحمد رويس: مقال بعنوان: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر وديسمبر، 1984، ص 64.

⁸⁴³ رجاء عيد: البحث الأسلوبية معاصرة وتراث، دار المعارف، ط1، مصر 1993، ص 31.

⁸⁴⁴ أحمد رويس، مقال بعنوان: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر وديسمبر، 1984، ص 65.

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 328. ⁸⁴⁵

⁸⁴⁶ ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 67.

⁸⁴⁷ ينظر المرجع السابق، ص 71.

⁸⁴⁸ رجاء عيد: البحث الأسلوبية معاصرة وتراث، دار المعارف، ط1، مصر 1993، ص 31.

⁸⁴⁹ ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 72.

يحظى بنوع من التميز والتفرد فدل عليه. واستطاعت خطوات التحليل الأسلوبي للنص الأدبي عند (ليوسبيتزر) أن تشكل نقطة جوهرية أضافت مضيعة الجديد للنقد الأدبي.

الأسلوبية البنيوية :

اعتمدت على توظيف مصطلح بنية في دراستها للأسلوب للوقوف في مقاربتها للنصوص على الظاهرة الأسلوبية والعلاقات الداخلية التي تحكم نظامها ووظائفها⁸⁵⁰. فهي تنزح نحو: " تحديد المقاييس اللغوية النوعية الملائمة لأسلوبيا⁸⁵¹". وتعتبر النص نسقا لغويا متشعبة بأفكار دي سويسير ومن روادها: (ميشال ريفاتير) تعنى بدراسة وتحليل الخطاب الأدبي والبحث في العلاقات الداخلية التي تحكم نظام وحداته وبنياته من انسجام وتضاد فالنص هو: " بنية متكاملة تحكمه العلاقات بين عناصرها ... فإنه لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية أو التضادية مع العناصر الأخرى في إطار بنية الكل⁸⁵²". ولم يغفل (ميشال ريفاتير) عنصر المفاجأة التي يمكن أن يحدثها أسلوب المؤلف وتأثيره على المتلقي: " فكلما كانت السمة الأسلوبية متضمنة للمفاجأة فإنها تحدث خلخلة وهزة في إدراك القارئ ووعيه⁸⁵³. وأطلق عليها اسم أسلوبية الوظيفية أو أسلوبية العدول والأنزياحات.

الأسلوبية الإحصائية:

ظهر الاتجاه الأسلوبي الإحصائي في نهايات القرن التاسع عشر هدفها التأسيس لمنهج علمي يقوم على العلمية في دراسته ومقارنته للأعمال الأدبية: " في نطاق أسلوبية الانزياحات يمثلها بيار غيرو إلا أن أعلامها تخلوا عنها نحو الاهتمام بالأسلوبية البنيوية والسيمائية⁸⁵⁴".

تعتمد في دراستها للنص الأدبي على مصطلحات علم الرياضيات والحساب وآلية الإحصائية وتكرار المفردات، وهي ميزة وظاهرة لغوية وسمت أسلوب كاتب عن آخر وتهدف إلى: " التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص لبيان ما يميزه من خصائص أسلوبية⁸⁵⁵".

ولم تخلو الساحة النقدية العربية من الدراسات الجهود في مجال الأسلوبية الإحصائية ومن بين الأسلوبيين العرب (سعد مصلوح) له كتاب: " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"، صلاح فضل: " علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته".

تطبيقات المنهج:

احتضن العرب الأسلوبية بداية من منتصف القرن العشرين حيث قدم الناقد أحمد شايب كتابا متميزا في التخصص عنوانه " الأسلوب" تضمن فيه خطوات المنهج الأسلوبي ليصدر بعده إنتاجا جديدا عنوانه ب "الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني للنقد الأدبي"

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص330.850

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2006، ص78.851

852 محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، وزارة الثقافة السورية، ط1، دمشق، سورية 1989، ص 110.

853 موسى سامح رباعية: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص12

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009، ص78.854

855 محمد عبد العزيز الوافي: حول الأسلوبية الإحصائية، مجلة علامات مجلد 42، عدد11، 11 ديسمبر 2001، ص 122.

ليتعزز حقل الدراسات الأسلوبية الإحصائية بكتاب جديد للناقد سعد مصلوح عنوانه: "الأسلوب دراسة لغوية إحصائية" وقدم الناقد (محمد العمري) في كتابه المعنون بـ: "تحليل الخطاب الشعري" معتبرا أن الإحصاء: "عاملا من عوامل البروز والظهور فالمواد التي تتكاثر بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كقيلة بإثارة الانتباه يمكنها من نفسها⁸⁵⁶". أما (محمد الهادي الطرابلسي) قدم دراسة حول كتاب البخلاء للجاحظ في دراسة عنوانها: "في منهجية الدراسة الأسلوبية"⁸⁵⁷ احتوت دراسته محورين نظري وتطبيقي حيث تعرض في المحور النظري إلى العلاقة التي تجمع بين الأنطباع وعملية العد والإحصاء لأشكال الأساليب في النص الأدبي. وتضمن المحور التطبيقي اتخاذ من كتاب البخلاء للجاحظ موضوعا للدراسة فأحصى فيه الأحداث والأفعال بأنواعها والصفات والقضايا إلى جانب الحالات النفسية والسلوكيات كما شكل الأيقاع الخارجي والداخلي جزءا من الدراسة التطبيقية والوقوف على مميزات اللغة وتبيين ظاهرة التكرار ووظيفتها وتشخيص الاستخدام اللغوي للمؤلف وتأثيرتها على المتلقي مثل (الأكل والسكر لم يسمع لم يبصر...) وما تحمله من وظائف اختيارية ودلالية وعلاقتها بتصوير مشاهد الأحداث تصويرا جماليا فنيا وأدبيا وأثرها على القارئ⁸⁵⁸.

لنتنقل بعد ذلك الدراسة الأسلوبية العربية من عهد التنظير إلى مرحلة التطبيق والإجراء مع الناقد صلاح فضل بكتابه: "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" وقدم موسى صالح ربابعة: "الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها".

أما يوسف مسلم أبو العدوس توغل في التطبيق من خلال كتابه: "الأسلوبية الرؤية والتطبيق" وقدم الناقدان: محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود كتاب يهتم بعلاقة البلاغة العربية بالأسلوبية عنوانه: "الأسلوبية والبيان العربي"

ودعم الناقد فتح الله أحمد سليمان مكتبة الأسلوبية العربية بمولود جديد عنوانه بـ: "الأسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية".

ويمكن القول من خلال ما تقدم أن الأسلوبية بمختلف اتجاهاتها وتفرعاتها وتخصصاتها استطاعت أن تضيف الجديد إلى النقد الأدبي وتدعيمة بآليات إجرائية وتطبيقية أهلته أن يقدم دراسات جادة تتحلى بالموضوعية وروح العلمية.

⁸⁵⁶ محمد العمري: تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر الكثافة الفضاء التفاعل، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1990، ص 99.

⁸⁵⁷ ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 101.

⁸⁵⁸ ينظر المرجع السابق، ص 102.

المنهج التفكيكي

المحاضرة الثامنة

أ.خالد سمير

مقدمة:

تأثر النقد المعاصر خلال مسيرته التأسيسية بعدة مناهج نقدية سياقية ونسقية : مثل الشكلانية والبنوية والأسلوبية والسيمائية والتلقي والتأويلية فمثلت التفكيكية أحد هذه المناهج التي تركز على قراءة النص والبحث عن دلالاته، على يد الفيلسوف والمفكر الفرنسي (جاك ديريدا) تحمل في جوهرها بذور المعارضة والفرض للفكر البنيوي اللساني وثورة على التفكير الميتافيزيقي الذي قدم تفسيراً ماورائياً للظواهر الطبيعية. فضهرت التفكيكية تحمل في ضمنها استراتيجية جديدة للقراءة جوهرها التقويض والتفكيك للنص وإعادة بناءه كمحاولة لإنتاج معنى آخر برؤية جديدة تقوم على الفهم والوعي والمنطق ضاربة على عرض الحائط كل تفكير أو تفسير خرافي يفتقد إلى تحكيم العقل.

المرتكزات الأساسية لفلسفة التفكيك:

ظهر هذا التيار الفكري في منتصف القرن العشرين. متأثراً بفلسفة (نيتشه فريديريك) الألماني التي أثرت تأثيراً كبيراً على الفكر الغربي والعربي واشتملت فلسفته على أربع أفكار أساسية : (موت الإله، الإنسان الخارق، إرادة القوة والعود الأبدي)⁽⁸⁵⁹⁾ فكان هدف فلسفته البحث عن الحقيقة الخفية التي حجبها ستار التفكير الميتافيزيقي وضلت غائبة عن الأنظار والعقول حيناً من الدهر. ثار نيتشه على فلسفة سقراط وأفلاطون و أرسطو التي توارثتها العقول على مر العصور والأجيال. أمحوا ولا تقدم البديل الذي يكمن في تصور لمنهجية جديدة غايتها اعتماد طريقة وأسلوب في البحث وتقصي الحقيقة وتحليلها للوصول إلى تأويل يقوم على المنطق والوعي وهو ما أكدته (ميشال فوكو بقوله: "أهم ما جاء به نيتشه وشكل أساساً ومنطلقاً فكرياً قامت عليه التفكيكية المعاصرة والكثير من تيارات الفكر المعاصر".⁸⁶⁰ فشكّلت فلسفة نيتشه المرتكز الأساسي والسند القوي للمنهج التقويضي عند جاك ديريدا. واعتبرت فلسفة هايدجر الظاهرانية *phénomonologie* أحد المشارب التي نهت منها التفكيكية التي تقوم على وعي وإدراك الإنسان لوجوده وسعيه الدائم لكشف فهم العالم وإيجاد تفسير وتصور له وإدراكه.⁸⁶¹ وهو ما يعزز فكر هايدجر الذي يقوم على وعي الذات بوجودها وبحثها الدائم لمعرفة الحقيقة⁸⁶². ومثلت ذات القارئ أو المتلقي عنصراً

⁸⁵⁹ ينظر سعد الله محمد سالم: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار، ط1، اللاذقية 2008، ص84.

⁸⁶⁰ ميشال فوكو: جينالوجيا المعرفة، ترجمة: أحمد السطاني، وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء 2008، ص66.

⁸⁶¹ ينظر ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل النقد الأدبي، مرجع سابق ص321.

⁸⁶² ينظر المرجع السابق ص 212.

جوهريا وطرفا فعلا في معادلة تأويله وتفسيره للوجود وتقديم تصور خاص عنه. ويؤكد (بيار زيمبا) تأثر دريدا في نقده للفلسفة والتفكير الميتافيزيقي بأفكار نيتشه⁸⁶³. ومنه كان لزاما علينا أن نتطرق إلى معنى ومفهوم كلمة تفكيك حتى يتسنى لنا فهم ماهيتها ووظيفتها في فلسفة جاك ديريديا التفكيكية.

التفكيكية لغة:

التفكيكية باللغة الأجنبية (Déconstruction): "مصطلح معاصر يتركب من بنيتين: (dé) وتعني النفي و (construction) معناها البناء والتشييد، والمعنى العام في نظر جاك ديريديا هو هدم البناء وتفكيكه⁸⁶⁴."

وعرف المصطلح في العربية (بالتفكيكية) وهو الأكثر رواجاً وتداولاً وتوظيفا بين النقاد العرب كما عرف تسميات متنوعة على غرار، التقويضية والتشريحية. وتدل لفظة (فكك) في المعاجم العربية على معنى: "يقال فككت الشيء فانفك وفككت الشيء خلصته⁸⁶⁵". ويحمل المصطلح في جوهره معنى الدلالة على تفكيك الخطاب اللغوي إلى جزيئات ووحدات صغرى خارج معنى النص والبحث عن ماهيتها وجوهرها وحقيقتها وعلاقتها بالوعي⁸⁶⁶.

و التفكيكية في معناها، نوع من القراءة تنفذ إلى جوهر بنية النص وتعمل على فك تمفصلاته وزعزعة عرش بنياته وتهديم جزيئاته لتعاود تشييده في حلة فريدة وبمعنى جديد نتيجة للهدم وإعادة البناء حيث تستند فلسفة التقويض هذه على قدرات وكفاءات وتجارب القارئ الذي يكتشف التوصل إلى المعنى الخفي للنص.

التفكيكية اصطلاحاً:

يعتبر (جاك ديريديا) Jacques Derrida 1930-2004 الفيلسوف الفرنسي المنتج لمصطلح التفكيكية "والمؤسس الأكبر لمشروع فلسفي نقدي معاصر ظهرت معالمه الأولى التي بشرت بها مداخلة له ألقاها بجامعة (جون هوبكنز الأمريكية في سنة 1966 الموسومة بـ: "البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية". ثار فيها على الأفكار والتفسير الميتافيزيقي لقضايا الواقع الذي ورثته عقول الأجيال السابقة وجبلت عليه منذ عهد أفلاطون⁸⁶⁷ ودعا إلى أنه قد حان الوقت للوصول إلى معنى النص الخفي من خلال اللغة⁸⁶⁸. ولم تسلم فلسفة ديكرت الذاتية من معارضة وانتقاد جاك ديريديا لها ولقيت البنيوية

⁸⁶³ ينظر مصطفى عادل: فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غامير، دار رؤية، ط1، القاهرة 2007، ص212.

⁸⁶⁴ خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006، ص329.

⁸⁶⁵ ابن منظور: لسان العرب، مادة فكك، دار صادر، بيروت لبنان، 2000، ص325.

⁸⁶⁶ ينظر عثمان موافي: ملامح النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 2004، ص168.

⁸⁶⁷ ينظر راما سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، الطبعة الأولى دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة (د.ت)، ص146.

⁸⁶⁸ ينظر عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص168.

نقدا لادعا طال جملة من الأفكار والمفاهيم التي تبنتها التي تبنتها مثل: (الشكل والمضمون، الثابت والمتحول، الإنسان والطبيعة...) ⁸⁶⁹ وتتلخص فكرة جاك دريدا في التفكير وعلى جعل العلاقة كائنة بين ما هو مادي وما هو معنوي والتجلي والتخفي بين الدال والمدلول. ⁸⁷⁰ وأصبح منذ ذلك الحين تيار التفكيرية يدعى بـ: "ما بعد البنيوية، أو بما بعد الحداثة" ⁸⁷¹. ويعرف (جلك دريدا) الفعل التفكيرية: "ليس منهاجا ولا يمكن تحويله إل منهج خصوصا إذا ما أكدنا على الدلالة الإجرائية أو التقنية" ⁸⁷². أما الفيلسوف (ماريا إيفانكوس) تمثل طريقة لقراءة الفلسفة والخطابات العلوم الانسانية ⁸⁷³. "بينما هي ممارسة فلسفية في نظر (إمبرتو إيكو) أكثر منها نقدية تتحدى في ذلك أمر الوقوف على المدلول الخفي للنص وتأويله مستندة على ثنائية الدال والمدلول في لسانيات (دوسوسير) واعتباطية العلامة وشيئا من فلسفة (نيتشة) وأفكار (هيدجر) والتعامل مع اللغة وما تنتجه من دلالات تفرض على القارئ تبينها وتحليلها لفهم معناها وجوهرها. ⁸⁷⁴ وهي في رأي (جيرار جنجومبر) تقوم على غاية تفجير النص لأنه يقوم على مبدأ "اللاتماسك" ⁸⁷⁵ وهي الفكرة نفسها أثارها (جاك دريدا) عندما صرح بأنه: "ينبغي على القارئ قراءة النص من منطلق أنه إنتاج غير قابل للتجميع" ⁸⁷⁶.

واشتهر جاك ديريدا بكتاباته العديدة والمتنوعة اهتمت بفلسفة التفويض نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هرسل" ⁸⁷⁷، "الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد" ⁸⁷⁸ و"في عالم الكتابة"، ترجمة: أنور مغيث ومنى طلبة. ⁸⁷⁹

واكتسب (جاك دريد) شهرة أكاديمية على إثر المحاضرة التي قدمها بأمريكا سنة 1966 وتأثر به جمع من النقاد الأمريكيين وفي مقدمتهم (بول دي مان) الذي أسس مدرسة في النقد الجديد سماها بـ: "مدرسة يال" ECOLE DE YALE بمعية كل من: (جوزيف هيليس ميلر)، (جيفري هارتمان)، (هارولد بلوم) وغيرهم الذين حاولوا في أبحاثهم التأسيس لنقد جديد ⁸⁸⁰

⁸⁶⁹ ينظر خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، ص 331.

⁸⁷⁰ المرجع السابق، ص 331.

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص168. ⁸⁷¹

رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، ط3، المغرب 1993، ص82. ⁸⁷²

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 86. ⁸⁷³

أنظر: المرجع السابق ص175. ⁸⁷⁴

أنظر المرجع السابق، ص 175. ⁸⁷⁵

أنظر: المرجع السابق، ص175. ⁸⁷⁶

⁸⁷⁷ جاك دريدا: الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هرسل، ترجمة فتحي انتزو، ط1، 2005 .

⁸⁷⁸ جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988.

⁸⁷⁹ جاك دريدا: في عالم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث ومنى طلبة، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005.

أنظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 176-177. ⁸⁸⁰

واتخذت التفكيكية عدة مفاهيم عند النقاد العرب فيعتبرها بسام قطوس بأنها: "طريقة معينة لقراءة النصوص أو بالأحرى إعادة لقراءة الخطابات.⁸⁸¹ أما الناقدة (ميجان الرويلي) فتري أنها كيفية لإيجاد الشرح بين المصرح به في النص و المسكوت عنه إظهاره⁸⁸² أما الناقد الجزائري بارة عبد الغني يعتبر القراءة التفكيكية المحررة للبنية التي ظلت حبيسة التفسير الخرافي والمتافيزيقي وسمحت بإبراز الجانب الآخر من العقل.⁸⁸³ ويعرفها الناقد (علي حرب): "التفكيكية ليست مجرد أسلوب في التفكير وأوسع من أن تحصر في مجموعة من الإجراءات المنهجية.⁸⁸⁴ فهي ممارسة تقوم على: "تفكيك المعنى وإعادة إنتاجه بالعمل على زحزحته أو تحويله⁸⁸⁵ ". إنها إستراتيجية لقراءة جديدة تسعى : "للكشف عن اللامعنى القابع خلف المعنى⁸⁸⁶ " واستحدا آليات جديدة للقراءة تجسدها مقولته المشهورة: "الألة القديمة صدئت ولا بد من تفكيكها.⁸⁸⁷ حيث ظهرت بوادر هذه الحركة النقدية منتصف الستينات من القرن الماضي ومن أشهر روادها: جاك دريدا، ميشال فوكو، جيل دولوز، جاك كان... وتعد فلسفة جديدة دعا إليها الفلاسفة والنقاد في إنتاجاتهم وأفكارهم وكتاباتهم⁸⁸⁸

ومن أهم المصطلحات التي تمثل مرتكزات الفكر التفكيكي وهي:

مصطلح الاختلاف:

يمثل الاختلاف المصطلح الجوهرى في معجم التفكيكية، يحمل مشروعا فلسفيا وفكريا تعود جذوره إلى فلسفة (فريدريك نيتشه) و(إيمانويل لفيناس) (مارتن هيدجر) ليكتمل بناءه مع (جاك دريدا) . ويرتبط مفهوم المصطلح بما يتركه الصوت من أثر إنه يمثل ظاهرة تدل على دال معين، ويعد الصوت شاهدا على حضور المتكلم من خلال ذاته التي هي بحاجة إلى تأكيد حضورها من خلال الكلام والتعبير بالصوت، فكلما سعت جاهدة من أجل أن تؤكد هذا الحضور كلما تجد نفسها دوما تشعر بحالة من حالات الاختلاف⁸⁸⁹ . ويحمل المصطلح بديلا فكريا وفلسفيا عن الاعتقادات والقناعات التي تحمل تفسيراً ميتافيزيقيا وأحاديا في أوروبا⁸⁹⁰ إنه وجه آخر من أوجه التعبير يقر بفلسفة التغيير والرأي المخالف. ويتجلى حضور الغائب في اللغة وبالتحديد في الدال إذ لكل دال مدلولات متعددة فالدال الحاضر يدل على الغائب فمثلا لفظة : (مهلكة، مملكة .) فبالرغم من تقارب الألفاظ من بعضها البعض وتوحي إلى بعضها البعض إلا أن عملية الإحالة على المدلولات غير محددة

⁸⁸¹ بسام قطوس: استراتيجيات القراءة التأصيل والجراء النقدي، مؤسسة حمادة ودار الكندي، ط1، عمان، 1998، ص19.

⁸⁸² ينظر الرويلي ميجان والبازغي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، الدار البيضاء 2005، ص108.

⁸⁸³ ينظر بارة عبد الغني: الهرمينوطيقا والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1، بيروت 2007، ص 44.

⁸⁸⁴ علي حرب: الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت والدار البيضاء 2000، ص24.

⁸⁸⁵ علي حرب: المصالح والمصائر، صناعة الحياة المشتركة، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ط1 الجزائر بيروت 2010 ص33.

⁸⁸⁶ ينظر المرجع السابق ص 33.

⁸⁸⁷ المرجع السابق ص 134.

⁸⁸⁸ أنظر يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 168.

⁸⁸⁹ ينظر الحميد الحميداني: الفكر الأدبي مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة أنفوبرنت، فاس، 2009، ص208.

⁸⁹⁰ ينظر عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، ص 50.

وكل مدلول مستقل بذاته وهذا هو الاختلاف الذي قصده (دريدا) وذكره في معنى قوله أن الكلمة ليست بريئة تحمل ضمنها أثرا يدل على بقايا الكلمات الأخرى السابقة الذكر وعليه فإن المعنى يتوالد من النص ومن جهد القارئ.⁸⁹¹

مصطلح التشئت / الانتشار:

معناه التناثر والانتشار يمثل، آلية إجرائية في تفكيك بنية النص الكبرى إلى بنيات صغرى وإعادة نثر وحداتها وجزئياتها وتوزيعها، التي تتضمنها عناوين وتعليقات النص. وتتضمن فكرة التقويض التي تتمثل في: " فصل الرأس عن الجسد بحيث يعمل عنصر التشئت على وتيرة أكبر مخلفا كم من الخسائر والتصدعات في النص دون أن ينغلق أو إصباغ أي شكل تام عليه".⁸⁹² وتتجلى وظيفة وهدف تشئت أفكار وبنيات النص أثناء القراءة الأولى تبين المعنى المباشر له. والمراد أيضا من عملية النثر هذه البحث أثناء القراءة الثانية في التناقض والانسجام بين وحدات النص والتوصل إلى المعنى الضمني.

الأثر:

فهو متمم لمفهوم الاختلاف ومفسرا له إذ من خلال التضاد الحاصل بين ثنائية الكلمات تترك كل كلمة أثرها مقابل الطرف الثاني بحيث: " كل عنصر يتأسس انطلاقا من الأثر الذي تخلفه العناصر الأخرى في السلسلة أو النسق".⁸⁹³ أي أن البنية تحيل القارئ على معنى ضمني متخفي على شكل إحياءات ورموز وما عليه إلا تتبع أثرها الدلالي.

الحضور والغياب:

يتجلى في معنى في النص ويمكن أن تنتجه وتولده معاني البنيات اللغوية بكل عناصرها المختلفة التي تمنحه صفة، الحضور والغياب، التجلي والتخفي.

خصائص المنهج التفكيكي

من خصائص المنهج التفكيكي، الاهتمام بالنص الأدبي وتفكيكه والوقوف على معانيه ودلالاته التي تتضمنها بنيات النص. ويتأسس التفكيك على القراءة للنص قراءة أولى تختص بتبيين المعاني الظاهرة التي تطفو على السطح. أما الثانية فتقوم على البحث في بنياته للوصول ومعرفة سبيل التناقضات الداخلية للنص واستجلاء دلالة المعاني و تفسير عدم الاستقرار التي احتوتها البنيات ومقابلتها بالمعاني المباشرة للنص بغية اكتشاف القارئ المعنى الخفي.⁸⁹⁴ وفي سبيل هذه الغاية تضع التفكيكية القارئ (المفكك للنص) كطرف فاعل في عملية تفاعلية جديدة من أجل التوصل إلى المعنى المضمر الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بمخزونه المعرفي والثقافي. وعلى القارئ أن يهتم في تعامله مع النصوص بكل ماهو ثانوي

⁸⁹¹ خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006، ص333.

⁸⁹² جاك دريدا: مواقع حوارات ترجمة وتقديم فريد الزاهي، دار توبقال للنشر 1988، ص46.

⁸⁹³ جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988، ص31.

⁸⁹⁴ عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص170.

وعرضي وإلى كل ما هو رئيسي وجوهري بحيث لا فرق بينهما ، إذ أن يتحول الهامشي إلى رئيسي والعكس أيضا في النص من شأنه المساهمة في رسم وبناء معنى جديد له.
تطبيقات المنهج التفكيكي:

ظهرت التفكيكية في أوروبا معارضة البنيوية ومنتقدة لمفاهيمها وأفكارها وبزغ نجمها في منتصف القرن العشرين بفرنسا على يد الفيلسوف (جاك دريدا) وانتقلت إلى أمريكا ثم باقي الدول الغربية الأخرى. وكانت المدرسة التفكيكية الأمريكية من بين المدارس التي تميزت بقراءة النصوص وتفكيكها ممثلة في "مدرسة ييل" الأمريكية متبنية لأفكار وفلسفة الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) ومن بين روادها الذين ساروا على نهجه كل من: (بول ديومان) و(هيلز ميللر) و(جيفري هارتمان) وشكلت تفكيكية (بول ديومان **Paul de Man** 1919-1983) نقطة تحول كبرى في مجال الدراسات النقدية المعاصرة ميزتها جهوده في تقويض وتشريح النصوص، التي تضمنها كتابه بعنوان: "العمى والبصيرة" صدر في سنة 1971 شن ثورة فكرية عارض من خلالها النقاد الذين ينتهجون مناهج نقدية في تحليلهم ودراسة النصوص وهي لا تفي بالغرض واصفا إياها بالعجز والتقصير، فلم يوظفوا بصائرهم كأنهم أصيبوا بالعمى فضلوا سبيلهم وابتعدوا عن الموضوعية في تطبيقاتهم لاكتشاف معنى جديد. وركز كتابه الثاني الذي اختار له عنوان: "أمثولات القراءة" أصدره سنة 1979 على فلسفته وأفكاره التي تضمنها منهجه التفكيكي وشكل كتابه هذا تنمة وتكملة للأفكار التي عرضها احتواها كتابه الأول⁸⁹⁵.

وتتميز زميله (جون هيلز ميللر **J.Hills Miller**) في "مدرسة يال" الأمريكية بالتطبيق على القصة دراسة وتشريحا لبنيتها اللغوية احتواها كتابه الموسوم بـ: "القص والتكرار" أما الناقد (جيفري هارتمان **Geoffery Hartman**): الذي عارض بشدة المناهج النقدية الحديثة منتقدا الأفكار التي تبنتها البنيوية ولم يوافق ديريدا في جل أفكاره ولقب ساعتها بالناقد المعتدل والوسطي⁸⁹⁶

تطبيقات المنهج في العالم العربي:

أما العرب فاستقبلوا المنهج التفكيكي كغيرهم من المناهج النقدية الأخرى عن طريق الترجمة والاقتباس ووسم بالاختلاف والتأرجح بين الرفض والتأييد والقبول والوسطية⁸⁹⁷. وتتجلى جهودهم في مجال التفكيك ممثلة في أجتهدات الناقد السعودي (عبد الله الغدامي) حيث تمكن من تعريب المصطلح ليصير موازيا للتفكيك ألا وهو "التشريحية" حيث ورد على لسانه:

⁸⁹⁵ رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، ص 155.

⁸⁹⁶ ينظر عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص 173.

⁸⁹⁷ ينظر عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص 173.

احترت في تعريب هذا المصطلح ولم أر "النقض" و"الفك" ولكن وجدتهما يحملان دلالات سلبية تسيئ إلى الفكرة. ثم فكرت باستخدام كلمة "التحليلية" من مصدر (حلّ) أي نقض، ولكنني خشيت أن تلتبس مع (حل) أي درس بتفصيل. واستقر رأيي أخيراً على كلمة "التشريحية" أو تشريح النص والمقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النص من أجل إعادة بنائه. وهذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائي كي يتفاعل مع النص⁸⁹⁸. ويتضح من القول أن مفهوم التفكيك في رأي (الغدامي) إعادة البناء. أما (سعيد علوش) فقد اختار مصطلح "التفكيك" متأثراً بمفهومه في الثقافة الفرنسية DECONSTRUIRE⁸⁹⁹. وابتدع (شكري عزيز ماضي) مصطلح "اللابناء"، أما (مجدي أحمد توفيق) فقد وظف مصطلح "نظرية التفكيك" واستقر (يونييل يوسف عزيز) على مصطلح "التحليلية البنوية"⁹⁰⁰.

واتخذ بعض الدارسين العرب منهجاً تطبيقياً اهتم بالخطاب الأدبي شعراً ونثراً حيث تبنى في الجزائر الناقد عبد المالك مرتاض التفكيكية ووظفها كآلية في قراءة وتقويض نصوص أدبية عديدة ومن بين دراساته: "جمال بغداد تحليل سيميائي تفكيكي" و"تحليل الخطاب السردية" ويتميز منهجه التفكيكي بهدم وتقويض النص وتشريح وحداته وتحليلها باحثاً عن جوهره الذي يتجلى له بعد إعادة بناءه من جديد. ومنه يكون جاك دريدا قد استطاع بأفكاره الفلسفية لمنهج التفكيك أن يغزو بلدان العالم من أوروبا وأمريكا والعالم العربي معلناً عن ميلاد عهد جديد يجمع بين العقل واللغة والقارئ. ووظف عبد المالك مرتاض مصطلح "التشريحية" الذي يعني "القراءة المجهريّة"⁹⁰¹ ويستند منهجه التشريحي على فك بنيات النص إلى أجزاء ثم التوصل إلى جوهر التقويض بإعادة تركيب أجزاءه لتبدو في شكل جديد⁹⁰². ويتجلى منهجه التفكيكي من خلال كتابه المعنون ب (أ/ي) دراسة تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة⁹⁰³ ويظهر تأثير مرتاض برولان بارت صاحب كتاب (S-Z) الذي يعد مرجعاً أساسياً استمد منه عبد المالك مرتاض أفكاره كون أن الكتابان يقومان على أساس حرفين⁹⁰⁴. وفي نفس السياق قام الناقد السعودي عبد الله الغدامي في كتابه: "تشريح النص" بتوظيف التشريح كآلية للقراءته وتقويضه غايته في ذلك إعادة تركيبه⁹⁰⁵ كما شكل كتابه الثاني المعنون بـ: "الخطيئة والتكفير من البنوية إلى التشريحية"⁹⁰⁶ اهتم فيها بتحليل الخطاب الشعري العربي واعتبرت جهوده ميزة في تشريح الخطاب الشعري.

يوسف وغلسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ص 184. 898

أنظر المرجع السابق، ص 183. 899

المرجع السابق ص 184. 900

ينظر يوسف وغلسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2003، ص 316. 901

902 ينظر يوسف وغلسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، ط1، 2008، ص 347.

903 ينظر عبد المالك مرتاض: أ/ي، دراسة تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط) الجزائر 1992.

904 ينظر يوسف وغلسي: الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض، ص 69.

905 ينظر يوسف وغلسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 312.

906 عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير من البنوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي للعلوم، ط6 بيروت والدار البيضاء 2010،

مصادر ومراجع المحاضرة:

- الحميد الحميداني: الفكر الأدبي مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة أنفوبرنت، فاس، 2009.
- خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006،
جاك دريدا: مواقع حوارات ترجمة وتقديم فريد الزاهي، دار توبقال للنشر 1988،
جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988،
الحميد الحميداني: الفكر الأدبي مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة أنفوبرنت، فاس، 2009.
- خليل موسى: جماليات الشعرية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006،
جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال الدار البيضاء، 1988،
بسام قطوس: استراتيجيات القراءة التأصيل والاجراء النقدي، مؤسسة حمادة ودار الكندي،
ط1، عمان 1998.
- الرويلي ميجان والبازي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكبر من تسعين تيارا ومصطلحا
نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، الدار البيضاء 2005.
- بارة عبد الغني: الهيرمينوطيقا والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم
ناشرون ط1، بيروت 2007.
- علي حرب: الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت
والدار البيضاء 2000.
- علي حرب: المصالح والمصائر، صناعة الحياة المشتركة، منشورات الاختلاف والدار
العربية للعلوم، ط1 الجزائر بيروت 2010.

التأويلية

المحاضرة التاسعة

أ.خالدي سمير

يعتبر مصطلح التأويل أو "الهيرمونوطيقا" *heméneutique* من المصطلحات القديمة ارتبط بشرح وتفسير النصوص الدينية وإظهار ما صعب وغمض منها على المتلقي. يرتبط نشأته بتفسير النصوص الدينية وفق آليات ومراحل يتقيد بها المؤول ليبسط الفهم لمن صعب عليه ذلك. ويرى الدارسون أن المصطلح "الهيرمونوطيقا" تعود جذوره إلى العهد اليوناني حيث اعتبره الفلاسفة آنذاك آلية إجرائية لقراءة النصوص الأدبية عموماً وفهم محتواها مثل تفسيرهم لإلياذة هومروس التي شكلت نوعاً من الغموض لدى القارئ آنذاك: "فكان الإله والرسول هرمس اليوناني يزود البشر ويعينهم على فهم، ويبلغهم التعليمات فكان همزة وصل بين الآلهة والرعية التي كانت تتلقى الشروح والتفاسير من هرمس⁹⁰⁷". ويعرفها البعض بأنها (علم التأويل) و (فن التأويل) ويعد من أقدم الاتجاهات التي اهتمت بتفسير النص وفهمها.⁹⁰⁸ وعموماً فإن المصطلح قد نشأ في حضان بيوت الكنائس والقديسين والدراسات اللاهوتية، حيث أصبح يعني الالتزام والتقيد من طرف المفسر بضوابط وقوانين محاولة منه فهم معانيه. ليمتد توظيف المصطلح في العصر الحديث في أوروبا إلى النصوص الأدبية والفنية من شعر ونثر وأسطورة لتشمل أيضاً الأحلام والرموز.

تعريفه التأويل لغة:

ورد في معجم الصحاح في مادة (أول): "التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته وتأولته بمعنى".⁹⁰⁹

ومعناه عند (ابن فارس): "أل، يؤول، أي رجع وقال يعقوب: يقال أول الحكم إلى أهله أي أرجعه ورده إليهم، وقال الأعشى: "أول الحكم إلى أهله".⁹¹⁰

تعريف التأويل اصطلاحاً:

عرف (الجويني) في كتابه: البرهان: "التأويل رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول".⁹¹¹ ونظراً لكثرة وتعدد تعاريف مصطلح التأويل عند العرب منذ القديم يكون الإمام (ابن تيمية) قد قدم لنا تعريفاً موجزاً ووافياً يجمع فيه المعاني التي تعددت وتداولت عندهم حيث قال: "التأويل في عرف المتفقهة والمتكلمة والمتصوفة ونحوهم هو: حرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه به".⁹¹²

ديفيد كوزينز هوى: الحلقة النقدية، الأدب والتاريخ والهيرمونوطيقا الفلسفية، ترجمة وتقديم خليدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، القاهرة 907

2005م، ص 13

908 ينظر فاطمة الطبال بركة: النظرية الأسنوية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (د.ط)، (د.ت)، ص 56.

909 الجوهري: الصحاح، مادة أول، الجزء الرابع، ص 1627.

910 ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق السلام هارون، ص 159.

911 الجويني: البرهان، تحقيق الديب، ط1 الجزء الأول، ص 511.

912 يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النقدي، دار القارئ، ط1، بيروت لبنان، ص 25.

ويرى المؤرخ والفيلسوف الانجليزي المعاصر (آريون لوثر) أن أصل كلمة يوناني (hermé) وتعني : التعبير الشرح والتفسير⁹¹³ وتقابلها بالفرنسية Interprétation وبالعربية: "تأويل" وتحمل الكلمة ويعتبر (جون غروندين) أن المصطلح يعني: "فن تأويل النصوص"⁹¹⁴ يوظف في قراءة الاساطير وفك شيفرات الخطابات الفنية والادبية⁹¹⁵. أما (بول ريكور) فيعتبره نظرية لعملية الفهم.⁹¹⁶ ليبشده المصطلح في العصر الحديث مع (ديلتاي) تطورا في الدلالة ، يهتم "بوضع قواعد شاملة لفهم النص تعتمد على توظيف العلم في التأويل والتفسير متوخيا الموضوعية في الطرح"⁹¹⁷. ونستنتج من التعريفات السابقة أن هناك تباين واختلاف في الفهم للنقاد في وضع حدود فارقة بين (التأويلية) و(الهيرمونيطيقا) فالتأويلية: هي استنباط المضمون الخفي وإظهاره معناه ، أما (الهيرمونيطيقا) تستند على مناهج فكرية وطرائق مختلفة بغية تأويل الفكرة وتفسيرها .

النص، موضوعا للتأويل:

يمثل النص موضوع التأويلية سواء كان دينيا أو أدبيا فهو المحرك الأساسي للتأويل فعرف مع(رولان بارت) يعرف تطورا ملحوظا في دلالاته ومعانيه خصوصا بعد ما نادى بفكرة موت المؤلف، أخذ النص استقلالته بوصفه بنية لغوية مستقلة مغلقة على ذاتها كما استفاد النص من تطور العلوم الإنسانية والدراسات النقدية والأدبية مع بداية عصر النهضة في أوروبا.⁹¹⁸ وقد اختلف النقاد في تعريف النص حيث يقول في نفس السياق (سوينسكي): " لكل إنسان مثقف تصور للنص مرتبطا لغويا بالمحيط الذي يعيش فيه."⁹¹⁹ وأدى هذا الاختلاف والتعدد في مفهوم النص إلى ظهور اتجاهين: الأول يرى النص أنه بنية مستقلة ومغلقة على ذاتها أما الثاني وهو مناقض للأول، يرى أن النص متعدد الرؤى والمعاني وقد عبر عن الفكرة نفسها الناقد (صلاح فضل) حيث قسم النص إلى نوعين : نص ثابت مستقل وهو رأي البنيويين ونص متحرك من خلال تفكيكه والتوصل إلى معانيه المتعددة كنتيجة للحوارية والمثاقفة بين النصوص.⁹²⁰

⁹¹³ Kelkel, Arion Lothar, 'La légende de l'Etre, langage et poésie chez Martin Heidegger' (Librairie philosophique, Jean Vrin, Paris, 1980), p 186

⁹¹⁴ عبد الغاني بارة: الهيرمونيطيقا والترجمة، مقارنة في أصول المصطلح وتحولاته، مجلة الآداب الأجنبية ، العدد 133، ص4 .

⁹¹⁵ ينظر المرجع السابق، ص5.

⁹¹⁶ بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة: محمد برادة، حسان بورقيبة، الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الهرم ، ط1 القاهرة 2001، ص58.

⁹¹⁷ ينظر حسن بن حسن: النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر 2003، ص14.

⁹¹⁸ ينظر سعيد يقطين: من النص إلى النص، المترابط، عالم الفكر، ع2، مجلد32، أكتوبر ديسمبر 2003، ص74.

⁹¹⁹ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة 1997، ص3.

⁹²⁰ ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص ، عالم المعرفة، العدد 164، الكويت، 1992، ص238،

التأويل عند الغرب:

ومن أهم أعلام التأويلية_وأبرزها (شليمر ماخر فريديريك) 1768-1834 : في ألمانيا: "لاهوتي وفيلسوف ألماني أسس جامعة برلين ما بين 1798 و1816 درس بها الفلسفة. مؤسس الهيرمونيطيقا العامة وأبو الدراسات الدينية والحديثة متأثر بفلسفة أفلاطون." ⁹²¹ يعود له الفضل في نقل التأويلية من حقل الدراسات اللاهوتية إلى حقل العلوم الإنسانية حيث وصفه الناقد (نصر حامد أبو زيد) بـ: "مؤسس علم التأويل العام ، هو علم الفهم الذي ينطلق من الخطاب الشفهي وليس من النصوص ، ويمحور مسألة الفهم على المتكلم الأجنبي وعلى ذاتية المؤلف واضعا بذلك التفسير النفسي أو التقني إلى جانب التفسير النحوي" ⁹²².

وانطلق (شليمر ماخر) في تأويليته للنص من سؤال جوهرى وهو كيف يمكن فهم أي عبارة أوقول ؟ واعتمد على جملة من المحددات في النص ودراسته من جانيبه اللغوي الأدبي أو التركيبي النحوي . ويكون بالتوصل إلى معاني الكلمات من خلال جملها و نقل فكر المؤلف إلى القارئ ⁹²³. أين تكون لغة الكاتب والقارئ ومستواهما الفكري والثقافي عاملا مهما ووسيطا استراتيجيا في كشف معنى النص الخفي وإدراكه وفهمه فتمثل هذه العناصر في مجملها عوامل تساهم في فك شفرات الخطاب وإعادة بناء معناه.

ولم يغفل (شليمر ماخر) العلم النفسي الذي يعده حلقة مهمة في عملية التأويل وفهم النص من خلال كشفه لنفسية الكاتب جاعلا العلاقة التاريخية كائنة بين ثنائية (الموضوع والذات) حيث يقول: "كلما تقدم النص في الزمن كلما أصبح أكثر غموضا للقارئ... لا بد من قيام علم أو فن يقربه من الفهم الصحيح للنص." ⁹²⁴ فكانت رؤية (شلاير ماخر) التأسيس لقارئ متميز يحتضن التأويلية وفق علم و منهجية جدية تساهم في فهم النص عبر مراحل التاريخية.

أما (فلهم ديلتاي) (Dilthey Wilhem) 1833-1911 وهو فيلسوف ألماني وأستاذ بجامعة برلين، حاول التنظير للتأويلية والتأسيس لمنهج يعتمد على العلوم الإنسانية والاجتماعية بعيدا عن مناهج العلوم الطبيعية فهي في نظره عاجزة عن الوصول إلى فهم الظاهرة الإنسانية وأوضح أن هناك اختلاف بين العلوم الطبيعية والاجتماعية واعتمد في ذلك على نوعين من التجربة الأولى ذاتية تقترب من الفكر والعلوم الإنسانية والثانية تجربة علمية تبتعد عن كل ما هو غيبي ميتافيزيقي : " إذ أن الفارق بين العلوم الاجتماعية مشتقة من العقل البشري بينما العلوم الطبيعية من الطبيعة." ⁹²⁵ يبدو أن دالتاي من أشد المنتقدين للتفسير الميتافيزيقي معتبرا الفهم نتيجة لتفاعل التجربتين معا من أجل تحديد معنى وشكل

⁹²¹ ينظر عادل مصطفى : فهم الفهم ن مدخل إلى تاريخ التأويل الهيرمونيطيقا ملاحظات أولية حول الفكر التأويلي، مجلة التسامح، وزارة الشؤون الدينية ، سلطنة عمان، 2004، ص69.

⁹²² نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط6 الدار البيضاء المغرب 2006، ص20 .

⁹²³ ينظر نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، ص13

⁹²⁴ نصر حامد أبو زيد: صناعة المعنى وتأويل النص ضمن نظرية المعنى بين الشرح والتفسير والتأويل، منشورات كلية الآداب ، منوبة، تونس

1992، ص16.

⁹²⁵ نصر حامد أبو زيد: صناعة إشكالية القراءة وآليات التأويل، ص24 .

جديد للنص.⁹²⁶ معتبرا الفهم أداة ناجعة للتوغل إلى جوهر الأشياء لتفسير الظاهرة الطبيعية، وأن التجربة الذاتية، أساس فهم الظاهرة الإنسانية وكان يردد دوما مقولة: "إننا نفسر الطبيعة ونفهم الحياة النفسية"⁹²⁷. ويعتمد الفهم في نظره على النشاط العقلي والفكري في تأويل العلامات والرموز وتحليلها وفهم معناها.

اعتمد الفيلسوف (إدموند هوسرل) رائد الفلسفة الظاهرانية في تأويليته بحيث يرى أن للوجود دور مهم في التأثير على الإنسان الذي يرتبط به أيما ارتباط فمنهجه يستند على المعرفة بالوجود وكيف تتمظهر الأشياء بداخله ليعيد ترجمتها إلى معاني جديدة وهو المبدأ نفسه الذي يتبناه الفيلسوف (هيدغر). مارتن (Heidegger Martin) 1976-1889 فيلسوف ألماني ومفكر وجودي بأفكار (هوسرل)⁹²⁸ حيث تقوم تأويليته على الفهم الذي: "ينبع من تجلي الشيء الذي نواجهه من الحقيقة التي ندركها."⁹²⁹ ورفض الفصل بين (الذات /الوجود) واعتبر الإنسان ف يمثل ذات عارفة بنفسها ثم تتجه بعد ذلك نحو معرفة العلم: "إن الإنسان ليس بالذات إلا الاستيمولوجيا (العارفة) المنعزلة التي تدرك وجودها أولا ثم تحاول بعد ذلك البرهنة على وجود العالم ، فالعالم بهذا المعنى مكون لوجود الإنسان.

يتخذ (هانس غيورغ غدامير) من التفسيرات الأولية وقيمة التراث التي يمثل بالنسبة للإنسان وجوده وهويته فالنص القديم الجوهر فيه ليس بنياته اللغوية أو جماليته وإنما مقاصده وغاياته وانتقال النص وتكونه عبر مراحل الزمن هي من تحرك في القارئ هواجس التأويل يولد فيه الإنفعال والرغبة في قدرة الفهم على ترجمة معنى النص .

أما (بول ريكور) خالف (غدامير) حيث تعتمد "للهرمنيوطيقا" الجديدة في نظره على جملة من قواعد التفسير والشرح بقوله: "نشأ مفهوم "الهيرمنيوطيقا" في البداية عند تفسير النصوص الدينية ومن بعدها النصوص الدنيوية وهذا ما شكل الهرمنيوطيقا كعلم لقواعد التفسير"⁹³⁰. وتعتمد "الهيرمنيوطيقا" أساسا على أن يكون النص المعين قادرا على تقديم المعنى الحقيقي قدر المستطاع.⁹³¹

ويري النص له معنى ظاهر والآخر مضمّر يعمل القارئ على استجلائه للوصول إلى (معنى المعنى)⁹³². وهو عبارة عن مجموعة من الرموز التي تقبع في لاشعور الذات لتظهر في شكل أحلام ورغبات وسلوكات: "...لأن الرموز توجد أولا في الواقع الغير لغوي الذي يطلق عليه فرويد باستمرار الغريزة التي تلمس من خلال ممثليها التفويضييين والعاطفيين، إن هؤلاء الممثلين بتفرعاتهم يظهرون ويستترون في ظواهر المعنى التي تسمى

⁹²⁶ عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مرجع سابق ص 121.

⁹²⁷ محمد شوقي الزين: مدخل إلى تاريخ التأويل الهرمنيوطيقا ملاحظات أولية حول الفكر التأويلي، مجلة التسامح، وزارة الشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2004، ص 153.

⁹²⁸ ينظر جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة ، ص 694.

⁹²⁹ ينظر نصر حامد أبو زيد: صناعة المعنى وتأويل النصضمن نظرية المعنى بين الشرح والتفسير والتأويل، مرجع سابق، ص 32.

⁹³⁰ بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة: فريال جبوري غزول، دار قرطبة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب، ص 139.

⁹³¹ ينظر بول ريكور : البلاغة والشعر الهرمنيوطيقا، ترجمة: مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد، ص 114

⁹³² بول ريكور: نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب

2003، ص 97.

بالأعراض والأحكام والأساطير والمثل العليا والأوهام... إن قوة الرمز تنبع من كونه يعبر عن مكر الرغبة من خلال ثنائية المعنى⁹³³. فعن طريق العلاقة الكائنة بين المعنى الظاهر والخفي يدخل المؤول (القارئ) في علاقة تحاورية مع النص وانفتاحه نحو الوقوف على معاني جديدة مختلفة ومتعددة، محولا الرموز إلى لغة من الانطواء والانغلاق نحو الانفتاح⁹³⁴. وعليه فالرمزية في رأي (بول ريكور) تجعل تتبع المعنى الخفي في النص وإظهاره أمرا ممكنا.

ويتميز المفكر والروائي الإيطالي (أمبرتو إيكو) أساسا بالبحث عن الآليات الناجعة والفعالة التي تساهم في التوصل إلى قراءة تأويلية، بعيدة الذاتية أثناء دراستها للنص رافضا في الوقت نفسه مبادئ البنيوية التي تتعامل مع النص من منطلق الأهواء والنزعة الفردية فقدمت قراءة بعيدة عن جوهر التأويل وغايته ويمثل التأويل في رؤية أداة توظف لبناء موضوع جديد للنص⁹³⁵. وعليه فإن تأويلية (أمبرتو إيكو) تقوم على قراءة جادة وفعالة، تهدف إلى إخراج النص من السكون إلى الحركية ومن الانغلاق إلى الانفتاح والفعالية. فهي أداة يوظفها القارئ لتكتشف الحقيقة الجاثمة خلف السطور، وإمطة الحجاب عن المعنى الخفي وإظهاره. ويعتبر النص نتاجا أدبيا مفتوحا بينيته اللغوية و شعريته وجماليته اللامتناهية، تتجلى لنا علاماته سيميائيا في خضم العلاقة بين ثنائية (النص/ التلقي)، فالنص المفتوح والمتميز يصبو إلى إنتاج القارئ النموذجي عبر ثنائية (النص/التأويل): "النص وسيلة تخيلية غرضها إنتاج قارئها النموذجي. وهذا القارئ غير موكل إليه تقديم الحدس الوحيد الصحيح، فالنص يستطيع التنبؤ بقارئ نموذجي مؤهل لتجريب حدوسات لا نهائية⁹³⁶". ولا ينبغي على القارئ الانسياق خلف لذة النص فيوظف في قراءته ما يفقد النص الوقوف وتكشف معناه الخفي فيبتعد بذلك عن جوهر التأويلية الذي يقوم في رأيه على جملة من الضوابط والقوانين من شأنها التحكم في القراءة ومن أجل ذلك وضع (أمبرتو إيكو) جملة من الآليات من شأنها تنظيم العملية التأويلية نوردتها كآلاتي:

وهو أن يتضمن النص الأدبي "حقلا للإحياء" عبارة على مجموعة من الرموز والدلالات الخفية من شأنها أن تفرض على القارئ انتهاج طرائق تأويلية تتناسب مع طبيعة الإحياء أو الرمز للوصول إلى معناه: "فيضل النص يستحضر وجود محفزات بمثابة النقطة التي تستطيع الالتقاء حولها⁹³⁷". وعليه فالقارئ مطالب بتوليد المعنى في النص وهو جوهر التأويلية التي اعتمدها (أمبرتو إيكو) بحيث يكون النص: "المبني على سلطة الإحياء يتجه مباشرة إلى العالم الداخلي للقارئ وذلك بهدف إبراز أجوبة جديدة وغير منتظرة وأصدية

⁹³³ بول ريكور إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة فريال جبوري غزول، مرجع سابق، ص 114.

⁹³⁴ ينظر المرجع السابق، ص 115.

⁹³⁵ إمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص78.

⁹³⁶ إمبرتو إيكو: حكايات عن إسائة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، مصر 2006، ص79.

⁹³⁷ المرجع السابق، ص39.

عجيبة⁹³⁸. " فكلما حقق النص مستوى من الجمالية والشعرية كلما تحقق شرط الحقل الإيحائي.

ويشكل مصطلح " الكلية " ، " الشمولية " أو " الوحدة العضوية " الذي يقوم للنص على استجماع البنيات الدلالية سواء كانت صغرى أم كبرى ثانوية أم رئيسية، ببعضها البعض لبناء المعنى الكلي للنص ويكون (إمبرتو إيكو) بهذا الرأي قد خالف الاتجاه التفكيكي الذي يقوم بتقويض النص إلى وحدات دون أن ينتهي إلى الربط بينها فهذه البنيات: " في تداخلها وتشابكها تستطيع أن تعمل في نوع من التضامن والتوحد على إشباع وإثراء " المدلول الكلي " وليس على تفكيكه وتشخيصه باستمرار⁹³⁹. " ولا يمكن للعلامة اللسانية والغير لسانية أن تتجزأ لها معنى إلا في ضوء التآلف والتلاحم الكلي الذي تحققه هذه البنيات. أما مفهوم " القصديّة " ، ففي حال تحقق شرط ارتباط بنيات النص الصغرى والكبرى الناتجة عن الوحدة الكلية للنص وتلاحمها ضمن تآلف دلالي واحد من شأنها أن تحقق " القصديّة " أو المعنى الإجمالي للنص، ذلك المقصد: " الشفاف الذي ينفي أي تفسير مقحم. " ⁹⁴⁰ فكلما كان النص مفتوحا كلما يولد في القارئ التخيل ولا يتعلق الأمر باكتشاف قصدية المؤلف والقارئ وإنما الغرض هو الوصول إلى قصدية النص ،

وكما يشترط أن يكون التأويل لامحدودا ، أي لا يبقى التأويل فرديا بل يجب أن يكمن في جهود الجماعة من المفكرين والباحثين هدفها التأسيس لمعرفة تخص : " الفكر أو الرأي الذي يحدد الواقع يجب أن يرد إلى مجموعة من الخبراء. " ⁹⁴¹ حتى لا يكون التأويل فرديا ويتصف بالتوافق الجماعي فيكون: " رأي عام توافقي وتصور جماعي للمعرفة. " ⁹⁴² فالتأويل لا بد أن يقوم به أهل المعرفة والاختصاص. إلى جانب التعود على العمل والتفكير ضمن مجموعة بشرية من المفكرين وأهل المعرفة والعلم فإن ذلك يسمح ببناء تصور جماعي ومشارك للمعرفة ويجنب السقوط في القرارات الأحادية التي تسيطر عليها النزعة الذاتية. وتجنب عدم السقوط في متاهات الاستطراد والحشو الإطناب في القراءة، مما يفقد النص معناه الحقيقي ويبعد بالتأويل عن مساره الحقيقي حتى لا يفقد التأويل مقصده وغايته المعرفية .

التأويل عند العرب:

يرتبط مصطلح التأويل في العالم العربي قديما بالتفسيرات الدينية وقراءة وتفسير الآيات والصور القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وما ارتبط بلغة الشعر. عرف مصطلح " التأويل " في العصر الحديث تطورا مع ظهور مناهج واتجاهات نقدية أتاحت فرصة إعادة قراءة التراث الأدبي والنقدي العربي وتبين معانيه الخفية والمضمرة . فلم يعرف المصطلح ثباتا واستقرارا ولم يتفق النقاد وأهل المعرفة على توحيد معناه. وكانت

⁹³⁸ أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح، ترجمة: عبد الرحمان بو علي ، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 2006، ص77.

⁹³⁹ عبد الكريم شوقي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007، ص111.

⁹⁴⁰ أمبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة مصر 2006، ص91.

⁹⁴¹ المرجع السابق، ص 135.

⁹⁴² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على سبيل المثال جهود الناقد (نصر حامد أبو زيد) المتمثلة في كتابه: "إشكالية القراءة وآليات التأويل" درس من خلاله بعض النصوص من التراث النقدي مثل (عبد القاهر الجرجاني) و(ابن جني) وغيرهم والوقوف على مقاصد النص وتعرض إلى إشكالية تطبيق آليات التأويل التي تختلف من النص القرآني إلى النص الأدبي إذ كل نص وله خصوصيته ومميزاته تفرض على القارئ التعامل معه وفق ما تقتضي طبيعته. وكان لـ: (ناصر حامد أبو زيد) تعريفا مميزا للتأويل الذي يذكر فيه أنه: "محاولة الوصول إلى العلم وظاهرة من الظواهر عن طريق اللفظ أو الفكر الإنساني وهذا الفهم لظاهرة التأويل يجعل من التأويل عملية أوسع من التفسير".⁹⁴³ ويذكر أيضا أن التأويل هو مصطلح قديم وجديد في نفس الوقت.⁹⁴⁴ يتيح هذا التعريف السلطة للمؤول الذي يجب عليه أن يتقيد بجملة من الضوابط والمعايير الممثلة في الالتزام باستقلالية النص الأدبي الذي يتميز بنيته اللغوية، والجمالية والأدبية عن باقي النصوص الأخرى. حيث يكفل الشكل اللغوي أداة تواصل يكون القارئ فيها عنصرا مؤثرا في عملية التأويل فكلما تعدد القراءات كلما تعدد المعنى .

استنتاج:

وعلى العموم نجد أن التأويل في النقد العربي المعاصر قد تأرجح بي سلطة المؤلف والنص والقارئ متأثرا بجهود المدرسة الشكلائية والبنوية والتفكيكية وبمفاهيم الهيرمونيوطيقا المختلفة للنقاد والفلاسفة فهي عبارة عن فن التأويل، كانت حكرا على حقل الدراسات الدينية معتمدة على عامل اللغة بوصفها علامة توحى إلى دلالات في فهم معاني النصوص، اتسعت رقعتها لتشمل في العصر الحديث إلى دراسة النصوص الأدبية موظفة في منهجيتها العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع، علم النفس والتاريخ والثقافة... محاولة شيئا فشيئا التأسيس لنفسها منهجا قائما بذاته واضحة الفروق بينها وبين التأويل الذي هو عبارة عن استجلاء القارئ لمعنى النص الخفي .

تتشرط الهيرمونيوطيقا جملة من المعايير التي يلتزم بها المؤول في فهمه للنص وهي ليست ثابتة بل متحول ودائمة التغير والتبدل فالذي يضمن لها ذلك النشاط الفكر واللغوي والثقافي للقارئ وتجربته الذاتية والنفسية التي تعزز من قدرات الهيرمونيوطيقا الوظيفية بالبحث عن المعنى المضمرة أو ما يعرف عند البلاغيين العرب القدامى بـ: "معنى المعنى" وما سماه (بول ريكور) بقصدية النص، إنها مفهوم يتيح قراءات متعددة للنص الواحد بغية وضع منهج استراتيجي لتتحول بذلك القراءة إلى إبداع ومن السطحية إلى العميقة في رحلة البحث والتنقيب عن معنى المعنى.

إمبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2006.

⁹⁴³ ناصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص232.

نصر حامد أبو زيد: إشكاليات وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 1992، ص14.⁹⁴⁴

- أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح، ترجمة: عبد الرحمان بو علي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 2006، ص77.
- عبد الكريم شوقي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007.
- أمبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة مصر 2006،
- 1 ناصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1999،
- نص حامد أبو زيد: إشكاليات وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت 1992، 1.
- 1 بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة: فريال جبوري غزول، دار قرطبة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب،
- 1 ينظر بول ريكور: البلاغة والشعر الهيرمنوطيقا، ترجمة: مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد،
- 1 بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2003.
- 1 بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة: فريال جبوري غزول، مرجع سابق،
- 1 ينظر المرجع السابق،
- 1 إمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب 2004.

علم السرد

المحاضرة العاشرة

أ.خالدي سمير

السرد لغة:

وردت كلمة السرد في محكم التنزيل في قوله جل وعلى: (ولقد أتينا داوود فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا آل داوود صالحا إنني بما تعملون بصير). (سبأ الآية 10-11) و يعرف لسرد على أنه: "تقدمة الشيء إلى شيء ما تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً، ويقال سرد الحديث ويسرده سرداً: إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً: إذا كان جيداً السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه، وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه"⁹⁴⁵.

⁹⁴⁵ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة سرد، ص273.

ورد في المعجم الوسيط: " درع مسرودة ومسردة بالتشديد، فقيل سردها، نسجها وهو تدخل الحلق بعضها في بعض، والسرد الثقب والمسرودة المثقوبة، ويقول يسرد الحديث: إذا كان جيد السياق له، ويسرد الصوم تابعه وتقول العرب في الأشهر الحرم ثلاثة سرد أي متعاقبة وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم.⁹⁴⁶"

السرد اصطلاحاً:

السرد (NARRATIVE) وهو الحديث أو الحكى أو الإخبار "ويقاله بالفرنسية (NARRATION) ، (NARRATIVE) (NARRATOLOGIE) وبالعربية القص والحكي ويذكر البعض أن السر والمسروود هو الحكى والمحكى⁹⁴⁷."

يعتبر مصطلح علم السرد Narratologie من المصطلحات التي اقتحمت الحقل النقدي بفعل البنيوية وما تميزت به من نتائج في مجال الدراسة الوظيفية لبنية النص الأدبي، وتعود الأصول والإرهاصات الأولى لعلم السرد إلى فضل وجهود الشكلايين الروس في مقدمتهم (فلاديمير بروب) المتمثلة في كتابه المعنون بـ: "مورفولوجيا الحكاية" وذكر الدكتور صلاح فضل في كتابه "بلاغة الخطاب أن (بروب): " تعرض فيه إلى تحليل تراكيب القصص إلى أجزاء ووظائف ويقصد بالوظيفة بالعمل أو فعل ونشاط الشخصية وحصرها في واحد وثلاثين وظيفة لدى جميع القصص⁹⁴⁸."

ويرجع أول توظيف للمصطلح من قبل (فلاديمير بروب) سنة 1969 تضمنه كتابه "قواعد الديكامرون" وعرفه بمصطلح "علم القصة"⁹⁴⁹ ومنذ تلك اللحظة بدأ المصطلح يعرف حالة عدم الاستقرار والتذبذب وخضع إلى عدة تسميات مثل (نظرية السرد، التحليل السردى، التحليل البنيوي للحكاية، بويطيقا النثر، بويطيقا السرد، التحليل اللساني للرواية...) إلى أن استقر (تزفيتان تودوروف) على مصطلح علم السرد وكان ذلك سنة 1967: "حيث يسعى إلى توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص وتمثل مجاله النظري والتطبيقي خلال تعامله مع السرد وبنيته⁹⁵⁰."

ليعرف المصطلح تطوراً في مجال دراسة الخطاب مع (جيرار جينيت) حيث وظف مصطلح "السردية" (NARRATIVE)⁹⁵¹ وتهتم بالعمل السردى بوصفه خطاباً وشكلاً من أشكال التعبير ويمثل هذا الاتجاه كل من (فلاديمير بروب، وتزفيتان تودوروف

⁹⁴⁶ فيروز الأبادي: قاموس المحيط، مادة سرد، ص 94

⁹⁴⁷ مولاي بوخاتم: مصطلحات التحليل السيميائي السرد والخطاب أنموذجاً

⁹⁴⁸ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر 2010، ص208.

⁹⁴⁹ أنظر مهيوي أمينة خواينبة: طريقة السرد في الحكايات الشعبية المغربية، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية أشرف أ.د عبد الغالي بشير، السنة الجامعية 2010-2011، ص14.

⁹⁵⁰ بان مانفريد: علم السرد، مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا 2011، ص7.

يوسف وغليسي: السردية والسرديات، قراءة اصطلاحية، مجلة السرديات ، ص9، 951.

وجيرار جنيت). بينما وظف (رولان بارت)، (غريماس) و (كلود ريمون) مصطلح بالسيمائية السردية التي تعكف على دراسة العمل السردى باعتباره حكاية متمثلة في جملة من المضامين السردية.⁹⁵² فحاول (رولان بارت) تقديم تعريف بسيط للمصطلح فقال: "إنه مثل الحياة، علم متطور من التاريخ والثقافة".⁹⁵³ لكن في حقيقة الأمر يحمل التعريف أفكار واسعة تجعل العقل البشري يفكر مليا ويتأمل فيها مطولا بحيث يؤكد رولان بارت عن هذا العمق بقوله: "إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثلة والحكاية والقصة".⁹⁵⁴ فتعتمد القصة أو الحكاية على سرد الأحداث تحركها شخصيات في أبعاد زمنية ومكانية بأسلوب مميز تعبر عن فكرة وتصور تجاه قضية ما.

وعرفه سعيد بكراد: "انزياح عن زمنية عادية من أجل تأسيس زمنية جديدة تهىء للتجربة التي ستروى بورتها وإطار وجودها".⁹⁵⁵ "بينما يرى حميد لحميداني بأنه يكمن في الأسلوب الذي يتحدد شكل رواية الأحداث: "بالكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها وما تخضع له من مؤشرات بعضها متعلق بالراوي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها".⁹⁵⁶ "فهو يمثل بالنسبة إليه الأسلوب وطريقة الحي. في حين يعتبر (عبد الله إبراهيم) السردية: "العلم الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردى أسلوبا وبناء ودلالة".⁹⁵⁷ فهي منهج يهتم بدراسة شكل ومحتوى الخطاب والعمل السردى".⁹⁵⁸ إذن السردية هي شكل ومضمون القصة. أما في نظر عبد المالك مرتاض فالسرد هو "إنجاز اللغة شريط محكي يعالج أحداثا خيالية في زمان معين وحيز محدد تنهض بتمثيله شخصيات يصمم هندستها مؤلف أدبي".⁹⁵⁹ فمادام السرد هو نشاط لغوي أو حكي يشترط فيه حضورا أساسيا لعنصري المروي والمروي له.⁹⁶⁰ يفهم مما سبق أن السرد هو نشاط فني ليست لا حدود له، فضاءه رحب يتسع لكل أنواع ومختلف أشكال الخطاب وطرائق السرد فهل يمكن لنا اليوم الحديث عن علم أو منهج يهتم بالسرد والسرديات ويبحث في وظائفه ولغته وجماليته الفنية والأدبية.

ويقوم السرد على ركيزتين مهمتين : الأولى أن يحتوي على قصة تضم أحداثا متنوعة والثانية تتمثل في الأسلوب أو الطريقة الموظفة في عرض الأحداث وتسمى السرد. ويتكون السرد من ثلاثة عناصر هي:

⁹⁵² ينظر عبد الله إبراهيم: السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان 2000، ص17.

عبد الرحيم الكردي: البنية السردية في القصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط3، (د.ت)، ص13.⁹⁵³

سعيد يقطين: الكلام والخبر، مقدمة السرد العربي، ط1، المركز الثقافي، بيروت، 1997، ص19.⁹⁵⁴

⁹⁵⁵ سعيد بكراد: السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب 2008، ص57.

⁹⁵⁶ حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب 2000، ص45.

المرجع السابق، ص17.⁹⁵⁷

⁹⁵⁸ المرجع السابق الصفحة نفسها.

⁹⁵⁹ عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص219.

⁹⁶⁰ ينظر عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردى، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، سوريا 2008، ص70.

- **الراوي:** أو السارد فهو شخصية متخيلة أو كما يسميها (رولان بارت) شخصية من ورق⁹⁶¹، مستترة يوظفها المبدع لمهمة سرد الشخصيات القصة أو الحكاية بوقائعها،⁹⁶² إنها "الذات الناقلة للغة المبدع"⁹⁶³
- **المروي:** ويشمل القصة بما تتضمنه من أحداث وشخصيات وزمان ومكان باختصار بنية الحكي⁹⁶⁴، أو هو موضوع القصة.
- **المروي له:** قد يكون شخصية معينة ضمن بنية الحكي، وقد يكون شخصا متخيلا على حد تعبير عبد الله ابراهيم في كتابه السردية العربية⁹⁶⁵. أو هو بتعبير آخر يمثل المتلقي والمحكي له.

تعريف علم السرد (السردية) :

ذكر (فيصل الأحمر): "أن أصول علم السرد ترجع إلى اللاتينية، فالسرد في اللاتينية هو (NARRATIO) والجزء الأساسي في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل⁹⁶⁶."

تمثل السردية إحدى الروافد التي تفرعت عن أصل قديم وهو الشعرية التي عرفها (تزفيتان تودوروف) في كتابه الموسوم بـ: "الدلالة والنظرية الأدبية" بـ: "نظرية الأدب"⁹⁶⁷ التي شكل سؤال ما الأدب؟ جوهرها وهو التوجه نفسه الذي عبر عنه (رومان جاكسون) في إحدى مقالاته المعنونة بـ: "اللسانيات والشعرية" حيث طرح سؤالاً مهماً بقوله: "ما الذي يجعل رسالة لفظية عملاً فنياً."⁹⁶⁸ وأن للشعرية دور مهم في مجال الدراسات الأدبية لارتباط موضوعها بالتنوع والتباين الذي يطرأ على اللغة في مختلف الفنون والأشكال التعبيرية والسلوكيات اللفظية⁹⁶⁹.

نماذج عن تطبيقات المنهج:

أنظر: المرجع السابق، صنفها⁹⁶¹
 عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص49.⁹⁶²
 مصطفى بوجملين: ثنائية السارد والمسرود له في كتاب (في نظرية الرواية) لعبد الملك مرتاض، قراءة مصطلحية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد10، 2014، ص2.
 أنظر: ميساء سليمان: البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق2011،⁹⁶⁴ ص41.
 أنظر: عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص12.⁹⁶⁵
⁹⁶⁶ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر2010، ص208.
⁹⁶⁷ عبد الله ابراهيم: المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناسق والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، حزيران، 1990، ص148.
⁹⁶⁸ Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage Oswald Ducrot – Tzvetan Todorov.ED. Seuil,1972,p107
⁹⁶⁹ عبد الله ابراهيم المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناسق والرؤى والدلالة، مرجع سابق، ص210.

يمكن لنا عرض بعض النماذج المتعلقة بجهود جملة من النقاد المهتمين بالسرد في العالم العربي ومنها ما قدمه الناقد الجزائري (عبد المالك مرتاض) في كتابه المعنون بـ: "في نظرية الرواية" التي تختص بالبحث في حقل الرواية بوصفها سردا حيث قسم كتابه إلى تسعة مقالات ، فتعرض في الأولى إلى نشأة جنس الرواية ، واهتمت المقالة الثانية بـ: آليات بناءها ، وشملت المقالة الثالثة : البحث في شخوص الرواية ودورها وبناءها وأشكالها في العمل الروائي. وبحثنا لمقالة الرابعة في مستويات اللغة وأشكالها، واشتغلت المقالة الخامسة على الحيز الروائي وأشكاله. واحتل الزمن وعلاقته بموضوع الرواية أهمية في المقالة السادسة وظمت المقالة السابعة وتعرض المقالة الثامنة إلى شبكة العلاقات في السرد . وأما المقالة التاسعة والأخيرة اختصت بدراسة حدود التداخل بين الوصف والسرد في الرواية.

أما صلاح فضل فقد وضع كتاب عنوانه "أساليب السرد في الرواية العربية" تعرض فيه إلى أنواع التعبيرات السردية في الرواية العربية مثل الدرامي ، الغنائي والسينمائي وأتبعه بتطبيقات على جملة من الأعمال الروائية مثل جمال الغيطاني، نجيب محفوظ ، الطاهر وطار إيميل حبيبي ...

وانفردت الناقدة (يمنى العيد) بكتاب عنوانه : "تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، مقسم إلى سبعة فصول اختلفت بين النظري والتطبيقي على الرواية والقصة القصيرة. بينما شد انتباهنا ما قدمه الناقد المغربي (سعيد بن كراد) ترجمة لكتاب: " تأملات في السرد الروائي" (لأمبرتو إيكو) يتضمن تصورا أصيلا عن جنس الرواية حيث شبهها بالغباء ذلك العالم المغلق الجميل لكنه مخيف وغامض وتعرض لقضية المؤلف والقارئ والنص. أما حسين مناصرة فاشتغل على النص السردى رواية وقصة قصيرة في كتاب: "مقاربات في السرد (تطبيقات في الرواية والقصة السعودية) دراسة تشتغل على البحث في مستويات التوظيف وآليات السرد وجماليته واللغة وأشكالها التعبيرية. واشتغل حميد لحميداني على بنية السرد بكتاب عنوانه " بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي. من خلال منهج بنيوي معاصر يبحث التنظير للسرد والمراحل التي مر بها وتمثلات النقد السردى العربى المعاصر.

كانت هذه عينة اخترناها من تراكمات عديدة وكثيرة لدراسات سردية قد تفتح باب الفضول عند طلبتنا للبحث وإثراء معارفهم في حقل السرديات.

استنتاج:

يعد ما تقدم اختصار لأهم محطات "علم السرد" مع أهم أعلامها الذين أثروا بشكل ملفت للنظر في تطور الحقل النقدي، بحيث لازال الموضوع يشكل اهتمام النقاد والدارسين، فمع كل نص سردي جديد أو قصة تتجلى في الأفق نظرة تأويلية لسرده ولغته وخصائص بنيته الخطابية يعتمد فيها الدارس على نظريات وأفكار وآراء في مفهوم النص والخطاب وجمالية

التلقي، فاستطاع علم السرد أن يقدم الإضافة والجديد في مجال قراءة وتأويل النصوص التي يبقى مجالها التأويلي عالما مفتوحا إلى ما لا نهاية.

المصادر والمراجع:

- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010.
- عبد الله ابراهيم : المتخيل السردى ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، حزيران، 1990.
- عبد الله ابراهيم المتخيل السردى مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، مرجع سابق.
- حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب 2000.
- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية.
- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردى، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، سوريا 2008.
- أنظر: المرجع السابق، صنفها¹
- عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)،
- مصطفى بوجملين: ثنائية السارد والمسروود له في كتاب (في نظرية الرواية) لعبد الملك مرتاض، قراءة مصطلحية، مجلة المخبر، أبحاث في¹
- اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 10، 2014.
- أنظر: ميساء سليمان: البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق 2011.
- عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (د.ط)، (د.ت).

نظرية التلقي وفعل القراءة المحاضرة الحادية عشر

أ.خالدي سمير

مقدمة:

استطاع مصطلح التلقي على الرغم من نعومة أظافره أن يؤسس لنفسه حضورا ومكانة متميزة على الساحة النقدية المعاصرة ، ويعد آلية في دراسة الخطاب الأدبي وتأويله مركزا اهتمامه على القارئ ونشاطه الفكري بوصفه مركز ثقل عملية التلقي. فأعادت إلى تشكل المعنى ودلالته واهتمت بالقراءة والتلقي فسمي هذا المنهج بنظرية التلقي⁹⁷⁰. فبدأت الملامح الأولى لنظرية التلقي تظهر في منتصف الستينات وأواخر السبعينات من القرن العشرين على يد (هانس روبرت هاوس) و (ولفغانغ آيزر) من بين رواد مدرسة كونستانس وكان ذلك في حوالي 1967 مركزة اهتمامها للقارئ باعتباره عنصرا أساسيا في عملية القراءة وتأويل النصوص والتعامل معها وفق منهجية وآلية تتميز بالمرونة والسلاسة⁽⁹⁷¹⁾. فكان هدف النظرية : "إعادة الاهتمام إلى سياق النص الفني ومؤلفه مركزة على عنص التلقي كونه البؤرة في تشكيل المعنى⁹⁷²". لينتشر بعد ذلك المصطلح إلى الدول الأوروبية وتحديدا فرنسا حيث بدأ الاهتمام بالجانب الجمالي والتنظيري للتلقي مع أواخر السبعينات على إثر التأثير بترجمة أعمال الفلاسفة والنقاد الألمان في حقل التلقي وتجلي هذا التأثير في مجلات فرنسية نقدية وأدبية مثل مجلة "الأعمال الأدبية والنقدية" سنة 1976⁽⁹⁷³⁾ . إلا أنه يمكن لنا القول بأن الاهتمام بالكاتب كان من بين الاهتمامات الأولى لبدايات النقد الادبي حيث أعطيت

أنظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010، ص107. 970
971 ينظر روبرت هولب: الاستقبال، مقدمة نقدية، ترجمة: عبد الجليل جواط، دار الحوار للنشر والتوزيع، (د.ط)، اللاذقية 1992 ص27.

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، 170. 972

أنظر أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص24. 973

السلطة للكاتب وبدا الاهتمام بهذه الفكرة خلال الدراسات النقدية من خلال المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي وبظهور الشكلائية التي جاءت كرد فعل ضد المؤمنين بفكرة سلطة المؤلف⁹⁷⁴ وحاول النقد الجديد في فرنسا تحويل السلطة من المؤلف إلى النص فأعلنت البنيوية عن موت المؤلف: "ولعل التركيز على النص هو الذي سيؤدي إلى افتراضات أولية حول القراءة في علاقتها مع الكتابة"⁹⁷⁵. فاهتم (رولان بارت) بالقارئ المفترض وبالدراسات الأنثروبولوجية⁹⁷⁶. إن هذا الاهتمام بالنكاتب والنص والعلاقة التي تجمع بينها وما مدى تأثيرها على المتلقي ، لها جذورها في التاريخ الأدبي العربي القديم. فقبل صدر الاسلام كانت تضرب للنابعة الذبياني قبة حمراء في سوق عكاظ ومربد للاستماع إلى قصائد الشعراء فكان يبدي رأيه ويعقب على هذا ويستحسن نظم شاعر آخر فظل الشاعر يكثر حولا من الزمن ينقح قصائده. كأنه كان يدرك أن للأدب خاصيته التواصلية وأن للمستمع والمتلقي ذوقا أيضا .

وترى الناقدة (بشرى موسى صالح) أن النقد قد مرّ بلحظات : " لحظة المؤلف وتمثلت في نقد القرن التاسع عشر التاريخي، النفسي والاجتماعي... ثم لحظة النص التي جسدها النقد البنيوي في الستينات من هذا القرن وأخيرا لحظة القارئ أو المتلقي كما في اتجاهات ما بعد البنيوية ولا سيما نظرية التلقي في السبعينات منه."⁹⁷⁷

أهم المصادر المعرفية لنظرية التلقي

- تميزت المدرسة الشكلائية بجملة من الأفكار التي كان لها أثرها البارز في نظرية التلقي ،باعتقادها على شكل النص ودراسة لغته وأسلوبه ويرى (تينيانوف) أن كل عنصر لغوي في النص يتحد كل عنصر له مع العناصر الأخرى من أجل تحقيق معنى للنص له خصائصه التي تخول له الصدارة⁹⁷⁸.

- شكلت حلقة براغ اللغوية أحد المصادر المهمة في تطعيم نظرية التلقي وتكوينها، باعتبارها النص الأدبي بنية لغوية في دراستها للنصوص الأدبية واعتبرت أنه لا يجب أن تقتصر الدراسة على الجانب الشكلي دون الأنا الجماعي الذي يساهم في يضفي جمالية على النص وإكتسابه لجملة من الخصائص والسمات⁹⁷⁹. وينعت التلقي بأنها: " تيارا ما بعد البنيوية جاءت لتغطية الجوانب التي أهملتها باعتبارها على المحايدة النصية"⁹⁸⁰. فهي ترى أن المعنى ينشأ من خلال تفاعل ذات القارئ بالنص. ومنجهة أخرى

- ويمثل (رومان أنجاردن) رائد الفلسفة الظاهرية، أحد مرتكزات نظرية التلقي تتلمذ على يد (هوسرل) باعتداده على فكرته القائلة بأن البحث الفلسفي يقوم بالأساس على ما يتضمنه العقل والوعي الإنساني وليس ماهو كائن في عالم الموجودات⁹⁸¹. فإدراك المعنى ناتج عن

⁹⁷⁴ أنظر أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، ص26.

أنظر المرجع السابق، ص 26.⁹⁷⁵

أنظر المرجع السابق، ص26.⁹⁷⁶

⁹⁷⁷ بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، بيروت، لبنان 2001، ص32.

أنظر: عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د.ط)، القاهرة 1999، ص76.⁹⁷⁸

أنظر المرجع السابق، ص77.⁹⁷⁹

المرجع السابق، ص 172-173.⁹⁸⁰

أنظر : بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، المغرب 2001، ص35.⁹⁸¹

انتقال الاحساس من عالم النص إلى العالم الداخلي للذات القارئة. فحاول (انجاردن) توظيف مصطلح "التعالّي" في دراساته النصية التي يقوم على بنيتين: الأولى نمطية وتكمن في جوهر الفهم. أما الثانية فهي متحركة تتجلى في شكل النص⁹⁸². فالمعنى ينتج بتفاعل بين ثنائية بنية النص والذات القارئة.

- شكلت **هيرمونيطيقا غادمير** أحد الروافد المؤسسة لنظرية التلقي وتضمن كتابه "الحقيقة والمنهج" على فكرة تتمثل في أن معنى النص يقوم على أساس التفاعل التاريخي بين النصوص الماضية والحاضرة⁹⁸³. كانت الفكرة نفسها لدى (هاوس) شكلت مرجعا أساسيا في بناء نظريته في التلقي في أن الحوارية بين النصوص القديمة والمعاصرة هي جوهر التأويل⁹⁸⁴.

- قدمت **سوسيولوجيا الأدب** خدمة مميزة على إثر مقاربتها للنصوص من وجهة إجتماعية واهتمامها بالقارئ بحيث حولت اهتمامها للقارئ وبهذا الاتجاه الجديد تكون الدراسات الاجتماعية للأدب قد قمهدت الطريق لنظرية التلقي نحو بداية التشكل.

مفهوم التلقي لغة:

ورد في معجم لسان العرب معنى كلمة تلقي: "التلقي معناه فلان يتلقى فلان أي يستقبله"⁹⁸⁵. أما في معجم تهذيب اللغة: "تلقاه بمعنى استقبله والتلقي هو الاستقبال"⁹⁸⁶. وقد وظفت العرب قديما وتداولوا الكلمة في حديثهم وخطابهم فيما بينهم تفيد معنى الاستقبال والأخذ والتعلم.⁹⁸⁷ وخير مثال على ذلك قوله جل وعلا في محكم تنزيله: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه"⁹⁸⁸. وفي قوله أيضا: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد"⁹⁸⁹. ويتبين لنا من خلال الآيتان الكريمات أن كلمة تلقي لم تتضمن لمعنى الاستقبال وإنما ارتبط معناها بمستوى وقوة تأثير الرسالة الخطابية على المتلقي عقيا ونفسيا وحسيا . بينما المعاجم الفرنسية حافظت على معنى: "الاستقبال، والترحاب والاحتفال والاحتفاء"⁹⁹⁰. ليعرف بعد ذلك المعنى تطورا متجاوزا حدود المعنى المتداول إلى معنى "استجابة القارئ"⁹⁹¹ تضمنتها المعاجم الأمريكية بفعل ترجمة أعمال الألمان في حقل التلقي⁹⁹².

التلقي اصطلاحا:

يرتبط المصطلح بجهود مدرستين ألمانيتين كبيرتين : "مدرسة برلين" يمثلها (نومان) تقوم على مبادئ الفلسفة الماركسية في تنظيرها للعملية الإبداعية وتأثير العمل الإبداعي فنيا على

أنظر المرجع السابق، ص35. 982

أنظر المرجع السابق، ص 84. 983

المرجع السابق، ص 84. 984

985 جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور: لسان العرب، ج8، مادة لقا تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2005

ص685.

986 أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى المهروي: تهذيب اللغة مجلد07، باب القاف واللام، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب

العلمية، ط1، بيروت 2004، ص276.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص24. 987

988 سورة البقرة، الآية 37.

989 سورة ق الآية 17.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص24. 990

أنظر أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ص24. 991

أنظر المرجع السابق، ص24. 992

المتلقي⁹⁹³ فهي ترى أن جمالية التلقي يقوم على أربعة عناصر: " المؤلف، النص، المتلقي والمجتمع⁹⁹⁴ " ورأت أن: " العلاقة بين النص والقارئ لا يبرز عملية التواصل قد تتجاوزها إلى عناصر أخرى مثل دور النشر، الطباعة والمؤسسات العلمية والثقافية⁹⁹⁵. " وكان لهذه المدرسة دورا في بناء نظرية لجمالية التلقي التي تدخل فيها عناصر التي سبق ذكرها. أما المدرسة الثانية تتمثل في "مدرسة كونستانس " على رأسها (هانس روبرت ياكوس) و(فولفجانج آيزر) التي تعد مرجعا في التنظير لجمالية التلقي بإرسائها لجملة من المبادئ والأسس للنظرية في منتصف القرن العشرين فكانت للمدرسة رؤيا خاصة تجلت في: " الثورة على البنيوية والوصفية وإعطاء الدور الجوهري في العملية النقدية للقارئ باعتبار أن العمل الأدبي منشأ حوار مستمر مع القارئ⁹⁹⁶. " فركز زعماء مدرسة كونستانس على: "الاهتمام المطلق بالقارئ ودوره الفعال في القراءة وإنتاجه للمعنى وتحديده⁹⁹⁷. بحيث أعادته السلطة إلى القارئ ، وأن التلقي يقوم على معادلة ذات أطراف ثلاثة وهي: " المؤلف – النص- القارئ⁹⁹⁸ " فكانت لها وجهة نظر تخص: "العملية الإبداعية وكيفية تأثير العمل الفني على القارئ وما يترتب عنه من جمالية التي تتكون خلال صيرورة القراءة ذاتها وهو ما أضفى على المدرسة أكثر جدية في التنظير لمصطلح التلقي⁹⁹⁹. "

التلقي عند ياكوس:

وهو أحد أعمدة مدرسة كونستانس التي ظهرت في الستينات كان له الفضل في بناء وتشبيد سرح نظرية التلقي في البحث والكشف عن العلاقة التي تربط بين الأدب والتاريخ من خلال اعتماده لفكرة جديدة أتاحت للنقد الانتقال من علاقة (النص بمؤلفه) إلى علاقة (النص بقارئه) التي يراها لم توظف وتم إقصاءها¹⁰⁰⁰. وله أفكار رائدة في التنظير لجمالية التلقي التي تضمنها كتابيه: " من أجل جمالية التلقي " و "من أجل فن تأويل أدبي¹⁰⁰¹. " ويستند مشروع ياكوس التنظيري على أفكار استوحاها من الفلسفة الظاهرانية ومفهومه للأدب والفن وبحثه عن العلاقة الاتي تجمع بين الفن والجميل¹⁰⁰². ويحمل المصطلح لدى (ياكوس): دلالة أخرى تتعلق بكيفية إحساس ذات القارئ بجمالية التلقي ومدى تأثرها واستيعابها للعمل الأدبي، فيتجلى التلقي في: " ما تملكه الذات القارئة من رؤى جمالية تكشف عنها كل مرة عبر الزمن¹⁰⁰³. " فتصدر عنه أشكال من السلوكيات والانطباعات والأحاسيس التي تنبعث منه في صور مختلفة كالإعجاب، الانتقاد، الاتفاق، ، الاقتناع الإحساس باللذة¹⁰⁰⁴... ويشكل هذا التفاعل بين القارئ والنص ما يسميه (ياكوس) بالصيرورة التواصلية لتاريخ الأدب حيث يكون: " المنتج دائما متلقي حين يشرع في الكتابة بواسطة كافة هذه الطرق المختلفة يتشكل

المرجع السابق ص 34. 993

المرجع السابق ص 34. 994

نفسه ص 34. 995

996 سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفق العربية ، ط1، مدينة نصر 2001، ص 145.

997 ينظر ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل النقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، بيروت 2005، ص 282.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 2004، ص 34. 998

المرجع السابق، ص 35. 999

1000 ينظر موسى صالح بشري: نظرية التلقي، ص 45.

نفسه ص 36. 1001

أنظر المرجع السابق، ص 36. 1002

المرجع السابق ص 36. 1003

مولاي البشر الكعبة: محاضرات في مناهج النقد الأدبي الحديث، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش 2016، ص 126¹⁰⁰⁴

معنى العمل على نحو جديد باستمرار نتيجة تضافر عنصريين: أفق التوقع... الذي يفترضه العمل وأفق التجربة... الذي يكمله المتلقي.¹⁰⁰⁵ إن التلقي لدى (ياوس) يقوم على أطروحة فكرية: "تتكون من ثلاثة مظاهر أولها المظهر التعاقبي يكمن في تلقي النصوص عبر الزمن، والمظهر الثاني تزامني يتعلق بتلقي العمل الأدبي الذي يخضع إلى أنظمة الأعمال الأدبية في لحظة معينة من الزمن، أما المظهر الثالث يختص بالعلاقة بين التطور الداخلي للنص و كذلك التاريخي بوجه عام¹⁰⁰⁶." ونستنتج مما سبق أن المفهوم الجمالي لدى (ياوس) يقوم على علاقة التأثير والتأثر بين ثنائية النص والقارئ التي تتجلى في العلاقة الجمالية الأولى بين (النص بالقارئ) و العلاقة الثانية المتمثلة في فعل القراءة والتأوي

القراءة:

لقد ارتبط مصطلح القراءة بالتلقي إذ لا يمكن يستثنى منه إذ نراه المكمل له وطرفا فاعلا في معادلة جمالية التلقي. ويتبوأ المصطلح مكانة واسعة بين الدارسين والناقدين مكتسحا كل المناهج النقدية على غرار: البنوية، الأسلوبية، السيميائية، التفكيكية والتلقي مما جعل أمر تحديد مفهوم واضح له صعب، أمام تعدد واختلاف الاتجاهات الفلسفية والمشارب الفكرية.

ويعرفها الناقد حسين الواد في نظر النقاد المعاصرين: "ذلك الفعل البسيط الذي نمرر به البصر على السطور، وليست أيضا هي بالقراءة التقبلية التي نكتفي فيها عادة، بتلقي الخطاب تلقيا سلبيا اعتقادا منا أن معنى النص قد صيغ نهائيا وحدد... إن القراءة في رأيهم أشبه ما تكون بقراءة الفلاسفة لتفسير القضايا الوجودية، إنها فعل خلاق يقرب الرمز من الرمز ويضم العلامة إلى العلامة، وسير في دروب ملتوية جدا من الدلالات نصادفها حيناً ونوهمها حيناً فنختلقها اختلاقاً."¹⁰⁰⁷ إذن يكمن جوهر في تبين مدلولات المعاني وإعادة إنتاجها في قالب لغوي الجديد. من خلال عقد شراكة بين القارئ والنص يهدف إلى استجلاء المعاني وإظهار كفاءة وقدرة على إعادة بناء الخطاب بعد تفكيكه، والإحساس بلذة النص لتكتسي في النهاية طابعا إبداعيا¹⁰⁰⁸ ونستشف مما سبق أن التلقي والقراءة يتفقان في مهمة واحدة تتمثل في كيفية فهم النص وتأويل معناه.

أهم مصطلحات التلقي :

"أفق التوقع" مصطلح مستوحى من الفلسفة الظاهرية يمثل: "الفضاء الذي تتشكل عبره عملية تركيب المعنى وبناء مراحل التحليل ونشاط القارئ ودوره في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الذي يعد جوهر اللذة في جمالية التلقي¹⁰⁰⁹." فأفق التلقي هو: "المسافة بين النص والقارئ يتطلب تجاوزها الاهتمام بعنصر التلقي عوضا عن المؤلف والنص والعوامل الأدبية الجانبية فيبدأ التلقي من زمن الكتابة مروراً بتاريخ تلقيه والانتهاه بتأويله¹⁰¹⁰." وظفه (ياوس) واستند عليه في كيفية تأثير المخزون المعرفي والتجربة الإبداعية لدى القارئ، أثناء تفاعله مع العمل الأدبي فيتحرر عندها القارئ نفسيا وفكريا من كل القيود فيتفاعل مع النص في عملية اكتشاف جوهره.

¹⁰⁰⁵ مولاي البشر الكعبة: محاضرات في مناهج النقد الأدبي الحديث، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش 2016، ص 126.

¹⁰⁰⁶ أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 2004، ص 37.

¹⁰⁰⁷ حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، السلسلة الأدبية، مؤسسة الطباعة والنشر الدار البيضاء 1984، ص 86.

¹⁰⁰⁸ عبد السلام ناس عبد الكريم: قراءة المؤلف النقدي، المدخل إلى تدريس المؤلفات بسلوك الباكلوريا، مطبعة أنفوبرانت فاس 2009، ص 17.

¹⁰⁰⁹ موسى صالح بشري: نظرية التلقي ص 54.

إبراهيم خليل: في النقد والنقد الأسني مختبرات أدبية ودراسات نقدية، (د.ط)، عمان، 2002، ص 112. ¹⁰¹⁰

واعتبر أن الترسيبات المعرفية استوحاها من النصوص السابقة سببا في ظاهرة تطور الأجناس الأدبية التي تساهم في تشكل الفهم لديه حيث يستدعي هذا التطور في الأجناس الأدبية الذي هو انسجام بين الماضي والحاضر كلها عناصر تحقق شرط التأويل عبر ثلاثية (الفهم ، التفسير والتطبيق¹⁰¹¹).¹⁰¹²

ويتكون أفق التوقع في رأي (ياوس) من ثلاثة عناصر: الأول يتمثل في التجربة المسبقة المكتسبة عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص ، والعنصر الثاني يتمثل في مضامين وموضوعاتية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها، أما الثالث فهو التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية أي التعارض بين العالم التخيلي والواقع اليومي¹⁰¹³.
تغيير الأفق:

يكن في ذلك: "التعارض الذي يحصل للقارئ أثناء قراءته للنص الأدبي بكم من الحمولة المعرفية وبين عدم استجابة النص لتلك الانتظارات والتوقعات فيقف القارئ هنا ليبنى أفقا جديدا عن طريق اكتساب وعي جديد ومقباسا أو محطة يعتمد عليه في التأريخ للأدب¹⁰¹⁴". إذن جمالية التلقي عند (ياوس) تكمن في الخلفية المعرفية والثقافية وتجربة القارئ التي تفعل فعلها أثناء اتصاله بالنص المقروء مقابل النصوص الأخرى والوقوف على التشابه والاختلاف يكشف من خلالها عن المعنى الجديد. وقد يضطر في أحيانا إلى تغيير موقفه كنتيجة لفعل القراءة وتأثره بالنص وموضوعه يتحول بموجبه الأفق المغاير ، إلى أفق جديد الذي أنتجه القارئ النصوص القديمة.

اندماج الأفق:

يكن في الحوارية التي تنشأ بين الانتظارات الأولى القديمة والانتظارات للنصوص المعاصرة والتي تحدث نوعا من الانسجام والتقبل بقراءتها¹⁰¹⁵. وهو ما يسميه الفيلسوف (غدمير): "بمنطق السؤال والجواب¹⁰¹⁶". فيجب على المؤرخ للأدب يضع في حسابه استجابة وردة أفعال القراء لما ينتجه من نصوص بغية اكتشاف التغيرات والاختلافات التي تتضمنها معاني النصوص فيكون بذلك قد حقق التعدد والتنوع في تأويل النصوص عبر مر العصور الماضية والمعاصرة.

تاريخ القراءة:

استوحى ياوس مصطلح "المنعطف التاريخي"¹⁰¹⁷ من المفكر (هانس بلامنبورغ) HANS BLUMENBERG الذي وظفه في تأريخه للفلسفة¹⁰¹⁸. أما (ياوس) فقد استعمله في حديثه عن تاريخ القراءة ويشير المصطلح في مفهومه إلى التطور الحاصل في الحضارة الإنسانية من تاريخ ومعرفة وثقافة التي فتحت الباب على مصراعيه للقارئ وأتاحت له فرصة تكوين تجربة إبداعية تساهم في بناء أفكار ورؤى جديدة من شأنها إحالة القارئ على

¹⁰¹¹ ينظر عودة خضر ناظم: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشرق، ط1، 1997، ص140.

¹⁰¹² ينظر هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة وتقديم : رشيد بنحدو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003 ، ص63.

أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص38.¹⁰¹³
المرجع السابق ص38.¹⁰¹⁴

¹⁰¹⁵ هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة وتقديم : رشيد بنحدو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص77.

أحمد بوحسن: في مناهج النقد المعاصر، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004، ص39.¹⁰¹⁶

أحمد بوحسن: في مناهج النقد المعاصر، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2004م، ص39.¹⁰¹⁷
أنظر المرجع السابق ص39.¹⁰¹⁸

مواضيع وقضايا لم يطلع عليها من قبل.¹⁰¹⁹ كما جعل ياكوس ثلاثة أزمنة للقراءة وهي: زمن التلقي الجمالي الذي ينشأ عن طريقه أفق القراءة التمهيدية أو الأولية التي يتولد عنها الإحساس و الإعجاب بالقيمة الأدبية و الفنية والجمالية للعمل التلقي تتجلى على شكل سلوكيات وأفعال كنتيجة لهذا التأثير. والزمن الثاني هو زمن التأويل الذي يشكل أفق القراءة الثانية و ترجمة الإعجاب والانبهار بجماليات وفنيات النص. أما الزمن الثالث يتمثل في الزمن التاريخي الذي تتأسس فيه القراءة التاريخية التي تفتح باب التأويل والتغير للقارئ بطرح تساؤلات التي لم يجد لها تفسيراً في القراءتين السابقتين. فيتكون لديه إحساس بلذة القراءة وتدوقه لقيمتها الجمالية والفنية فينتقل من مرحلة الإعجاب والانبهار إلى مرحلة ترجمة إحساسه الذي ينتهي بتشكيل أفق الانتظار القراء الذين سبقوه إلى النص منتجا بذلك فهما جديدا للنص عبر سياقه التاريخي.

التلقي عند (فولفانغ إيزر W.Iser):

يعتبر (فولفانغ إيزر) ، أحد رواد مدرسة (كونستانس) الألمانية بجهوده في نظرية التلقي وتعد مبادرته مكملة لجهود (ياكوس) في نفس المدرسة . وهو متأثر بالفيلسوف الظاهراتي البولندي (رومان انجاردن) وكتابه " العمل الأدبي الفني " ،وعلم النفس واللسانيات والانثروبولوجيا¹⁰²⁰ التي استفاد منها كثيرا في بناء أطروحته النقدية وركز إيزر على فعل تأثر القارئ بجمالية النص وقف فيها على جملة من المفاهيم والمصطلحات عدة نذكر من أهمها:

فعل النص في القارئ:

يعتقد إيزر أن النص: " يتكون من بنيات داخلية تتمثل في المونات اللغوية والسميائية والتركيبية التي تحدد شكله¹⁰²¹ " فتتجلى أثناء القراءة التأثير والتأثر بين القارئ والنص حيث يتولد الإحساس بالقيم الجمالية والفنية للنص من خلال عاملين : عامل فني وعامل جمالي، يهتم الأول ببنية النص والثاني في كيفية تأثير النص في القارئ فتكسبه حيوية ونشاطا، ويتموقع النص في لحظة القراءة من أجل إعادة بناء معنى جديد للنص في شكله النهائي.¹⁰²² ولا يكون حضور النص إلا عن طريق القراءة وأن العلاقة بين النص والقارئ تفاعلية، يجمع بينهما عقد شراكة في العملية التواصلية يبرز النص خلالها ببنيته وشكله اللغوي ويتجلى القارئ بانفعاله و دوره في تأويل المعنى.

القارئ الضمني:

هو الناقد الذي يبحث بداخله عن المعنى الضمني للنص، ويقوم بتأويله ويكون قد ساهم المصطلح كآلية نقدية في معرفة الآثار التي ي خلفها العمل الأدبي والانفعالات والاستجابات التي يولدها ويذكر إيزر في السياق نفسه: " إذا أردنا أن نحاول فهم التأثيرات التي تسببها الأعمال الأدبية وردة الفعل التي تثيرها، يجب علينا أن نسلم بحضور القارئ دون أن نحدد مسبقا بأي حال من الأحوال طبيعته أو وضعيته التاريخية، ويمكن أن نسقيه، نظرا لعدم وجود مصطلح أحسن، القارئ الضمني، إنه مجسد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية

¹⁰¹⁹ أحمد بو حسن: مقال بعنوان: التلقي والنقد العربي الحديث عن مؤلف نظرية التلقي اشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1993م ص 31.

أنظر أحمد بو حسن: في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004 م، ص 41. ¹⁰²⁰

أحمد بو حسن: في المناهج النقدية المعاصرة، مرجع سابق ص 43. ¹⁰²¹

¹⁰²² فولفانغ إيزر: فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب ، ترجمة: حميد الحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1995، ص 12.

بالنسبة للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره، وهي استعداد مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي وتجريبي، بل من طرف النص ذاته. وبالتالي فالقارئ الضمني كمفهوم، له جذور متأصلة في بنية النص، إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقتها مع أي قارئ حقيقي¹⁰²³. " لقد حاول (إيزر) أن يجعل للنص قارئاً ضمنياً متميزاً وغير عادي يتفاعل مع بنية النص إذ وجب على المبدع أن يعي هذه المسألة ويوليها قدر من الاهتمام، حتى يكون نصه أكثر تطابقاً وملائمة وأكثر تأثيراً على القراء المتميزين.

فعل القراءة:

تتصف القراءة في نظره بطابع الحركية والنشاط الدائمين والمستمرين ويمكن لمتن النص أن يحتوي على معاني مختلفة وعديدة، تعددت بتجدد القراءات، فاستمرار فعل القراءة يجعل القارئ يتحرك في نشاط دائم دون توقف.¹⁰²⁴ وتضمن صيرورة القراءة ثراءها واختلافها ومساهمتها في ملئ فجوات النص.

الرصيد اللغوي:

تمثل "المخزون المعرفي" أو "الذخيرة النصية" من الأفكار والقيم الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي تساهم في بناء النص ونسقه، ويعرفه (إيزر) بأنه عبارة عن: "مواضعات متعددة تتحدد في أن النص يمتص عناصر سابقة عليه ومعروفة بشكل أو بآخر وهي عناصر لا توجد في النصوص المشابهة له فقط وإنما ترجع أيضاً إلى قيم اجتماعية وتاريخية تشكل سياقه الثقافي بالمعنى العام لهذا المصطلح.¹⁰²⁵ فالذخيرة اللغوية للنص تشتمل على كل العوامل الخارجية الاجتماعية والتاريخية التي ساهمت في بناء وتكون النص هذه العوامل نفسها ولدت عنصر التأثير لدى القارئ أثناء تفاعله مع النص.¹⁰²⁶

الفجوة أو البياض:

تشكل الفجوة أو البياض في مفهوم (إيزر) عنصرين مهمين يجعلان من النص عملاً يحيل على التخيل متضمناً للكثير من المواضيع والقيم الجديدة والقيم الجمالية، تدفع هذه الثغرات والمساحات الشاغرة بالقارئ نحو المساهمة في ملئها ببناء شكل جديد له، إنها: "طريقة لقراءة النص بتنظيم مشاركة القارئ مع بنائيتها للحالات المتنقلة وبذات الوقت فإنهما تجربان القارئ على إكمال البنائية وهكذا ينتجان الموضوع الجمالي.¹⁰²⁷ وتؤدي المساحات الفارغة دوراً مهماً في نجاح العملية التواصلية بين النص وقارئه تدفعه نحو البحث عن المعنى الخفي. ومن ثمة فإن الفراغ والبياض عنصران غايتهما إعادة البناء والتشييد لنص آخر ومعنى جديد.

التلقي عند أمبرتو إيكو (Umberto Eco):

¹⁰²³ فلانغ إيزر: فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب، ترجمة: حميد الحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1995، ص29.

¹⁰²⁴ أحمد بوحسن: نظرية التلقي والنقد العربي الحديث ضمن مؤلف نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1993، ص35.

¹⁰²⁵ إدريس بلمليح: مختارات وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، سلسلة ورسائل أطروحات رقم 22 الرباط، ص282.

¹⁰²⁶ ينظر المرجع السابق، ص283.

¹⁰²⁷ روبرت هولاب: نظرية التلقي، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا 2007، ص161.

يتجلى منهج السيميائي الذي تبناه إمبرتو إيكو في القراءة من خلال كتابه: "القارئ والحكاية" تعرض فيه إلى مسألة علاقة القارئ بالقراءة وإشكالية التأويل من منظور سيميائي واعتمد في دعوته إلى نظرية قراءة جديدة لنظرية تتأسس على جملة من المصطلحات مثل "الموسوعة" وهي في رأيه: "الرصيد اللغوي والثقافي الذي يقابله عند (أيزر) بالذخيرة للقارئ التي يعمل على استحضارها أثناء تفاعله مع النص فيتعامل مع بنياته اللسانية وبدونها لا يمكن أن يكون القارئ فعالاً في ملء فراغات النص واستخلاص المعاني¹⁰²⁸". ويعتبر (إيكو) الرصيد الاجتماعي والثقافي العامل المباشر في إنتاج اللغة وما تتصف به من خصائص ومميزات إلى جانب عامل تاريخ قراءات النصوص القديمة والمعاصرة، كلها عناصر تتفاعل فيما بينها منتجة قارئ له كفاءته في بناء معنى جديد للنص الذي بين يديه¹⁰²⁹. فتغدو بذلك القراءة: "ضرب من ترسانة للآراء، لذاكرة جماعية يصادر عليها التحليل، وتوجد مخزنة فيها مختلف أنواع "يقال" و "يعرف" التي تشيع في بعض الظروف الاجتماعية الثقافية¹⁰³⁰". فتكون الموسوعة الشبيهة بقاموس المعلومات، أو المعجم المعرفي والثقافي الذي تنشئ القارئ النموذجي يستدعيها أثناء بدء نشاط التأويل وتفسير النصوص. أما المصطلح الثاني الذي يعده (إمبرتو إيكو) مهما ويتمثل في القارئ النموذجي" من خلال كتابه: "القارئ والحكاية" وكيف يمكن للقارئ أن تكون مساهمته فعالة في ملء المساحات البيضاء والفراغات التي توقظه وتظفي شيئاً من الحيوية والنشاط ويعرف النص أنه: "آلية كسولة أو مقتصدة تحيا من قيمة المعنى الزائدة التي يكون المتلقي قد أدخلها إلى النص¹⁰³¹".

وما يمكن استخلاصه مما تقدم من الاتجاهات الثلاثة الأكثر شيوعاً بمختلف مفاهيمها ركز فيها كل اتجاه على جانب معين حيث اهتم (ياوس) بالاتجاه التاريخي وأثره في التلقي وكيف تتم عملية استحضار القراءات السابقة لنص أدبي المراد قراءته. وعكف (أيزر) بانتمائه إلى الاتجاه الهرمونيطيقي على تحليل فعل القراءة وأثرها الجمالي. أما إمبرتو إيكو اهتم بسيميوطيقا التلقي عبر ثنائية (القارئ والقراءة) وعلاقتهما بعملية التأويل والتفسير السيميائي للنص.

تطبيقات نظرية التلقي:

انتقلت نظرية التلقي من ألمانيا إلى باقي أنحاء العالم فكان الوطن العربي إحدى هذه الوجهات حيث رحب بها فكان الناقد عبد الله الغدامي أحد الباحثين والعرب النقاد الذين اهتموا بالتلقي وبالقارئ والقراءة، فاهتم بعنص القارئ في العملية النقدية للنصوص وذكر قائلاً: "كنا قديماً نقول أن المعنى في بطن الشاعر غير أن زماننا هذا سرق المعنى من بطن الشاعر ووضع ناراً حارقة في بطن القارئ¹⁰³²". وكان قد فصل في إشكالية القارئ في كتابه: "تأثير القصيدة والقارئ المختلف" موضحاً في السياق ذاته إلى تحول السلطة من النص إلى

محمد خرماش: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات، العدد 100، 1988، ص 53، 1028

أنظر إمبرتو إيكو: بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب 2000، ص 86، 1029

1030 فرانك شوير فيجين: مقال نظريات التلقي ضمن مؤلف: بحث في القراءة والتلقي، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، مركز الإنماء، حلب، 1998، ص 50.

1031 إمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996، ص 76.

1032 محمد الغدامي عبد الله: تأثير القصيدة والقارئ المختلف، المركز العربي، ط1، 1999، ص 147.

القارئ: " فبعدما كان سؤال النص صار القارئ¹⁰³³. " فذكر في كتابه: " إن المتأمل للنظرية النقدية منذ ما يسمى بما بعد الحداثة، لاشك يلاحظ أن السؤال الذي تطرحه قد تغير فلم يعد النقد يسأل ذلك السؤال القديم عن القارئ بل صار يطرح آخر هو ما القارئ¹⁰³⁴؟".

وكان لكتابه المعنون ب: "تأنيث القصيدة والقارئ المختلف" دورا في إبراز رؤية الناقد كيفية الانتقال من الاهتمام بالمؤلف إلى الاهتمام بالقارئ إذ أن: " المتأمل للنظرية النقدية منذ ما يسمى بما بعد الحداثة لا شك أن السؤال الذي تطرحه قد تغير... من القارئ بل صار يطرح سؤالا آخر هو ما القارئ؟ وذلك منذ أن استحوذت نظرية القراءة على المناهج النقدية واعتلت عرش النقد الأدبي الحديث وذلك بعد أقول نجم البنيوية¹⁰³⁵".

وبرزت الناقدة (أسيمة درويش) بدراستها للنص الشعري عند أدونيس مطبقة على قصيدة "هذا هو اسمي": " ولعل الجديد فيها توظيفها لمصطلح التأويل، مقسمة الدراسة إلى مرحلتين الأولى وصفية ظاهراتية تتبعت فيها الشكل اللغوي والظواهر الأسلوبية، وأما الثانية دلالية اعتمدت على تأويل التشكلات والظواهر في النص¹⁰³⁶ " فقد اهتمت في دراستها للشكل البنيوي للقصيدة والوقوف على التقنيات التعبيرية التي وظفها الشاعر كمحاولة لتأويل المعنى.¹⁰³⁷ وتضاف إلى الجهود العربية السالفة الذكر في حقل التلقي وجمالياته كتاب الناقد (علي الشرع) الموسوم ب: " استراتيجيات القراءة " وقف من خلاله على تأويل لقصيدة محمود درويش عنوانها "أمشاط عجائنية" ويقول صاحب الدراسة: " وإن كان لي عزاء في تعاملتي مع نصوص درويش ونصوص غيره من الشعراء العرب المعاصرين فهو حامل في هذه المتعة الخاصة استشرعها ليس في الكشف عن مكنون هذه النصوص فقط وإنما في الكشف عن الكثير من الأفكار والرؤى التي أحسها في داخلي أيضا.¹⁰³⁸ " وكان قد جمعت الدراسة بين الحمولة الفكرية للشاعر مقابلة بما تلقاه الناقد لمعاني النص ومحاولة تأويل معانيها لقد ركز علي الشرع اهتمامه على القارئ معتبرا إياه جوهر عملية التلقي دون أن يتغاضى عن المؤلف فلا يمكن لمعنى النص أن يظهر إلا بتفاعل ثنائية (المؤلف والقارئ) وما تخلفه تأثير الحمولة الثقافية والرصيد المعرفي واللغوي في إدراك المعنى¹⁰³⁹.

وانفرد (نصر حامد أبو زيد) من خلال كتابه: " إشكاليات القراءة والتأويل " أصدره سنة 1991 بحث فيه عن العلاقة بين قراءة النص وتأويله من أجل إنتاج معناه الخفي ويرى أن القراءة لا تكمن في تلقي النص بل إنها أقرب ما تكون إلى دراسة وتأويل لغته.¹⁰⁴⁰

¹⁰³³ سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، اشراف عمار ويس، جامعة محمد منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007م-2008م، ص36.

عبانة سامي: اتجاهات النقد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، غالم الكتب، ط1، (1425هـ-2004م)، ص384.¹⁰³⁴

¹⁰³⁵ عبانة سامي: اتجاهات النقد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، ط1، 2004، ص384.

¹⁰³⁶ سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، ص37.

¹⁰³⁷ ينظر المرجع السابق، ص384.

¹⁰³⁸ سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، ص37.

¹⁰³⁹ المرجع السابق، ص389.

¹⁰⁴⁰ ينظر عبد الله أبو هيف: نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث، ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر قضاياها اتجاهاته، المركز الجامعي خنشلة 2004، ص57.

إن المتمعن في مختلف نظريات التلقي وجمالياتها، يستنتج أن معظمها تكون قد اتفقت حول فكرة جوهرية مفادها أنها لم تهتم بالنص على أنه بنية مستقلة بقدر ما ركزت على شرح وتبيان وتعليل درجة فهم ووعي القارئ للنص وتجربته الجمالية وكله قناعة بأن المعنى لا يكمن ضمن النص بل هو نتيجة تفاعل دينامي بين القارئ والنص. وفي هذا السياق مظهرت نظريات التلقي في اجتهادها لبناء أطروحات نظرية ونقدية جادة تهتم بفعل القراءة باعتبارها نشاطا جماليا وما مدى تأثير القارئ بالنص، ذلك أن جوهر نظرية التلقي امانح السلطة التأويل للقارئ للنص

المصادر والمراجع:

- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، بيروت، لبنان 2001
- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د.ط)، القاهرة 1999.
- بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، المغرب 2001.
- محمد الغدامي عبد الله: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز العربي، ط1، 1999.
- سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة عمار ويس، جامعة محمد منتوري¹ ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، اشراف قسنطينة، السنة الجامعية 2007م-2008م.
- عبانة سامي: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب، ط1، (1425هـ-2004م) .
- عبانة سامي: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، ط1، 2004.
- سمير حدو: عملية التلقي في المجالس الأدبية الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب.
- روبرت هولاب: نظرية التلقي ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا 2007.
- محمد خرماش: فعل القراءة واشكالية التلقي، مجلة علامات، العدد 100، 1988.
- أمبرتو إيكو: بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب 2000.
- فرانك شوير فيجين: مقال نظريات التلقي ضمن مؤلف : بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، مركز الإنماء، حلب، 1998.
- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1996.

النص والتناص

المحاضرة الثانية عشر

أ.خالدي سمير

مقدمة:

شكل النص منذ زمن قديم إشكالية ذات أهمية ، من حيث تحديد مفهوم المصطلح ووظيفته وبدأ يأخذ طريقه نحو تأسيس نظرية قائمة بذاتها لها أفكارها وأبعادها وآلياتها الإجرائية في الكشف عن جوهر معنى بنياته. حيث بدأت تتشكل المفاهيم الأولى والإرهاصات السباقة لمصطلح النص حيث: " ظهر وتجلى في مفهوم "الجملة" التي تمثل أكبر وحدة يمكن دراستها¹⁰⁴¹ " ، حيث يظهور لسانيات دوسوسير التي كانت من بين الأسباب المباشرة في انتشار لسانيات النص فتحول مفهوم النص من الجملة إلى النص ومن التعريف الضيق والمحدود نحو تعريف يقترب نحو الكلية فأصبح النص: " لا يتحدد مفهومه في الإطار نفسه كما هو في الجملة¹⁰⁴² ". ويتفق (جان ماري سشايفر) في الرأي حيث أن النص في رأيه هو: " سلسلة لسانية كلامية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية ولا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل، أو من جملة وحيدة أو من جزء من الجملة¹⁰⁴³ ". وعليه فإن النص لا يكمن في الجملة فقط إنما يتعداها إلى الفقرة قصيرة أو طويلة لتشمل الرواية والقصة وغيرها من النصوص¹⁰⁴⁴ شكلت هذه الأفكار والشروحات للنص الأفكار الأولى التي مهدت لتكوين مفهوما شاملا عن النص. اختلف المفكرون والنقاد اللسانيون والأدباء في وضع مفهوم شامل وموحد ، لذلك اختلفت وتعددت تعريفاته باختلاف المشارب الفكرية والثقافية والمعرفية. واستدعى تعددية في القراءات . فعد النص من أهم القضايا النقدية احتضنته المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة بالتنظير والدراسة والتحليل، حيث اتخذ العرب موقفا منذ القديم ففسروا النص الديني وأولوه وكذلك الأحاديث النبوية ودراسة نصوص الأشعار والنثر من روايات وقصص وأمثال وحكم وازدهرت العلوم والمعارف وكان لعلوم اللغة من نحو وصرف وفقه اللغة والبلاغة أثر كبير في قراءة النص.

مفهوم النص لغة:

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2010م، ص134. ¹⁰⁴¹
تزيثان تودوروف: مفاهيم سردية ترجمة: عبد الرحمان مزيان ط1، منشورات الاختلاف الجزائر 2005م، ص32 عن فيصل الأحمر، معجم ¹⁰⁴²
السيميائيات، مرجع سابق، ص134.
منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، عن فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،
الجزائر ¹⁰⁴³

2005م، ص134.

أنظر: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص134. ¹⁰⁴⁴

ورد معناه في المعاجم العربية أن: "نص الشيء، رفعه وأظهره، وفلان نص، أي استخرج ما عنده، ونص الحديث، ينص نصا، إذا رفعه... ونص كل شيء منتهاه.¹⁰⁴⁵" وفي الحديث: "إذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصبة أولى أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية وقوله: أحق بها أي كينونتها عندهم¹⁰⁴⁶." أما في قاموس المحيط يقال: "نص ناقته أي استخرج كل ما عندها من السير¹⁰⁴⁷." ويقال نص المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض¹⁰⁴⁸. ومعناه في معجم البستان: "النص منتهى الشيء¹⁰⁴⁹." وورد في قول طرفة بن العبد في إحدى قصائده: "

ونص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه¹⁰⁵⁰

ويقول الزمخشري: "والمجاز نص الحديث إلى صاحبه¹⁰⁵¹"

ويرى الإمام الشافعي رحمة الله عليه أن النص وجهان ما يحتمل التأويل وما لا يحتمل¹⁰⁵².

مفهوم النص اصطلاحاً:

عرّف الجرجاني النص بقوله: "ما زداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى... والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل مل لا يحمل التأويل¹⁰⁵³." إنها إشارة من الجرجاني على أن النص المتميز يبقى دائماً مجاله مفتوح نحو القراءة والتأويل بغرض إيجاد معنى جديد له. وبمظهر لسانيات دي سوسير وتحديد ثنائياته (اللغ-الكلام) (الدال-المدلول) (الآنية والزمانية) التي بحثت في الظاهرة اللغوية وعلاقتها بالنص والمجتمع¹⁰⁵⁴. فحاولت الشكلانية أن تبحث في النص انطلاقاً من مفهومها له والمتمثل في أنه عبارة شكلاً لغوياً تحكم بنياته جملة من العلاقات الداخلية. فاعتبروا النص بنية مغلقة على ذاتها، كان هذا مفهومهم للنص. ولم يكن اهتمامهم بالشعر فقط بل امتدت دراستهم نحو الرواية والقصة القصيرة مثلاً فعل (رومان جاكسون) أحد أعضاء (حلقة براغ) اللغوية فكان من أبرز الشكلانيين الذين أثروا المنهج الشكلاني بدراساته للأعمال الأدبية وهوة صاحب مصطلح "الشعرية"¹⁰⁵⁵

إبن منظور: لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار صادر، ط3، بيروت 1994، ص42-44.¹⁰⁴⁵

الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، ط1، ج4، بيروت لبنان، 2003م، ص228.¹⁰⁴⁶

الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة الباب الحلبي، ط2، ج1، ص876، 1952.¹⁰⁴⁷

أحمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات دار المكتبة، الحياة، بيروت لبنان 1380هـ، 1960م، ج5، ص472.¹⁰⁴⁸

البستاني: البستان، مكتبة لبنان، طبعة 1، لبنان 1996م، ص1103.¹⁰⁴⁹

الزمخشري: أساس البلاغة، ط1، مكتبة ناشرون بيروت لبنان 1986، ص455.¹⁰⁵⁰

المرجع السابق، ص455.¹⁰⁵¹

أنظر: حسن خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007م، ص138.¹⁰⁵²

الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب المصري اللبنانيين بيروت، ط1، القاهرة 1991، ص251.¹⁰⁵³

أنظر نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ط1، دار نوبار للطباعة القاهرة 2003م، ص103-104.¹⁰⁵⁴

أنظر عبد السلام المسدي: الأسلوب والاسلوبية، الدار العربية للكتاب ط3، طرابلس (د.ت)، ص172.¹⁰⁵⁵

ليعرف المصطلح تطورا في المفهوم مع البنيوية التي أعادت السلطة من المؤلف إلى النص فإن (رولان بارت) يرى أنه عبارة عن كمّ من تمثلا ثقافية وفكرية مترسبة في ذاكرة الناص فعلت فعلها في الكاتب فأنتجت نصا جديدا حيث يرى أن النص عبارة عن: " نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة والمعاصرة التي تخترقه بكامله¹⁰⁵⁶". فيرى (بارت) النص انتاجا يتقاطع مع عمل أو عدة أعمال أدبية¹⁰⁵⁷ إنه بنية مفتوحة على القراءات والتأويلات نحو صياغة لنص جديد. بينما (هاليداي) يعتبر النص كل ما هو مكتوب أو منطوق سواء كان طويلا أم قصيرا فهو: " أي فقرة منطوقة أو مكتوبة على حد سواء مهما طاللت او امتدت هي نص... فالنص وحدة اللغة المستعملة وليس محددًا بحجم¹⁰⁵⁸". فكان للبنيوية التكوينية وهي فرع من فروع البنيوية رأي حول المصطلح فأعادت للنص سياقه الخارجي وبحث في بنيته على الجانب الاجتماعي وتأثيره على نفسية الفرد والمتلقي. أما (برونكر) Brinker فيعتبر النص: " تتابع مترابط من الجمل ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزء صغيرا ترمز إلى النص ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيًا¹⁰⁵⁹". وإذا كان برونكر يعتبر النص متتالية من الجمل

كان للسانيات النص دورا كبيرا وأثرا ظاهرا على التحول في حقل الدراسات وتطبيق جملة من النظريات اللسانية على بنيات النص والبحث في أشكال ومظاهر التعبير والتواصل اللغوي فعرفت لسانيات النص مصطلحات مرادفة لها مثل "علم النص"، "نحو النص"، نظرية النص¹⁰⁶⁰ وغيرها. ووظف (فانديك) مصطلح علم النص الذي في رأيه يتقاطع ويتداخل مع علوم مختلفة مثل علم النفس والانثروبولوجيا، علم الاجتماع... وظيفته الوقوف على تمثلات طرائق التعبير اللغوي ومظاهر التواصل وعلاقة البنية بالسياقات الخارجية والداخلية¹⁰⁶¹ وفي خضم تطور اللسانيات التي اتخذت من النص (الخطاب) موضوعا لدراساتها ولم يعد النص: " مبني على طبقات وتتكون طبيعته التركيبية من النصوص المتزامنة له والسابقة عليه." حيث مهدت هذه التصورات المختلفة التي اهتمت بمفهوم النص لظهور ما يعرف بعلم النص استحدثه كل من (هاريس) و(فانديك) وتتجلى وظيفته في: " وصف العلاقات الداخلية والخارجية للابنية النصية بمستوياتها المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة¹⁰⁶²". ومن بين

¹⁰⁵⁶ رولان بارت من الاثر الأدبي إلى النص ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 28، آذار 1989م بيروت، ص115.

أنظر حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى السيميائية الدال، مرجع سابق، ص44، 1057.

¹⁰⁵⁸ Holliday, M.A.K and Ruquaya Hassan, cohesion English , longman, London , 1976 , p:1-2.

برند شيلنز: علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمود جاد الرب، جامعة الملك سعود، الرياض ، (د.ط.)، ص188، 1059.

أنظر أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة 2001م، ص31، 1060.

أنظر: فانديك، علم النص، مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ط1، 2001م، ص11، 1061.

صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار نوبار للطباعة ط1، القاهرة 1996م، ص229، 1062.

الاختلافات والتعدد في المفاهيم وتداخلها نتيجة ظهور نظريات جديدة في مجال اللغة حاول (فانديك) التفريق بين (النص) و(الخطاب) فعرف النص على أنه: "متتالية من الجمل بالدرجة الأولى¹⁰⁶³". يتكون النص من مجموعة من الجمل تحدها شبكة من العلاقات على المستوى الصوتي والتركيبى والدلالي والصرفي¹⁰⁶⁴ وينتج النص من فعل التلقي للنصوص السابقة والتأثر ببنياتها الداخلية¹⁰⁶⁵ واعتبر الخطاب موجود ضمن النص¹⁰⁶⁶. وكان لـ: (فاينرش) منهجا في تجزئة وتحليل النص، بالاعتماد على دراسة المستوى النحوي للجملة ثم المرور إلى البنية الكلية لاكتشاف بنية النص.¹⁰⁶⁷ فهو يرى أن الجملة ليست وحدة مستقلة بذاتها عن النص بل تعد عنصرا أساسيا يدخل في تكوين بنية النص الكلية¹⁰⁶⁸.

عرفت يمنى العيد النص على أنه بنية لغوية مغلقة تحكمها علاقات داخلية تحدد نمطها¹⁰⁶⁹ تعريف يوحي لنا أن الناقدة تأثرت بأفكار من سبقها من الغربيين . كذلك الشأن بالنسبة لعبد السلام المسدي الذي يرى أن النص أو أي كلام: "يتركب من مجموعة من العناصر تربط بينها علاقات معينة لا وجود لعنصر خارجها ولا وجود لعنصر إلا بها ومجموع هذه العلاقات هي الشكل¹⁰⁷⁰". فقيمة النص تتجلى في شكله اللغوي وهو رأي تبنته الشكلانية من قبل لم يتوقف هذا التأثير بالغرب عند حدود الشكلانية والبنوية بل امتدت إلى البنيوية التكوينية حيث تأثر جمع من النقاد العرب بمنهج (لوسيان غولدمان) أمثال (جابر عصفور محمود أمين العالم، وحמיד لحميداني...) بدراساتهم للبنية اللغوية وعلاقتها بالنسق التاريخي والاجتماعي والثقافي محاولين تفجير البنية وتحريرها من أسر الانغلاق نحو حرية التجلي والتعبير عن واقع الذات .وحاضرها ومستقبلها. أي ربط بنية النص بمختلف السياقات الخارجية. نفس التوجه يعتمد عليه الناقد (محمد بنيس) في محاولاته لقراءة الشعر، رافضا الفكرة القائلة بأن النص بنية مغلقة حيث يعتبره: " ممارسة لغوية في إطار اجتماعي محدد، أرفض منذ البداية التعامل مع النص على أنه عالم ذري لغوي مغلق على نفسه، كما أرفض تنحية النص من التحليل¹⁰⁷¹" فاعتبر محمد بنيس أن بنية النص ليست مغلقة بل مفتوحة ومتحركة نحو كل ما هو اجتماعي ثقافي.

مفهوم النص سيميائيا:

حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 50. ¹⁰⁶³

فانديك: علم النص، مدخل متداخل التخصصات ص 45. ¹⁰⁶⁴

أنظر سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ص 14. ¹⁰⁶⁵

أنظر المرجع السابق، ص 16. ¹⁰⁶⁶

أنظر بشير إبرير: رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، ص 168. ¹⁰⁶⁷

أنظر: المرجع السابق، ص 169. ¹⁰⁶⁸

أنظر يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، (د.ط)، بيروت 1999، ص 33. ¹⁰⁶⁹

عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص 6. ¹⁰⁷⁰

محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، ط 1 بيروت 1979، ص 24. ¹⁰⁷¹

قدمت السيميائية للنص منهاجاً جديداً للدراسة استطاع أن ينفذ إلى كل المجالات الحياتية من فن وأدب ومسرح وسينما وثقافة والأشهار اهتم بكل ما هو لسانی وغير لسانی، واعتبرت النص جملة من العلامات الدالة والوقوف على أبعادها بالدراسة والتحليل¹⁰⁷². وتبنت (جوليا كريستيف) المنهج السيميائي ووظفته في مقاربتها للنصوص فهي ترى، أن النص هو انتاج للمعاني لذلك وجب تناوله بالدراسة المنطقية بعيداً عن النظريات اللسانية، ذلك أن ميزته التداخل النصي والتقاطع مع نصوص أخرى.¹⁰⁷³ وهو في رأي عبد المالك مرتاض يمثل: " شبكة من المعطيات اللسانية والبنوية والإيديولوجية تتطافر ، فيما بينها لتكون خطاباً، فإذا استوى مارس تأثيراً عجبياً، من أجل انتاج نصوص أخرى... فالنص من حيث هو، ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة¹⁰⁷⁴". يعتبر عبد المالك مرتاض النص ببنيته العميقة والسطحية شبكة من العلاقات اللغوية والنحوية والثقافي تشكل خطاباً متميزاً ومؤثراً في القارئ ليضمن تجده وتعدده . كانت هذه بعض المفاهيم والتعريفات للنص عبر مختلف المناهج النقدية التي سعت لقراءة النص وفق رؤيا جديدة شغلها الشاغل الشكل والمضمون.

مفهوم التناص عند الغرب:

يمثل التناص أحد المصطلحات القديمة التي وظفها الأدب المقارن في أوربا فكان أول من أخذها بالدراسة والشرح والتحليل من قبل النقاد المقارنين عبر عنصر التأثير والتأثر الذي يطرأ على الأدباء والكتاب والمبدعين من خلال نصوصهم . وسعت المناهج النقدية المعاصر لاحتواء المصطلح على غرار السيميائية والشكلانية ونظرية الأدب واتخذته أداة إجرائية في تحليل بنية النص.

التناص : "مشتق من مصطلح النص ¹⁰⁷⁵texte" ، وهو: " مفهوم يدل على وجود أصلي في مجال الأدب أو النقد أو العلم، على علاقة بنصوص، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على النص الأصلي عبر الزمن¹⁰⁷⁶".

التناص في مفهوم الشكلانيين:

اهتم الشكلانيون بالنص معتمدين على الجانب الشكلي واعتبروه بنية مغلقة على ذاتها ، تكمن جماليته في العلاقات الترابطية بين عناصره الداخلية مما جعلهم يرفضون العوامل

نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية. ص 370. 1072

أنظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء 1997، ص 107. 1073

عبد الملك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر (د.ت)، ص 55. 1074

فصيل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 142. 1075

سمير حجازي: المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة ، فرنسي/عربي - فرنسي ص 109-110. عن فصيل الأحمر معجم 1076

السيميائيات ص 142.

الخارجية وقام كل من: (رومان جكبسون) و(تينيانوف) بالتعمق أكثر الشكل في الدراسة إلى عامل تعاقب الأفكار والمواضيع من نصوص قديمة عبر الزمن وتجليها في نصوص حاضرة¹⁰⁷⁷. إنه اعتراف ضمني لهما بفكرة التناص قبل أن يصبح المصطلح ظاهرا للعام والخاص. وعمد (ميخائيل باختين) وهو شكلاني إلى استعمال مصطلحي "الإيديولوجيم" و"الحوارية" ويعرف (فيكتور أرنيك) الإيديولوجيم: "أنه يتمظهر على شكل كلمات، طرق اللباس، العلاقات التنظيمية بين البشر، إن كل إيديولوجيم هو جزء من الواقع المادي الإجتماعي¹⁰⁷⁸". فهو عبارة عن جملة من المعاني والمعلومات التي اكتسبها الإنسان من بيئته الإجتماعية. أدرك (باختين) أن للفظ يحمل بعدين الأول تواصليا بين الباث والمتلقي والثاني دلالي حيث ينجم عن البعدين تفاعلا للغة والحوار، وهو شكل من أشكال الحوارية التي: "تعود إلى الخطاب وليس إلى اللغة كنظام متعال¹⁰⁷⁹". ويذكر أن من غير الممكن التخلي عن عنصر الحوارية المتمثل في تقاطع المواضيع في الخطابات.¹⁰⁸⁰

التناص في مفهوم البنيويين:

وكانت لأفكار (ميخائيل باختين) أثرها الواضح على كل من (جوليا كريستيفا، رولان بارت، ميشال فوكو، ميشال ريفاتير...) حيث تبناوا المفهوم من خلال تسميات جديدة في أوروبا والبلاد العربية أيضا. واعتبرت (جوليا كريستيفا): "النص لا يقوم بذاته وإنما هو مجموعة من تقاطعات لنصوص أخرى، يقوم بامتصاصها فتتخرط في بنيته وبالتالي يكون كل نص كفسيفساء من الاستشهادات وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر¹⁰⁸¹ إنه استحضر وتداخل لنصوص سابقة¹⁰⁸² وتقول في إحدى تعريفاتها عن النص: "أنه جهاز عبر لسانی، إنه ترحال للنصوص وتداخل نصي فهي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى¹⁰⁸³". فالتناص في مفهومها هو نتاج مجموعة من النصوص حيث سمت هذه العملية بـ: "الإنتاجية" وهو مصطلح آخر أضافته (كريستيفا) إلى التناص. ويقصد بالإنتاجية عملية تشكل النصوص وبناء نفسها من خلال جملة من البنيات والمقولات والتعابير التي تتقاطع وتتداخل فيما بينها. ويقابل النص

أنظر: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 143.¹⁰⁷⁷
أنور المرتجى: سيميائية النص الأدبي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مرجع سابق¹⁰⁷⁸

ص 144.
1079 أنور المرتجى: سيميائية النص الأدبي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مرجع سابق، ص 145.

أنظر عمر عبد الواحد: التعلق النصي، دار الهدى، ط1، المنيا، 2003م، ص 40.¹⁰⁸⁰

Kristive Julia : Semiotike : recherche pour une sémanalyse (extraits) théorie de ¹⁰⁸¹ la littérature. A.J picard, 1981, P 14.

ترجمة النص فاروق عبد الحكيم درباله : التناص الواعي شكوكه وإشكالاته ، مجلة النقد الأدبي فصول المجلد 16 العدد 1.

¹⁰⁸² حسين حمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 254.
المرجع السابق ص 254.¹⁰⁸³

مصطلح " الإديولوجيم" الذي أقرته كريستيفا والذي يعني تقاطع بنيات النص الحاضر مع السابق. ويتجلى عمليتها التحليلية في منهج أطلقت عليه "السيمياء التحليلية" التي تتعامل مع النص من منظور أن النص يولد الدلالات العميقة متجنبة اللساني¹⁰⁸⁴. ويعد التناسل في مفهوم (جيرار جينيت) بـ:"التعالى" وهو عبارة عن:" الطريقة التي من خلالها يهرب النص من ذاته في الاتجاه أو البحث عن شيء آخر والذي من الممكن أن يكون أحد النصوص¹⁰⁸⁵". وقسم التناسل إلى خمسة أشكال أو أصناف وهي:

النصوص الشاملة: "في هذا النوع من التناسل يتجاوز البحث فيه عن هندسة النص وإنما البحث عن مختلف العلاقات التي تربط النصوص ببعضها البعض. وهو نفسه ما أقرته (جوليا كريستيفا) ويطلق عليه أيضا بالتناسل المفتوح أو الخارجي¹⁰⁸⁶".

الما بين نصية: " مصطلح أقره (جيرار جينيت) وه أن يدخل نص مع نص آخر في علاقة حوارية مع عناصر أخرى مثل العناوين الرئيسية والثانوية والتقديم والتنبيه... وغيرها ويتساءل جينيت بعبارة أخرى هل من حق النقاد أن يتعاملوا مع النص كشيء له علاقة مع مادته الأولى ؟ إن هذا النوع من التناسل لا علاقة له بنصوص أخرى بل علاقته تكمن في نفسه.أي في آليات تشكله¹⁰⁸⁷".

المتا لسانية: "وهو أن تذكر في تعليقك علاقة موضوعك بنص آخر مع عدم الإشارة إليه¹⁰⁸⁸".

الشامل النصي : يتمثل في الإشارة إلى نوع العمل الأدبي شعر، رواية فهذا التحديد والتصنيف يعود إلى القارئ بحيث يرتبط فهم النص بأفق الإنتظار فالقارئ هو الذي يحدد هذا النوع من التناسل من خلال مقارنة النص المقروء مع ما يترتب في ذهنه من معلومات سابقة¹⁰⁸⁹...

النصية المتفرعة: " آخر نوع من التناسل، ويسمى بـ *hypertextualité* تتمثل في علاقة نص الحاضر بنص سابق كأن تشتق نص من نص آخر أي نص متفرع¹⁰⁹⁰.

وكان للتفكيكية دورا وحضورا بارزا في مجال تفكيك النص ومحاولة قرائته وبناء معنى جديد يعتمد على آلية التفويض التي اعتمدها (جاك ديريدا). وعبر مفهوم تفكيك النص يكون قد أعاد إلى النص سلطته التي يخولها له المتلقي بقراءته وتأويله نحو انتاج معنى جديد له .

أنظر: حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص254. ¹⁰⁸⁴

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص147. ¹⁰⁸⁵

المرجع السابق، ص147. ¹⁰⁸⁶

المرجع السابق، ص 148¹⁰⁸⁷

سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص97. ¹⁰⁸⁸

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص149... ¹⁰⁸⁹

المرجع السابق، ص97. ¹⁰⁹⁰

التناص في مفهوم العرب:

عرف العرب التناص منذ القدم بتسميات مختلفة مثل: (السرقا ، الاقتباس ، المعارضة والتضمين..والشائع عندهم مصطلح "السرقه" ، ورد معنى السرقة : " الأخذ بخفية ، وسرق الشيء سرقة سرقا وسرقاً¹⁰⁹¹ ". ويعود زمن السرقة إلى أيام شعراء ما قبل الإسلام ولنا في قول الشاعر (حسان بن ثابت) شاهدا على ذلك ويقر أن الظاهرة كانت متفشية آنذاك بين الشعراء بقوله:

" لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري"¹⁰⁹²

ويقطع طرفه بن العبد عهدا بعدم السرقة قائلا:

" ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا"¹⁰⁹³

أما "الاقتباس": مشتق من القبس وهو النار ، حيث ورد في قوله تعالى: إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتكم منها بخبر أو آتيكم بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون." (سورة النمل الآية 27) ومعناه عند البلاغيين وعلماء اللغة اقتبست منه أي أخذت منه شيئا بحيث يجعل الجاحظ للاقتباس خصائص ومميزات بأنها : تورث الكلام الحسن، والبهاء والوقار¹⁰⁹⁴. فهو الأخذ من النصوص ما يستحسنه الأخذ من جمالية وشعرية وأدبية الأسلوب .

والتضمين: "مأخوذ من ضمن وهو وضع الشيء في الشيء كأن توضع الوعاء في المتاع"¹⁰⁹⁵ وهو مصطلح يعنى بالشعر دون النثر .

وكان للنقاد العرب في السبعينيات من القرن العشرين موقفا تجاه التناص ، من أمثال محمد مفتاح ومحمد بنيس، سامي سويدان وسعيد يقطينوعبد الله الغدامي واعتبره الناقد المغربي (محمد مفتاح) أنه يمثل للشاعر: " الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة بدونهما ولا عيشة له خارجهما"¹⁰⁹⁶. فالتناص بالنسبة إليه حتمية لا مفر منها عبر كل الأزمنة والأمكنة: " إنه تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"¹⁰⁹⁷ وتمثل ظاهرة التناص من أعقد القضايا خاصة أنها تعتمد في رأيه على درجة وعي القارئ(المتلقي) في كشف معنى الخفي¹⁰⁹⁸. فالتناص يتطلب التفاعل العميق للقارئ بوعي ودراية مع النص

إبن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط3، مادة سرق، بيروت الجزء الثاني، 1982، ص 250.¹⁰⁹¹

حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، ط1، بيروت (د.ت)، ص53.¹⁰⁹²

طرفة بن العبد: الديوان، دار المعرفة، ط1، بيروت، 2003م، ص 65.¹⁰⁹³

الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط1، ج1، بيروت 2008م، ص80.¹⁰⁹⁴

إبن منظور: لسان العرب، دار صادر ، ط1، مادة صمن، ج13، ص 257.¹⁰⁹⁵

محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجيات التناص، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 1992م، ص 125.¹⁰⁹⁶

أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، ط3، بيروت 1983م، ص121.¹⁰⁹⁷

أنظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ، ص 125.¹⁰⁹⁸

لاكتشاف معناه.¹⁰⁹⁹ وظف (سعيد يقطين) "التفاعل النصي" يقابله "التعاليات النصية" لدى (جيرار جينيت) واعتمد على العناصر الخمسة التي ذكرناها سابقا التي اعتمدها (جيرار جينيت). ويعتبر (عبد الله الغدامي) النص لم يأتي من العدم بل ينتسب إلى شجرة نسب عريقة مثلها كمثل الإنسان، إنه انتاج أدبي ولغوي يحيل إلى نصوص أخرى¹¹⁰⁰.. ويتعامل الغدامي مع التناسل من فكرة أن النص في حوارية مفتوحة مع ما سبقه من نصوص إذ يقول: "أعامل مع النص على أنه بنية مفتوحة على الماضي مثلما أنه وجود حاضر يتحرك نحو المستقبل¹¹⁰¹". بينما ترى الناقدة (مي نايف) أن التناسل: "يقوم على مصطلحين: الإستدعاء والتحويل¹¹⁰²". بحيث تدفع الاستحضارات من نصوص متقدمة إلى إنتاج بنية لغوية تحمل معنى جديد.

يرى عبدالمالك مرتاض أن التناسل: "اقتباس وهو مصطلح بلاغي محظ ولكنه الآن مسطو عليه من قبل السيميائية التي ألحقت بالتناسلات واستراحت بل إنها ألحقت أيضا الأدب المقارن نفسه بنظرية التناسل وبكل جراءة¹¹⁰³". "فالتناسل مصطلح جاب كل الأجناس الأدبية وكل أنواع النصوص ويذكر (عبد المالك مرتاض): "أن العرب قد عرفت قديما المصطلح معتبرين الأفكار قاسم مشترك بين الشعراء جميعا يتنازعونها دون أن يتبناها أحد عن الآخر ذلك لأن الألفاظ مطروحة في الطريق ومتداولة بين الكتاب وأن كتابة النصوص تأتي لابتعد نسيان¹¹⁰⁴". تلك هي نظرة ورأي عبد المالك مرتاض للتناسل الذي بدأ بفكرة صغيرة ثم بدأ يشق طريقه نحو التأسيس لنظرية التناسل التي تصبو إلى قراءة الفكر والثقافة التي تتضمنها البنيات إضافة إلى الجمالية والخيال الذي تتوفر عليه النصوص السابقة والحاضرة التي تتطلع إلى نص مستقبلي يعبر عن رؤيا الإنسان حول قضايا عصره.

خاتمة:

- نستنتج مما سبق أن النص يبقى دائما عالمه مفتوحا نحو التطلعات والقراءات فكما تنوع النص في مبناه ومعناه كلما ظهرت مناهج نقدية وآليات إجرائية تحاول الوقوف أمامه الند للند لكشف أغواره وجمالية أسلوبه. فكل نص جديد هو امتداد لنص قديم يتضمن أفكارا وتيمات طرحت من قبل لكن أعيد تداولها في شكل لغوي جديد يتماشى مع متطلبات العصر.

ظاهر محمد الزواهرة: التناسل في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد، ط1، عمان 2000م، ص36. 1099
أنظر عبد الله الغدامي: ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، ط2، الكويت 1993، ص111. 1100
عبد الله الغدامي: ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية، مرجع سابق، ص 113. 1101
مي نايف: الخطيئة والتكفير والخلاص، الخطاب الشعري عند الشاعر محمد حسيب القاضي، دراسة نصائية، اتحاد كتاب الفلسطينيين، (د.ط)، 1102

2002م، ص 226.
مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات¹¹⁰³

الجامعية، (د.ط)، الجزائر 2005م، ص 134.

عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، (د.ط)، الجزائر 2007م، ص 250 (بتصرف). 1104

- حاول الفلاسفة والنقاد تقديم مفهوم شامل ودقيق عن النص بالاستناد إلى النظريات اللغوية واللسانية والبلاغية إلا أنه بقي يطمح دائما نحو إرساء لقواعد تخول له تبني نظرية نصية تقوم على المنطق ، ورؤيا تحليلية تقوم على منهج علمي.

- إن الحوارية أو المناقفة بين النصوص أمر حتمي لا نستطيع النصوص التجرد منه أو تجاوزه. وتشكل الحوارية علامة على ثقافة الكاتب واطلاعه الواسع على التراث العالمي الذي نجد له حضورا يعكس ثراء الثقافة .

- لا يمكن اعتبار التناسس سرقة أدبية شريطة أن تلتزم بضوابط ومعايير تتيح لكن كاتب حقه في الحفاظ على أفكاره وأفكار غيره .

- يتيح التناسس تنوعا في النصوص واستمرارا لها فكلما تعدد الأشكال التعبيرية كلما تنوعت مناهج قراءتها وطرائق دراستها، لكشف جوهر بنياتها .

- يمثل عنصر التأثير والتأثر أحد العوامل المباشرة في إنتاج شكل لغوي وأدبي ينتسب إلى ماض عريق.

المصادر والمراجع:

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2010م.

تزييتان تودوروف: مفاهيم سردية ترجمة: عبد الرحمان مزيان ط1، منشورات الاختلاف الجزائر 2005م،

السيميائيات، مرجع سابق.

منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، عن فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر

سمير حجازي: المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة ، فرنسي عربي /عربي فرنسي..

أنور المرتجى: سيميائية النص الأدبي، عن فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،¹

عمر عبد الواحد: التعلق النصي، دار الهدى، ط1، المنيا، 2003م.

المنهج الموضوعاتي

المحاضرة الثالثة عشر

أ.خالدي سمير

مفهوم الموضوعاتية لغة:

ورد في معجم لسان العرب معنى موضوع: "اسم مفعول، ما أضمر ولم يتكلم به... مشتق من مادة (وضع): "وضع، الوضع ووضع ووضعاً، وفي موضع آخر.... تواضع القوم على الشيء اتفقوا عليه وواضعته على الأم إذا وافقته فيه على شيء ووضع الشيء في مكانه أثبتته فيه والمواضعة المناظرة في الأمر."1105 أما معناه في معجم الوسيط: "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"1106. و"ورد معناها في قاموس التائييلي لجاكلين بيكوش): الموضوع(thème) مادة أو كلمة أو فكرة أو محتوى أو قضية أو مسألة."1107

مفهوم الموضوعاتية اصطلاحاً:

عرفها (ميشال كولو) بأنها: "تعبّر عن العلاقة الانفعالية للإنسان تجاه عالم المحسوسات، الذي يظهر في النصوص من خلال تكرار متجانس للتبدلات ويشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء اقتصاد دلالي وشكلي لعمل ما."1108

وهي في رأي الناقد الجزائري(يوسف وغليسي): "شبكة من الدلالات أو عنصر دلالي متكرر لدى كتاب ما عمل ما"1109. ويفهم مما تقدم أن الموضوعاتية هي معنى خفي ومضمر متكرر في متن النص.

- ويعرف النقد الموضوعاتي(critique thématique) بأنه منهج نقدي يهتم بدراسة وتحليل النصوص الأدبية وتعود سبب تسميته إلى مصطلح: "الموضوع" أو "التيمة" التي تتكون منها المتون الشعرية والنثرية، حيث ورد المصطلح في تسميات عديدة نذكر منها: (الموضوعية، الموضوعاتية، الموضوعاتي).

- وتم تداول مصطلح الموضوعاتية في النقد خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين في كل من بريطانيا وأمريكا على يد كل الناقد (ريتشارد إليوت، وكلينت بروكس).1110

1105 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، ط2، الجزء الثامن ، مادة وضع، بيروت 1988 ص401.

1106 مجمع اللغة العربية :معجم الوسيط، مكتبة الشريط الدولية،(د.ط)، مصر 2004، ص1040.

1107 يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، الجسور ، ط1، الجزائر 2003، ص148.

1108 ينظر ميشال كولو: النقد الموضوعاتي ، ترجمة: غسان السيد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب ، العدد 23، دمشق، 1998، ص35

1109 يوسف وغليسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار الريحانة، ط1، القية، الجزائر 2007، ص18.

1110 ينظر محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998،

ص12.

أما الموضوعاتية: (thématique) وهي (التيمة) وتعني الموضوعات التي تتضمن الأثر الأدبي¹¹¹¹. أو الفكرة الجوهرية التي تتكرر في النص الأدبي.

الموضوعاتي: يعرب المصطلح إلى "التيمة" واستخدمه الناقد (جورج بول ويبر) ويقصد به الفكرة التي تتكرر في متن النص ونجد هذا التوظيف أيضا عند الناقد المغربي (حميد لحميداتني) و (سعيد علوش) في كتابه: "النقد الموضوعاتي"¹¹¹² ومنه فإن الموضوعاتية هي جملة من التيمات التي تتكرر في العمل الأدبي والتي تدخل عليه جملة من التبدلات التي تدفع بالقارئ إلى تتبع تطورها باستمرار. ويقوم المنهج الموضوعاتي على جملة من لأسس الفكرة:

الفلسفة الظاهراتية:

- تشكل الفلسفة الظاهراتية التي يتزعمها الفيلسوف (إيدموند هوسرل 1859-1938) من أهم المرتكزات التي يستند عليها المنهج. معارضة آنذاك الاتجاه المثالي و التجريبي ويقصد بـ: "الظاهراتية" ذلك التحليل الوصفي للظواهر التي تظهر ويتجلى فيها الواقع مثل دراسة الزمان والمكان بمعزل عن القوانين التي تتحكم فيهما¹¹¹³ وركزت الموضوعاتية على دراسة "التيمة" المتعددة للموضوع الواحد في النص بغية فهم معناها الذي يعد في نهاية المطاف موضوعا.¹¹¹⁴

مدرسة التحليل النفسي:

الفلسفة الوجودية:

الاتجاه البنيوي:

السيمائية وتأويل العلامة:

- اهتمت الموضوعاتية بفك شفرات التيمة وتأويلها متأثرة بالحقل السيميائي بناء على ثنائية الدال والمدلول، ما دام النص الأدبي يتشكل من مجموعة من الأنظمة والعلامات التي يكون مجالها مفتوحا على تأويلات وتخمينات ودلالات متعددة تربطه بالعالم الخارجي وتحتاج

¹¹¹¹ المرجع السابق الصفحة نفسها.

¹¹¹² ينظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر (د.ط) المغرب 1989، ص11.

¹¹¹³ ينظر سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية (د.ط)، الدار البيضاء المغرب 1984، ص231.

¹¹¹⁴ ينظر محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر (د.ط)، الجزائر 2011، ص37.

العملية التأويلية إلى اجتهد القارئ في كشف المعنى الخفي للتيمة ، وبذلك شكلت السيميائية آلية إجرائية اعتمدتها الموضوعاتية في الكشف عنها وتتبعها كمحاولة لفهمها فتحول النقد الموضوعاتي إلى نقد يعتمد القراءة والتأويل الدلالي للموضوع.

- كما شكلت أفكار وآراء الناقد (غاستون بشلار) نواة مركزية للموضوعاتية منها أن الذات في علاقة دائمة مع العالم الخارجي من خلال التأثير والتأثر. و يعتبر الناقد من رواد الموضوعاتية في أوروبا إلى جانب (هيدجر)، (جان بول سارتر)، (جورج بوليه)، (جان بيبير ريشار) و(جان بول فيبر).

- كما شكلت فكرة "الأنا الجماعية المبدعة" دون "الأنا الفردية" أحد المرتكزات الأساسية للنقد الموضوعاتي فهي تعبر عن مشروع المجتمع وهدفه: "فالكاتب لا يقول ذاته فحسب بل يبدعها باستخدام الكلمات".¹¹¹⁵ وفي السياق نفسه دعا (بروست) إلى ضرورة إقصاء السيرة الذاتية من العمل الأدبي مناقضا رأي (سانت بييف) الذي يرى فيها أصل العملية الإبداعية.

أهم أعلام النقد الموضوعاتي:

انتعشت حركة النقد الموضوعاتي بوصفه منهجا نقديا مع بدايات الستينيات من القرن العشرين ممثلا في جهود زمرة من الأعلام نذكر أهمها:

1 غاستون بشلار: Gaston Bachelard : 1884-1962

3 جان بيبير ريشار Jean Piére Richard:

جون بول ويبر (Jean Peaul Weber)

ويقوم النقد الموضوعاتي على خطوات هي:

¹¹¹⁵ Jean Pierre Richard, Littérature et Sensation, Paris Seuil, 1957, p14.

1 الإحصاء: من خلال تعيين التيمة أو الموضوع في متن النص ووصفها والبحث عن العلاقة بينها وبين العالم الخارجي على غرار الطفولة التي تشكل النواة المركزية لعملية الإبداع.

2 التحليل: بعد تعيين التيمات وتصنيفها بحسب تكرارها وتواترها في الموضوع تتم دراستها من حيث الأسلوب واللسانيات بفك شفرات البنية الأساسية والثانوية دون أن يهمل الدارس العنوان والبحث عن علاقته بالموضوع الرئيسي.

3 البناء والتركيب: وهي النتيجة النهائية التي يفضي إليها بحث الناقد من خلال إعادة بناء وتركيب التيمات والكشف عن العلاقة الكائنة بينها وبين الموضوع الرئيسي كمحاولة جوهر النص.

الموضوعاتية في العالم العربي:

ظهر النقد الموضوعاتي في العالم العربي بداية السبعينيات من القرن العشرين، حيث تجلت في أبحاث ودراسات: "الناقدة السورية (كيكي سالم) بأطروحة دكتوراه بعنوان: " موضوعاتية القلق عند "كي دي موبسان" اشراف الأستاذ الدكتور (جورج بيبير رشارد) سنة 1982 ووظف الناقد (سمير حجازي) مصطلح thematologie (علم الموضوعات) في دراساته على اعتبار منه أن الموضوع هو: "تجربة ذات جوهر روحي"¹¹¹⁶. وانتصر الناقد (نهاد التركلي) نحو استعمال مصطلح (الجزر) بالفرنسية theme والتي تعني الموضوع¹¹¹⁷ وشهد المصطلح خلطا في الترجمة عن الفرنسية والإنجليزية واختلف بين التيمة والموضوع والجزر والفكرة...) وغيرها من الترجمات التي شكلت غموضا بالنسبة للناقد والقارئ. ليستقر (عبد الكريم حسن) على مصطلح: (الموضوعي) بدلا من (الموضوعاتي والمواضيعي). بالإضافة إلى محاولة الناقد المغربي (عبد الفتاح كليطو) بعنوان: " موضوعاتية القدر في روايات "فرانسوا مورياك" 1971. "¹¹¹⁸ ولم تخلو الدراسات العربية من الاهتمام الخطاب الشعري العربي مثل دراسة الناقد (علي شلق) بعنوان "القبلة في الشعر العربي القديم والحديث" و "المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج" و " ابن

يوسف و غليسي: مناهج الادبي، مرجع سابق، ص 156.1116

أنظر: نهاد التركلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (د.ط)، بغداد 1979، ص127.1117

¹¹¹⁸ ينظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر، ط1 الرباط المغرب 1989، ص37.

الرومي في الصورة والوجود" و "أبي العلاء المعري الضبابية المشرقة" دون أن ننسى جهود سعيد علوش المتمثلة في دراسته بعنوان: "النقد الموضوعاتي" و كتاب: " في سحر الموضوع" (حميد لحميداني) الذي بحث من خلاله عن كيفية تمظهر الموضوع في النص ، و" القراءة والتجربة" (لسعيد يقطين).¹¹¹⁹ كانت تلك بعض اهتمامات النقاد العرب المعاصرون بمصطلح الموضوعاتية في دراساتهم النقدية.

نقد المنهج الموضوعاتي:

- من بين المؤاخذ التي سجلت على المنهج الموضوعاتي لا يعدو أن يكون مجرد تحليل نفساني باهتمامه بالنفس البشرية باعتماده على آليات التحليل النفسي في الكشف عن أسرارها .
- إهماله لجانب لذات الكاتب والقارئ معا. ودور البيئة والزمن في العملية الإبداعية
- يتصف المنهج الموضوعاتي بالفردية وابتعاده عن الموضوعية والأكاديمية فهو يبحث عن النزوات النفسية والسلوكات والرغبات المترسبة في اللاوعي
- يعتمد الناقد الموضوعاتي على حسده الشخصي في الكشف عن جوهر التيمه فتؤثر هذه النزعة الذاتية على السيطرة والتحكم أكثر في مجال تأويل الموضوع وفهمه.
- لازل المنهج الموضوعاتي يفتقد إلى التحكم والالتزام أكثر في عمله بمنهجية أكاديمية تتيح له العمل بموضوعية فلم يستطع التخلص من قيد الانطباعية والتأثرية والذاتية فهو منهج نسبي لم تتحدد معالمه بعد وربما الشك نفسه نستشفه من قول (جان ببيير ريشار): "النقد لا مهمة له غير نسج لوحة لا متناهية فهو يشبه "بينيلوب" التي ليست في حاجة إلى الاستيقاظ ليلا لفك نسيج يومها مادام التقدم في القراءة النقدية يوما بعد يوم هو ما يكشف ويضع الاكتشافات موضع تساؤل".¹¹²⁰

استنتاج:

¹¹¹⁹ ينظر جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، إصدارات أدب فن للثقافة والفنون والنشر، (د.ط)، طنجة، المغرب 2015، ص33.

¹¹²⁰ سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق ص 87.

نستخلص مما تقدم أن النقد الموضوعاتي منهج نقدي معاصر يقوم على أساس دراسة التيمة التي أصبحت تشكل في حقله مفهوما جوهريا وداخليا للعمل الأدبي بحيث تتجلى فيه التيمة بمظهرين الأول ينبع من وعي الكاتب يعكس مفهوما معيناً للموضوع المعالج والمظهر الثاني ينبع من لاوعي الكاتب، تنشأ بناء على مجموعة من الرغبات القابعة والمترسبة في دهاليز اللاشعور فيقوم هذا المنهج باستخراج التيمات والوقوف على دراستها بعمق ووصفها وتحليلها وتبيان علاقتها بصاحبها

المصادر والمراجع:

- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر، ط1 الرباط المغرب 1989،
جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، إصدارات أدب فن للثقافة والفنون والنشر،
(د.ط)، طنجة، المغرب 2015،
: نهاد التركلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون،
(د.ط)، بغداد 1979،¹
محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقله عرسان، منشورات اتحاد
كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998،
سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر (د.ط) المغرب 1989،
سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية (د.ط)،
الدار البيضاء المغرب 1984،
محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر (د.ط)،
الجزائر 2011،

النقد الثقافي

المحاضرة الحادية عشر

تعريف المصطلح

يقصد بالنقد الثقافي البحث عن المضمرة من الأنساق الثقافية في النص، إنها قراءة معاصرة للخطابات المتنوعة وفق آليات إجرائية تعتمد العقل والتأويل للوصول إلى كل ما له علاقة بثقافة الشعوب التي تمثل جزء من هويتها وانتمائها وارتباطها بمحيطها وبيئتها تاريخيا وحضاريا. ومنه جاز لنا أن نستهل محاضرتنا هذه بالبحث في معنى الثقافة

فالثقافة لغة ورد معناها في المعاجم العربية أن كلمة: "ثقف الرجل، ثقافة بمعنى صار حاذقا، وثقف الشيء حذقه... والثقاف ما تسوى به الرماح، ورد في حديث عائشة تصف أباهما أبا بكر رضي الله تعالى عنهما:" وأقام أودها بثقافة، أي أنه سوى عوج المسلمين¹¹²¹. "وجاء في تعريفات بعض النقاد العرب تمثل:" الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء كانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة أم تعديل فيها¹¹²². " مفهوم النقد الثقافي اصطلاحاً :

يمثل النقد الثقافي أحد المناهج التي ظهرت مع نهايات القرن العشرين يحمل في جوهرة أفكارا جديدة حول النقد عموما والأدبي خصوصا. وتكمن الجدة في اهتمامه بالثقافة وقضاياها المتشعبة والمتعددة ويتسم كونه نشاطا فكريا يستوعب كل أنواع الثقافات ومن أهم رواده (أدورنو) و (فينيس ليتش). ويعرف بمرحلة ما بعد البنيوية، وله مرادفات مثل 'النقد الحضاري'¹¹²³، "النقد الفاحص"¹¹²⁴ و"النقد السياسي"¹¹²⁵ "يهتم بتوظيف الأفكار الثقافية التي تغاضى عنها النقد الأدبي في دراساته.فهو في تعريف (آرثر أيزابرجر): " مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد والفلسفة وكل الثقافات التي تميز المجتمع المعاصر"¹¹²⁶. " إنه مشروع يحوي أفكارا تمثل الفلسفة و كل النظريات الأدبية، العلمية والفنية كبديل عن النقد الأدبي. واعتبره (فانديك): " ظاهرة ثقافية تهتم بالدراسات السياقية التداولية والنفسية الاجتماعية والبحث في علاقة المجتمع بالنص الأدبي وفهمه وتأويله"¹¹²⁷. " ومنه يعتمد النقد الثقافي تتبع الأثر الاجتماعي والتاريخي للنص في المجتمع وما مدى تفاعل بنيته ثقافيا ومن ثمة:" فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق الثقافية المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته...إنما هممه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي"¹¹²⁸. " وبحثا عن هدف النقد الثقافي حاول عبد الله الغدامي القول بأن المنهج يقترح من مصطلح (علم العلل) لدى علماء الحديث الذي يعنى بدراسة الخطاب ومتمته وعيوبه معتمدا في منهجه على الدقة والصرامة ، وهو نفس الغرض ينزح نحوه النقد الثقافي في مهمة تشريح النص والبحث عن الأنساق المضمرة وتحديدها في الخطاب وفق منهج يعتمد الصرامة ويقف ندا للند أمام

إبن منظور: لسان العرب، مج9، مادة ثقف، دار صادر، بيروت، لبنان (د.ت)، ص19.1121

محمد عبد المطلب: النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط1، القاهرة 2003م، ص90.1122

هشام شرابي: النقد الحضاري، للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، د.ط)، بيروت (د.ت)، ص15.1123

حسن البنا عز الدين: ملامح النقد الثقافي في الأدب العربي (كتاب الغدامي الناقد): قراءات في مشروع الغدامي النقدي، مؤسسة اليمامة الصحفية¹¹²⁴

الرياض، العدد 97-98، 1422هـ، ص160.

عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير، ط1، عمان 2007م، ص25.1125

آرثر أيزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم رمضان بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة 1126

2003م، ص30.

يوسف عليمات: التحليل الثقافي ، الشعر الجاهلي نموذجا، المطابع المركزية، ط1، الأردن 2004، ص33.1127

عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء وبيروت 2001م، ص84.1128

النص¹¹²⁹ . وفي نفس السياق يضع (فينيش لينتش) مشروعا نقديا سماه بالنقد الثقافي يعنى بالخطاب الذي لم يكن محل اهتمام المجتمع متجاوزا في تحليله المنهج البنيوي وكل منهج من شأنه عرقلة السير الحسن للدراسة معتمدا على آليات قوامها العقل والقدرة على التأويل وفق رؤيا منهجية جديدة.

الأسس الفكرية للنقد الثقافي:

فلسفة (نيتشه)

فلسفة (كارل ماركس)

-التحليل النفسي

لسانيات دوسوسير

موقف العرب من النقد الثقافي:

إذا نظرنا إلى تراثنا الأدبي والنقدي وعلاقته بالثقافة والابداع والحضارة يستوقفنا تعريف (ابن سلام الجمحي) للشعر بقوله: " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات :منها ما تتفقه العين، ومنها ما تتفقه الأذن، ومنها تتفقه اليد، ومنها ما يتفقه اللسان¹¹³⁰ ". لقد كان ابن سلام الجمحي بتعريفه هذا جد متقدما عن عصره جاعلا للشعر بعدا ثقافيا وحضاريا وأنه علامة على التقدم وبلوغ درجة من الوعي والفكر وتفسير جملة من القضايا الحياتية واتخاذ موقف منها. واعتبرت القبائل العربية قبل الاسلام الشاعر الناطق الرسمي لها ، إذ يستطيع أ يعلي من شأن قبيلة ببيت شعري واحد في الفخر والمدح. كما يستطيع أيضا أن يطيح من قدرها ببيت شعري واحد في الهجاء. فكان للشاعر المحنك النابغة الفصيح شأن كبير بين قومه في القبيلة. وقد اشترط (ابن رشيق) أن يكون الشاعر واسع الثقافة وملما بالعلوم والمعارف بقوله: " والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة، واحتماله كل ما حمل من: نحو ولغة وفقه وخبر وحساب وفريضة... وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب. ليستعمل بعض ذلك في ما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال¹¹³¹ ". وهو ما ذكره (ابن العباس) عم الرسول عليه الصلاة والسلام عندما سمى الشعر بديوان العرب كونه الحافل لأفكارهم ونمط عيشهم وفلسفتهم في الحياة وثقافتهم وأسلوبهم ... إنه الشاهد عنهم والదال على أخبارهم. خصائص النقد الثقافي:

أنظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (بحث في الأنساق الثقافية العربية)، مرجع سابق، ص84. ¹¹²⁹
ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة، ص91. ¹¹³⁰

ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط1، بيروت (د.ت)، ص196.

خصائص النقد الثقافي

- 1- تعامله مع كل النصوص بمختلف اجناسها وانتماءاتها، سواء تميزت بالجمالية أم افتقدتها ،
 - 2 التزامه بالبحث عن النسق المضمّر في النص وأثره في المجتمع. اعتماده على النقد الأدبي في دراساته وتحليله للنصوص وهو ما قام به الناقد (عبد الله الغدامي) بالدعوة إلى أن النقد الثقافي ليس دعوة لموت النقد الأدبي بل مكملاً له.
 - 3 يسمح للقارئ بالولوج إلى عمق النص وتجنب الدراسة السطحية. وذلك بالبحث في جوهره عن النسق الثقافي والاجتماعي المضمّر ومنه اكتشاف ثقافة النص الموازية لجماليته.
 - 4 ومن خصائصه أيضاً تعريف القارئ بجملة من النصوص الشعبية والثقافية التي أهملها النقد الأدبي واستطاع النقد الثقافي أن يعرضها على القارئ للتقرب منها وكشف جوهرها.
- أهم المصطلحات في النقد الثقافي:

1-يمثل "النسق" أحد أهم المفاهيم التي يستند عليها المنهج الثقافي في دراسته ; هو ما كان على وتيرة واحدة ونظام واحد وهو من أهم¹¹³². " فهو كل شيء استقام على وتيرة واحدة دون خلل أو نقص.

2مصطلح النظام *systeme* في لسانيات دوسوسير، والبنية *structure* لدى البنيويين . بحيث هناك علاقة تجمع بين النسق والبنية التي تتجلى لنا في معنى تصريحات (بياجي) بأن البنية تعتمد على العلاقات التي ينتجها النسق، وهو نفس الرأي لدى (ليفي شتراوس) أنها تحمل أولاً وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام¹¹³³

2الجملة الثقافية:

يجد الناقد نفسه معد ما اعتاد على التعامل في النقد الأدبي مع مصطلح: الجملة الأدبية والجملة الشعرية والجملة النحوية ... سيكون في النقد الثقافي على موعد للتعامل مع "الجملة الثقافية " التي تضع حدوداً بين ما هم جمالي وبين ما هو ثقافي و أن لكل جملة دلالة، إنها العنصر المهم في توليد الدلالة النسقية فهي الحاملة لها بمعنى آخر إنها الشكل التعبيري الذي ينتج نسقاً ثقافياً. يحمل صفة الدلالة التي تختزن المعنى وبنيتها مكثفة، تحمل الناقد على: " أن يكون قادراً على التعرف عليها ونقده¹¹³⁴". فالنقد الثقافي وظيفته تفجير البنية واستنطاق المسكوت عنه وتكشفه.

بعض الأمثلة عن النقد الثقافي المغربي:

إبن منظور: لسان العرب، مادة نسق، دار صادر بيروت، (د.ت)، 520.1132
أنظر: قرين نوال، المرجعيات التاريخية والمعرفية للنقد الثقافي، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الأول، جامعة خنشلة، ص43.1133
أنظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق، ص66.1134

يمثل الناقد حفاوي بعلي من الباحثين الذين تأثروا بالنقد الثقافي التي وضع معالمه في كتابه

(مدخل في نظرية النقد المقارن) 2007م قسمه إلى ثمانية فصول بحث من خلالها عن الأنظمة الثقافية ويبدو أن الناقد متأثر بأعلام الغرب في هذا التخصص أمثال (رايموند ويليامز) كما طرح الناقد حفاوي بعلي إشكالية قراءة النصوص وتأويلها للوقوف على دلالة الأنساق الثقافية

كان هذا جانبا من اهتمامات التي طرحها الناقد في كتابه إى جانب ناقد آخر (نورالدين بورحيلة) و(طارق بوحالة)

أما في المغرب: فيمكن لنا أن نسلط الضوء على جملة من الباحثين منهم: الناقد المغربي (سعيد علوش) له كتاب عنوانه: (نقد ثقافي أم حداثه سلفية؟) قسمه إلى أربعة فصول عرف النقد الثقافي وتطرق إلى تطور الدراسات الثقافية ، وخصوصية النقد الثقافي ، ومحاولة التنظير للمنهج الثقافي بالإضافة إلى باحث مغربي يدعى (جميل حمداوي) الذي أبدع في حقل الدراسات الثقافية

خاتمة:

- 1 يمثل النقد الثقافي منهجا جديدا يبحث في البنية ذات المعنى الثقافي المضمّر.
- 2 يجب أن يكون الناقد متشعبا بالثقافة حتى يتمكن من مساءلة النص
- 3 يعتبر النقد الثقافي تجاوزا لبنية النص الجمالية نحو دراسة البنية ثقافيا.
- 4 يتيح النقد الثقافي للناقد فرصة التعرف إلى كل النصوص الخطابية التي تتميز بالجودة أي يدرس كل ما هو جمالي وغير جمالي.
- يمثل ممارسة نقدية جديدة تقوم على الفحص والمعاينة البنية واكتشاف النسق المخبء بعيدا عن الذاتية والتحيز.
- 5 يعتمد في منهجه على مشارب ومعارف وعلوم أخرى مثل الفلسفة والتأويل وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ و السيميولوجيا وغيرها.... في سبيل التوصل إلى عوالم النص المضمرة.
- 6 يعتبر النقد الثقافي ممارسة نقدية جديدة ينظر للنص على أنه يكتنز بنيات ثقافية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

محمد عبد المطلب: النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط1، القاهرة 2003م،
. هشام شرابي: النقد الحضاري، للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، د.ط)، بيروت
(د.ت)،

حسن البنا عز الدين: ملامح النقد الثقافي في الأدب العربي (كتاب الغدامي الناقد): قراءات
في مشروع الغدامي النقدي، مؤسسة اليمامة الصحفية
الرياض، العدد 97-98، 1422هـ.

عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير، ط1، عمان 2007م.
آرثر أيزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء ابراهيم رمضان
بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة
يوسف عليمات: التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجاً، المطابع المركزية، ط1، الأردن
2004.

عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي
العربي، ط1، الدار البيضاء وبيروت 2001م.
: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (بحث في الأنساق الثقافية العربية)، مرجع سابق.
: قرين نوال، المراجعيات التاريخية والمعرفية للنقد الثقافي، مجلة مجلة كلية الآداب واللغات،
العدد الأول، جامعة خنشلة،

سعيد علوش: نقد ثقافي أم حادثة سلفية؟

- ¹ ينظر محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998، ص12.
- ¹ المرجع السابق الصفحة نفسها.
- ¹ ينظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر (د.ط) المغرب 1989، ص11.
- ¹ ينظر سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية (د.ط)، الدار البيضاء المغرب 1984، ص231.
- ¹ ينظر محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر (د.ط)، الجزائر 2011، ص37.
- ¹ ينظر محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998، ص12.
- ¹ المرجع السابق الصفحة نفسها.
- ¹ ينظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر (د.ط) المغرب 1989، ص11.
- ¹ ينظر سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية (د.ط)، الدار البيضاء المغرب 1984، ص231.
- ¹ ينظر محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر (د.ط)، الجزائر 2011، ص37.

¹ ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلب) ص 473.

المصادر والمراجع

فيسل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1،
الجزائر 2010.

صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع (د.ط)،
القاهرة (د.ت)،

أحمد حسن الزييات: الدفاع عن البلاغة، علم الكتب، ط2، بيروت لبنان 1967.

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009.

بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإيحاء القومي ، (د.ط)، بيروت لبنان، (د.ت)،

فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986،

يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2008،

جورج مولنيه: الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت 2006. رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد برادة، ط3، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط (د.ت)،

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس ليبيا (د.ت)،.

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، عن يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق،.

نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، عن يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، 88.

أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر 1994 ،

ii ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلب) ص 473.

المصادر والمراجع

فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2010.

صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع (د.ط)، القاهرة (د.ت)،

أحمد حسن الزييات: الدفاع عن البلاغة، علم الكتب، ط2، بيروت لبنان 1967.

أنظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2009.

بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإيحاء القومي ، (د.ط)،
بيروت لبنان، (د.ت)،

فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر،
المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986،

يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2008،
جورج مولنيه: الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع، ط2، بيروت 2006. رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد برادة،
ط3، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط (د.ت)،

نور الدين المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس ليبيا (د.ت)،.
نور الدين المسدي: الاسلوبية والأسلوب، عن يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع
سابق،.

نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، عن يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي، 88.
أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر 1994 ،